



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أبو بكر بلقايد — تلمسان  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية  
قسم العلوم الإجتماعية



أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه " LMD " تخصص أنثروبولوجيا موسومة بـ :

## الإحتفاليات العائليّة في المجتمع التّبسي

### طقوس وممارسات: دراسة أنثروبولوجية

إشراف:  
د. بن معمر بوخضرة

إعداد:  
الطالب: مطرف عمر

#### أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والإسم	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د. سعيدي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د. بن معمر بوخضرة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. زازوي موفق	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
أ.د. كاملي بلحاح	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. بغداد باي عبدالقادر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة غليزان	عضوا مناقشا
د. سنوسي صليحة	أستاذة محاضرة (أ)	مركز البحث CRASC. وهران	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019 / 2020





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أبو بكر بلقايد — تلمسان  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية  
قسم العلوم الإجتماعية



أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه " LMD " تخصص أنثروبولوجيا موسومة بـ :

## الإحتفاليات العائليّة في المجتمع التبسيّ

### طقوس وممارسات: دراسة أنثروبولوجية

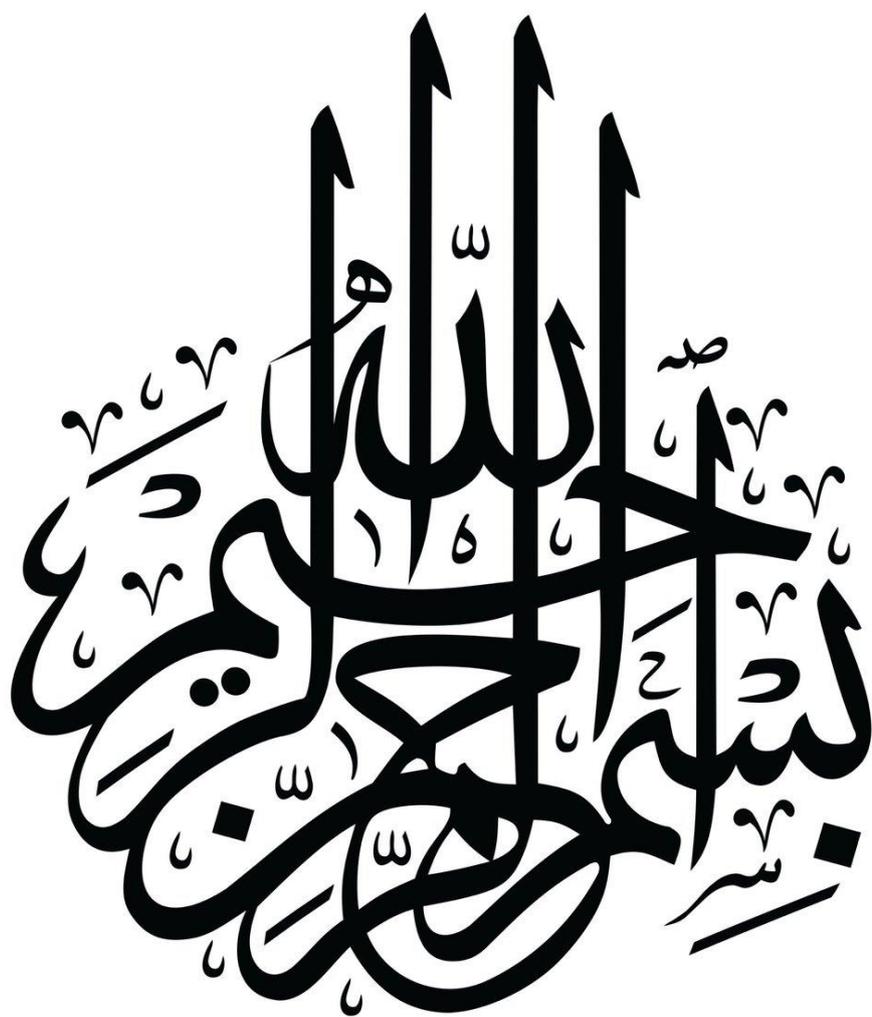
إشراف:  
د. بن معمر بوخضرة

إعداد:  
الطالب: مطرف عمر

#### أعضاء لجنة المناقشة

اللقب والإسم	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د. سعيد محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د. بن معمر بوخضرة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. زازوي موفق	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
أ.د. كاملي بلحاح	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. بغداد باي عبدالقادر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة غليزان	عضوا مناقشا
د. سنوسي صليحة	أستاذة محاضرة (أ)	مركز البحث CRASC. وهران	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020 / 2019





### شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وأشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: الشكر لله الذي يسّر لي أمري ووفقني للدراسة بالجامعة للمرة الثانية بعد دراستي الأولى بجامعة عنابة حيث تحصلت على شهادة الليسانس في البيولوجيا سنة 1985، فهو صاحب الفضل والمنّة والشكر.

يسعدني وقد بلغت الأطروحة هذه المرحلة النهائية أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للبروفيسور: بن معمر بوخضرة على تفضّله بالإشراف على هذه الأطروحة، ومرافقته لنا بالتوجيه تارة وبالنقد والتصويب تارة أخرى رغم ما لديه من التزامات ومسؤوليات، فله منّا جزيل الشكر ومن الله تعالى عظيم الأجر والثواب ودوام الصحة والعافية.

والشكر موصول إلى السيد الفاضل رئيس المشروع ورئيس فريق التكوين البروفيسور: سعدي محمد على ما قدّمه لنا طيلة فترة التكوين من برامج تكوينية وتوجيهات بيداغوجية وأيام دكتورالية وورشات منهجية وندوات علمية وملتقيات وطنية وأخرى دولية كانت لنا بحق محطّات للتعليم والتدريب، فله خالص الإمتنان والتقدير.

كما لا يفوتنا أن نتوجّه بجزيل الشكر وصادق العرفان إلى السّادة:

- البروفيسور: كاملي بلحاج، من جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس
- البروفيسور: زازوي موفق، من جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان.
- الدكتور: بغداد باي عبدالقادر، من جامعة أحمد زبّانة - غليزان.
- الدكتورة: سنوسي صليحة، من مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC - وهران.

## شكر وعرفان

---

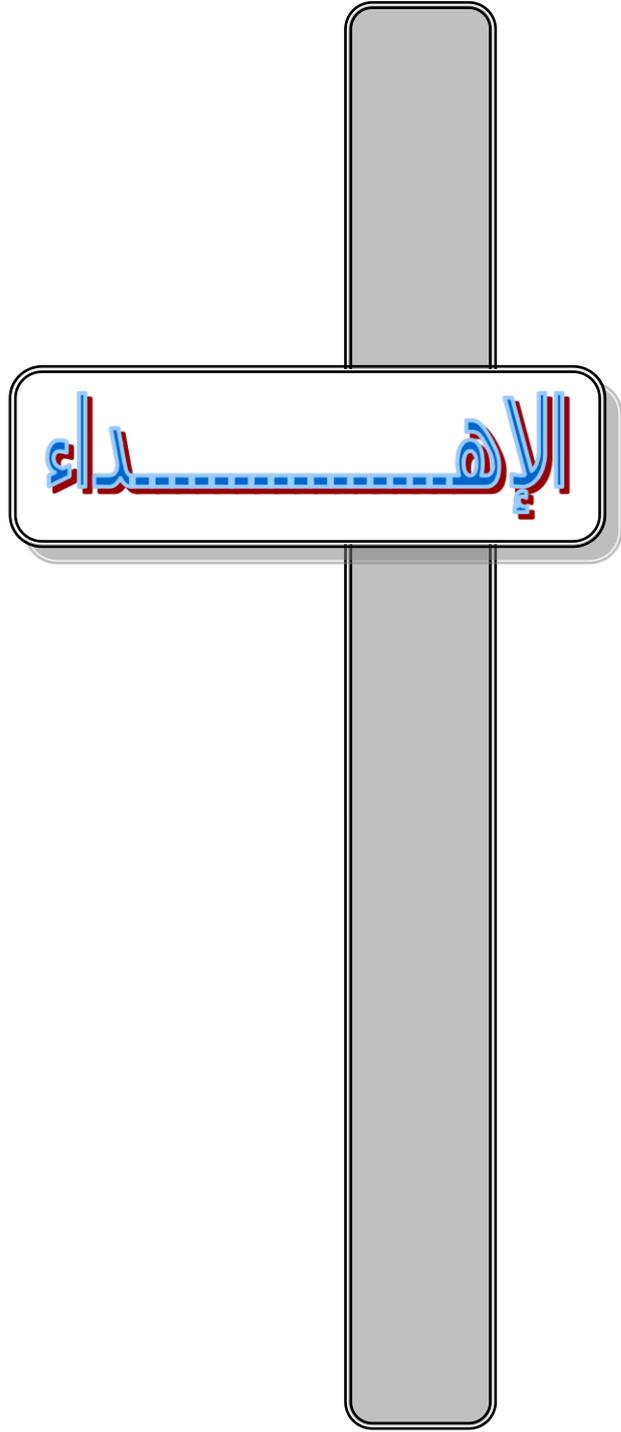
لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة وإثرائها بملاحظاتهم وانتقاداتهم من جهة وتوجيهاتهم وتوصياتهم من جهة أخرى، نسأل الله تعالى أن يتقبل جهدهم وأن ينفع بعلمهم.

كما لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر إلى جميع أعضاء فريق التكوين - كل باسمه وصفته - على ما بذلوه في سبيل تكويننا وتأهيلنا التأهيل العلمي اللائق وتيسير سبل العلم والبحث والمعرفة في هذه المؤسسة العلمية الرائدة: جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان.

والشكر موصول إلى جميع زملائي وزميلاتي - طلبة الدكتوراه - تخصص أنثروبولوجيا في كل الدفعات على روح التعاون ومشاعر الصداقة التي عشناها معا طيلة فترة التكوين.

وفي الأخير أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى عينة الدراسة ومجموعة الباحثين، وكل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد على إنجاز هذه الأطروحة، ونسأل الله العلي العظيم أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الطالب: مطرف عمر



## الإهداء

إلى من رباني صغيرا....

✓ إلى روح والدي العزيز رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته، الذي بذل الكثير في سبيل تربيتي وكان له الفضل في تعليمي حتى وصلت إلى ما أنا عليه.  
✓ إلى الوالدة الكريمة أطلال الله في عمرها وأعطائها الصحة والعافية وهي التي سهرت على تربيتي وتنشئتي، وما فتئت تغمرني بحبها وحنانها ودعائها.

إلى زوجتي الفاضلة "سميدة نزيهة" شريكة حياتي ورفيقة دربي، فهي التي وقفت بجاني وكانت لي خير سند وخير معين.

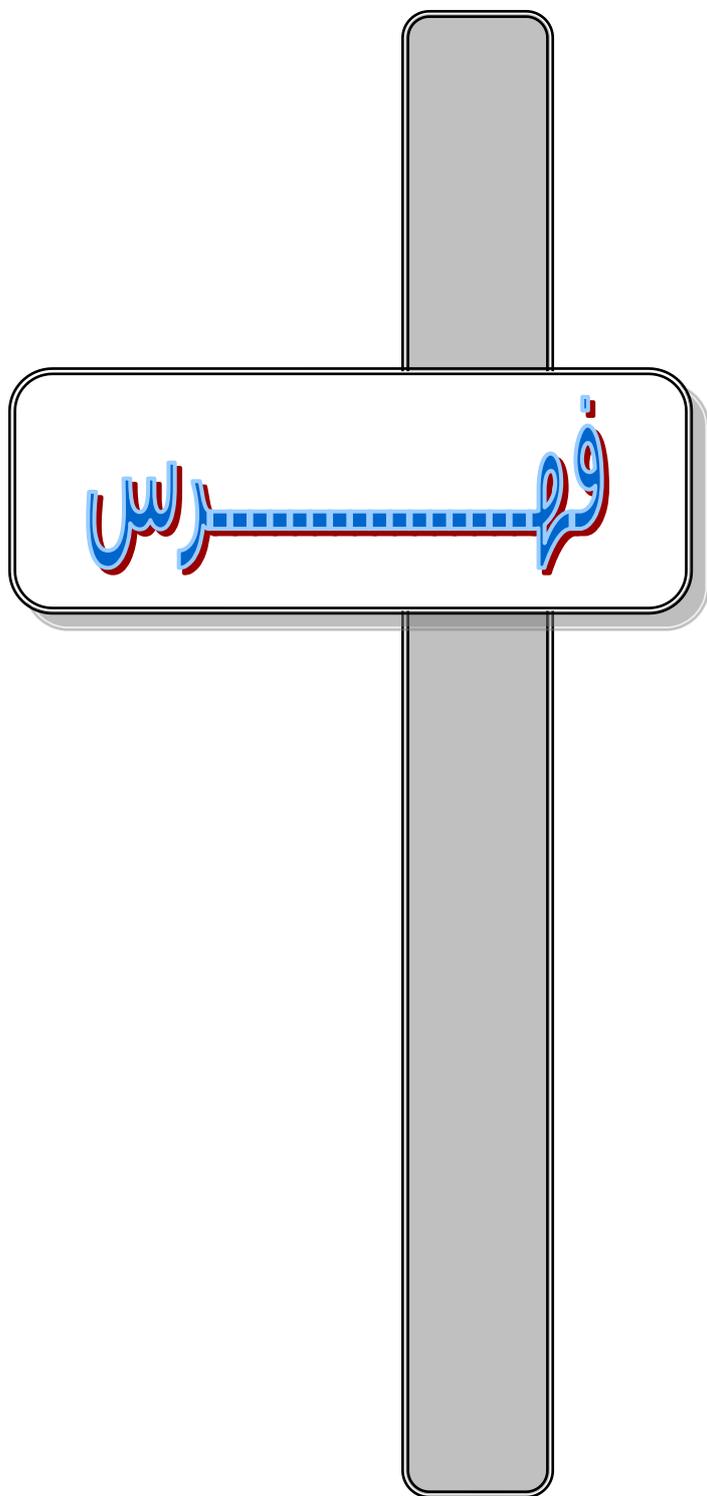
إلى أبنائي الأعزاء: الدكتور تقي الدين: طبيب مُقيم مختص في جراحة العظام والمفاصل (بالمستشفى الجامعي بقسنطينة)، الدكتورة أميمة: طبيبة مُقيمة مختصة في جراحة الأطفال (بالمستشفى الجامعي بوهران)، وزوجها أمين بوزيان طبيب مقيم مختص في جراحة الشرايين والأوردة (بالمستشفى الجامعي بوهران)، وابنتها الصغيرة الأميرة "لينا"، إضافة إلى إبني الدكتور أحمد: طبيب مُقيم مختص في الطب الرياضي (بالمستشفى الجامعي بالجزائر العاصمة) والدكتور عبدالودود: طبيب عام بحاسي مسعود، وفقهم الله جميعا ونفع بهم وجعلهم ذرية صالحة.

إلى جميع معلمي وأساتذتي الذين تعاقبوا على تدريسي وتعليمي في جميع أطوار التعليم: الابتدائي، المتوسط، الثانوي والجامعي.

إلى الباحثين وطلبة العلم في كل مكان وزمان....

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي باكورة أعمالي.

الطالب: مطرف عمر



شكر و عرفان

الإهداء

مقدمة ..... أ- ل

### مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

- 14..... تمهيد المدخل:
- 14..... أولا: المناهج المعتمدة في الدراسة:
- 15..... ثانيا: أدوات وتقنيات الدراسة:
- 24..... ثالثا: فضاءات البحث:
- 29..... رابعا: مفاهيم الدراسة:
- 41..... خامسا: صعوبات الدراسة:
- 44..... خلاصة المدخل:

### الفصل الأول: الأعياد والمواسم الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

- 45..... تمهيد الفصل:
- 45..... أولا: الإحتفال والعيد: المفهوم والدلالات:
- 49..... ثانيا: العائلة الجزائرية بين أمس واليوم:
- 52..... ثالثا: الجذور التاريخية للطقوس الإحتفالية:
- 57..... رابعا: أنواع الإحتفالات العائلية في المجتمع الجزائري:
- 78..... خلاصة الفصل:

## الفصل الثاني: الاحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة الطقوس والممارسات

- تمهيد الفصل:.....79
- أولاً: احتفاليات الزواج. .. 80
- ثانياً: الموت والطقوس الجنائزية. .. 93
- ثالثاً: إحتفاليات إستقبال المولود... 101
- رابعاً: إحتفاليات الختان ( الطهور). 112
- خلاصة الفصل: ..... 114

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الاحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

- تمهيد الفصل: ..... 115
- أولاً: مفهوم الختان:..... 116
- ثانياً: الإجراءات التحضيرية لإحتفالية الختان:..... 118
- ثالثاً: الممارسات والطقوس الاحتفالية للختان: ..... 135
- رابعاً: الدلالات الرمزية والوظائف الاجتماعية والمظاهر الفرجوية للختان: ..... 144
- خلاصة الفصل: ..... 161

## الفصل الرابع: الاحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية الطقوس والممارسات

- تمهيد الفصل:.....162
- أولاً: إحتفالية المولد النبوي: موسم المواسم: ..... 163
- ثانياً: مناسبة رجب وشعبان ... أيام للصدقة والصيام ..... 164
- ثالثاً: شهر رمضان وليلة القدر بين العباداة وتلاوة القرآن ..... 164
- رابعاً: عيد الفطر بين الشعائر الدينية والعادات الاجتماعية ..... 167

- 170.....خامسا: الحج إلى البقاع المقدسة ... أيام للمناسك والشعائر.....
- 172.....سادسا: عيد الأضحى وطقوس الأضحية بين البعد الديني والسلوك الاستهلاكي.....
- 180.....سابعا: إحتفالية عاشوراء ... بين الطابع الديني والإحتفالي للمناسبة.....
- 184.....ثامنا: إحتفاليات رأس السنّة الهجرية:.....
- 188.....تاسعا: إحتفاليات رأس السنّة الميلادية:.....
- 190.....خلاصة الفصل: .....

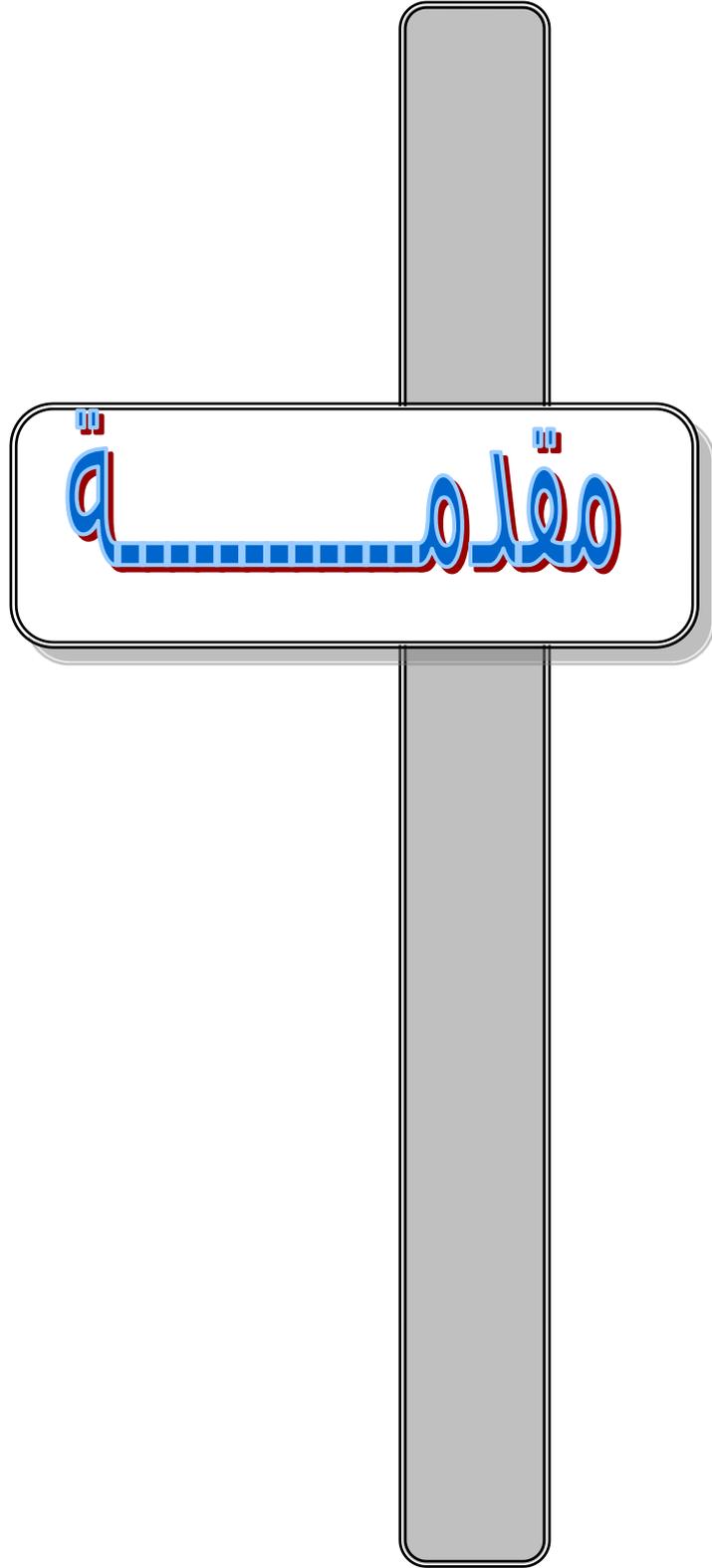
### الفصل الخامس: المولد النبوي

#### الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

- 191.....تمهيد الفصل: .....
- 192.....أولا: مفهوم المولد النبوي: .....
- 194.....ثانيا: إحتفالية المولد النبوي بين المؤيدين والمعارضين:.....
- 197.....ثالثا: إحتفال المولد النبوي: النشأة والجذور التاريخية.....
- 209.....رابعا: إحتفالية المولد النبوي في المجتمع التبسي: الطقوس والممارسات.....
- 220.....خامسا: إحتفالية المولد النبوي: الوظائف والدلالات. ....
- 223 .....سادسا: المقاربة الدينية لإحتفالية المولد النبوي: .....
- 232.....خلاصة الفصل: .....

#### نتائج الدراسة والخاتمة والمراجع والملاحق

- 233.....نتائج الدراسة:.....
- 235.....الخاتمة:.....
- 237.....قائمة المصادر والمراجع:.....
- 254.....الملاحق: .....
- 281.....ملخص الأطروحة: .....



## مقدمة

### مقدمة

لكل مجتمع تراثه الشعبي وموروثه الثقافي والحضاري الذي يسعى للإعتزاز والتمسك به، لما يجويه من كنوز إنسانية، من أقوال وأعمال وسلوكيات وآداب ومعارف وعلوم وقيم وعادات وتقاليد وأشكال التعبير وأنماط العيش والحياة، وغيرها من المجالات الروحية والتاريخية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والجمالية التي تميزه عن غيره من المجتمعات والثقافات والشعوب، فهو بذلك يمثل هوية المجتمع وتاريخه وذاكرته، بل يمثل ثقافته وحضارته وعنوان شخصيته.

من جهة أخرى تُعدّ الأعياد والمواسم والمناسبات الاحتفالية من مظاهر التراث الشعبي والموروث الثقافي والديني والاجتماعي للمجتمعات الإنسانية، تتوارثها جيلا بعد جيل، وتتنوع طقوسها وعاداتها وممارساتها، كما تختلف التمثلات والمعتقدات الشعبية نحوها وذلك باختلاف المجتمعات والشعوب وتنوع الثقافات والمناطق، فهي من الآليات التي يحافظ بها المجتمع على موروثه الثقافي والحضاري وتقوية التواصل الأسري وتعزيز التماسك الاجتماعي وبناء الشخصية الفردية وترسيخ الهوية الاجتماعية، وذلك لما لها من مكانة في إطار العلاقات والتفاعلات بين الأفراد والعائلات وبما تتضمنه من دلالات رمزية وبما تؤديه من وظائف اجتماعية وما تشكّله من أبعاد اجتماعية ودينية واقتصادية وحتى سياسية في سياق التحولات السريعة ومظاهر التغيير الواسعة التي يشهدها المجتمع بين الحين والآخر.

وبالنظر لمنطقة تبسة التي تتميز بتعدد منابعها الثقافية منذ العهود القديمة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، باعتبارها منطقة تعاقبت عليها العديد من الثقافات والحضارات إبتداء بحضارات ما قبل التاريخ ثم ماتلاها من حضارات أخرى كالحضارة الفينيقية والرومانية والوندالية ثم النوميديّة والبيزنطية والإسلامية بعد ذلك، ولاشك أن كل هذه الثقافات والحضارات تركت بصماتها وشواهدا مما يكسبها تنوع ثقافي يعكس جملة أبعاد، يأتي على رأسها العادات والتقاليد والممارسات المرتبطة بالأعياد والمواسم والمناسبات الاحتفالية؛ ومن هنا

## مقدمة

كان اختيارنا لهذا الموضوع نابع من خلفيات وأسباب بعضها شخصي وآخر موضوعي، فمن الأسباب الشخصية:

1. بعض جوانب هذا الموضوع كانت محل بحث ودراسة خلال مرحلة الماجستير، ومن ثم كانت لي رغبة في استكمال بقية جوانب البحث بدراسة أشمل وأعمق لموضوع الاحتفاليات العائلية.

2. أما اختياري لمنطقة تبسة فيرجع إلى كوني من أبناء المنطقة، ولعله الأمر الذي يحفزني أكثر من غيري على اتخاذها كنموذجاً للدراسة.

أما الأسباب الموضوعية:

1. كون الموضوع مستمد من فلسفة التكوين المنبثقة عن مشروع الدكتوراه حول حقل الأنثروبولوجيا ومن ثم فهو من صميم تخصصنا العلمي واهتمامنا البحثي.

2. محاولة متواضعة في جمع التراث الشعبي والموروث الثقافي المحلي المرتبط بموضوع الاحتفاليات العائلية للمجتمع التبسي وخاصة ما تعلق بجانبه اللامادي والمساهمة في تسجيله وتوثيقه.

3. قلّة الدراسات الأنثروبولوجية المحلية المتعلقة بمنطقة تبسة التي تناولت موضوع الاحتفاليات العائلية والمواسم والأعياد والطقوس والممارسات المرتبطة بها.

4. إثراء المكتبة الجامعية بدراسة تتناول هذا الموضوع بما يجعلها إضافة إيجابية للباحثين خصوصاً والطلبة عموماً.

وبالمقابل تأتي أهمية هذه الدراسة في كون منطقة تبسة شهدت منذ غابر العصور حضارات متعددة سجلت تاريخها بالمنطقة وتركت شواهدا ومعالمها الأثرية مما جعلها تزخر بتعدد وتنوع ثقافتها المادية واللامادية، إلا أن هذا الموروث الثقافي لا يزال مادة خام غير مكتشفة عن طريق الدراسات والأبحاث الأكاديمية ومن هنا جاءت هذه الدراسة:

## مقدمة

1. كمحاولة للكشف عن بعض جوانب هذا الموروث الثقافي بإبراز أهمية الاحتفاليات العائلية في منطقة تبسة ورصد الطقوس والممارسات المرتبطة بها والبحث في دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وكشف التغيرات الحاصلة فيها.
  2. محاولة استغلال مناهج البحث الأنثروبولوجي وأدواته في دراسة خصوصيات التراث الشعبي والموروث الثقافي للمجتمع التبسي.
  3. محاولة اختراق حدود بعض الظواهر المسكوت عنها وذلك بإخضاعها للدراسة والبحث وإبراز مدلولاتها الرمزية وأبعادها المختلفة في المنظومة الاجتماعية للمجتمع التبسي.
  4. الحفاظ على الذاكرة الشعبية التبسية خصوصا والجزائرية عموما عبر توثيق الطقوس والممارسات المتعلقة بالاحتفاليات العائلية لصالح الأجيال القادمة.
- أما أهداف الدراسة فيمكن تحديدها في الوصول بالدراسة إلى:

1. الكشف عن تمثيلات المجتمع التبسي للاحتفاليات العائلية ورصد الطقوس والممارسات المرتبطة بها.
2. إبراز المعاني والدلالات الرمزية وكذا الوظائف الاجتماعية والاقتصادية والدينية للاحتفاليات العائلية في المنظومة الاجتماعية للمجتمع التبسي.
3. الكشف عن التغيرات الحاصلة في هذه الطقوس والممارسات على ضوء التحولات الاجتماعية والاقتصادية السريعة التي يشهدها المجتمع التبسي.

أما بالنسبة للدراسات السابقة فإنّ موضوع الاحتفاليات يندرج ضمن المواضيع التي تتناول دراسة عادات البشر وتقاليدهم وطقوسهم وممارساتهم وفضاءاتهم، مستنطقة آثارهم الماثورة والمغمورة، باحثة في طرائق معيشتهم ومسالك نظمهم وإشعاعات رموزهم التي تتوزع بين طبيعة الفولكلور والطقوس وبين صلات القرابة والقبيلة وتجليات المقدس وتداخل الديني بالديني، وهذا ما جعلنا نستعين بعدد من الدراسات سواء في موضوع الأعياد والاحتفاليات بصفة عامة

## مقدمة

أو في بعض الاحتفاليات التي اخترناها كنماذج للدراسة والمتمثلة أساسا في احتفاليتي الختان والمولد النبوي، ومن أبرز هذه الدراسات: كتاب الموالد: دراسات في المجتمع المصري<sup>1</sup> الذي رصد من خلاله الباحث مختلف العادات والتقاليد الشعبية في المجتمع المصري، والتي اعتبرها مرآة عاكسة لحياة الأفراد والجماعات في مصر، وقد استفدنا منه كثيرا خاصة في طريقة عرضه لهذه العادات الاجتماعية مبرزا أبعادها الدينية والدينيوية، ومن جهة أخرى فقد كان للباحثين المغاربة عددا معتبرا من الأبحاث والدراسات أختارنا منها دراسة الباحث المغربي عبدالله حمودي<sup>2</sup>، في دراسته لطقسي " بلومان " و " بولجلود " وهما طقسان مغربيان تقوم بهما بعض القبائل المغربية بعد يومين من عيد الأضحى المبارك، حيث قام بدراستهما وجمعهما في كتابه الضحية وأقنعتها - الذبيحة والمسخرة بالمغرب - إضافة لكتابه " حكاية حج موسم في مكة"<sup>3</sup> يروي فيها الباحث في قصة مؤثرة رحلته إلى البقاع المقدسة التي قام بها عام 1999 خطوة بخطوة، أدخل فيها القارئ بأسلوبه القصصي إلى أجواء الأماكن المقدسة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ثم الصفا والمروة والوقوف بعرفة ليعيش معه روحانية الشعائر التعبدية والطقوس الدينية - من طواف وتأمل ودعاء والتقاط لعدد محدد من الحصى من أجل الرجم - بأسلوب جمع بين رواية الحاج وتحليل الباحث الأنثروبولوجي، كما جاء كتاب الباحث والمفكر المغربي محمد منديب الموسوم بـ الدين والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب<sup>4</sup> والذي يمثل مجموعة أبحاث ودراسات ميدانية في بعض القرى والأرياف المغربية أوضح من خلالها كيف يعيش الأهالي في المجتمع القروي معتقداتهم الدينية في حياتهم اليومية بعيدا عن تعقيدات المدينة

<sup>1</sup> - أحمد مصطفى فاروق، الموالد: دراسات في المجتمع المصري: دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر، دار بورسعيد للطباعة، الإسكندرية، 1980

<sup>2</sup> - عبدالله حمودي، الضحية وأقنعتها: بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، ترجمة عبدالكريم الشراوي، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010،

<sup>3</sup> - عبدالله حمودي، حكاية حج موسم في مكة، ترجمة: عبد الكبير الشراوي، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2010، وقد جاء الكتاب على شكل منهج " قصة حياة " تناول فيه مناسك الحج وشعائره الذي قام به سنة 1999.

<sup>4</sup> - عبدالغني منديب، الدين والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

## مقدمة

والمجتمعات الحضرية وماتضمنه من تحولات اقتصادية وتكنولوجية، وقد جمع الباحث بين تحليله السوسيوولوجي في إبراز أهمية تلك الممارسات على العلاقات الاجتماعية من جهة والأبعاد الأنثروبولوجية لتلك الممارسات ودلالاتها الرمزية من جهة أخرى، وهذا ما حاولنا الاستفادة منه عندما تطرقنا في دراستنا لموضوع الاحتفاليات الدينية، كما جاءت دراسة الباحث الأنثروبولوجي نور الدين الزاهي في كتابه: المقدس والمجتمع، والمقدس الإسلامي<sup>1</sup> أهمية في تحليل الكثير من الطقوس مبرزا أبعادها الاجتماعية والدينية، وهي المسألة التي حاولنا الاستفادة منها في تحليلنا لبعض الاحتفاليات التي تجمع بين بعدها الديني وعاداتها الاجتماعية، ومن جهة أخرى جاءت دراسة الباحث التونسي محمد الهادي الجويلي حول الممارسات الاحتفالية لتلك الأقلية السوداء التي تقطن جنوب تونس حيث جمع دراسته في كتابه الموسوم بـ: "مجتمعات للذاكرة ومجتمعات للنسيان"<sup>2</sup> أكد من خلاله أن أغلب الأقليات الإثنية والدينية حريصة على تحصيل ثقافتها والإبقاء على مميزات رموزها، باعتماده تحليلاً أنثروبولوجياً أظهر من خلاله أن "الأنثروبولوجيا الثقافية" مؤهلة أكثر من غيرها لدراسة ثقافة المجتمعات التقليدية عموماً وثقافة الإثنيات خصوصاً باعتبارها تخترق الحقل الرمزي لهذه المجموعات الذي تؤلفها الأساطير والطقوس والاحتفالات والفنون بأشكالها المتعددة، فتقوم بتتبع دلالاتها وتفكيك رموزها ومكوناتها عبر الكشف عما تختزنه الذاكرة الجماعية من روايات وحكايات وأساطير وأشعار يحتل فيها الماضي الثقل المركزي الذي تجدد فيه هذه المجموعات ملاذاً يقيها كل أنواع الانحلال والتلاشي، كما تمت الاستعانة بدراسة للباحث المصري درويش الأسيوطي حول احتفاليات دورة الحياة في الموروث الشعبي المصري موسومة بـ أفراس الصعيد الشعبية: من طقوس ونصوص

<sup>1</sup> - نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2006. وقد أشار لنفس الموضوع في كتابه الآخر المقدس والمجتمع، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011.

<sup>2</sup> - محمد الهادي الجويلي، مجتمعات للذاكرة ومجتمعات للنسيان، دراسة مونوغرافية لأقلية سوداء بالجنوب التونسي، دار سراس للنشر، تونس، 1994.

## مقدمة

احتفاليات الزواج والحمل والولادة والختان<sup>1</sup>، وهي دراسة مكونة من ثلاث أجزاء، رصد في الجزء الثالث منها مختلف الظواهر المتعلقة بالأفراح الشعبية التي تنتشر في صعيد مصر، والتي عكف على دراستها مستخدماً حسّه الشعري في التقاط فن القول الشفهي، ووعيه البحثي في تأصيل مرجعيتها المعرفية، وهو ما حاولنا الاجتهاد فيه والإستفادة منه خلال دراستنا باستدعاء التأصيل النظري والمعرفي لما يفرزه الميدان من ممارسات وطقوس احتفالية، كما جاءت دراسة: حسن السندوبي حول تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول<sup>2</sup>، وهي دراسة تاريخية رصد من خلالها الباحث الجذور التاريخية لهذه الاحتفالية منذ عصر النبوة والصحابة وما تبعها عبر محطات تاريخية كبرى بعيداً عن التحليل الأنثروبولوجي إلا أنها أفادتنا كثيراً في تتبع تطور هذه الظاهرة الاحتفالية عبر الفترات التاريخية ورصد أهم التغيرات التي لحقت بها.

أما من الدراسات الجزائرية فنجد دراسة مصطفى بوتفوشة حول العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة<sup>3</sup> والتي ساعدتنا كثيراً في فهم المنحى الذي أخذته العائلة الجزائرية أثناء تطورها والتغيرات الحاصلة في مختلف بنيتها الاجتماعية نتيجة التطورات المتلاحقة في مختلف المجالات الحياتية، إضافة إلى ذلك نجد دراسة الباحث نورالدين طوالي حول إشكالية المقدس المدني (الحضري) في المجتمع الجزائري في كتابه الموسوم بـ الدين والطقوس والتغيرات<sup>4</sup>، والذي توصل من خلاله إلى أن المجتمع المدني الجزائري بعد عقدين من الاستقلال لم يتخلص بعد مما أسماه البقايا والطقوس الريفية التي تمارس في المدينة كما كانت عليه في الريف أو البادية،

<sup>1</sup> - درويش الأسويطي، أفراح الصعيد الشعبية: من طقوس ونصوص احتفاليات الزواج والحمل والولادة والختان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

<sup>2</sup> - حسن السندوبي، تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1948.

<sup>3</sup> - مصطفى بوتفوشة، العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة، ترجمة: دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

<sup>4</sup> - نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988.

## مقدمة

ومن الباحثين الذين قاسمونا نفس الموضوع نجد دراسة الباحث عبدالرحمن موساوي الذي تناول فيها احتفالية المولد النبوي في منطقة تميمون بالبحث والدراسة لما تتميز به من خصوصيات على مستوى المكان والزمان والطقوس الاحتفالية وقد توجت دراسته في كتابه الموسوم بـ " الفضاء والمقدس"<sup>1</sup>، أما دراسة الباحث مصطفى قناو فقد كانت حول الولايم والمواسم الاحتفالية في منطقة تلمسان<sup>2</sup>، والتي تناول فيها تصنيف الطقوس الاحتفالية وتبيان أنواعها ودلالاتها الرمزية وأبعادها الاجتماعية في المجتمع التلمساني، وهو ما حاولنا الاستفادة منه في رصدنا للطقوس والممارسات الاحتفالية في المجتمع التبسي.

ومن الدراسات التي ركزت على الجانب الفرجوي والفني نجد دراسة الدكتور حسن يوسفى عندما قارب فن الحلقة المغربية في بحثه الموسوم بـ " الفرجوي بين الحلقة والمسرح"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> -- Abderrahmane Moussaoui, Espace et sacre au Sahara, Ksour et Oasis du Sud-- ouest Algérien, I S B N, Paris 2000.

<sup>2</sup> - مصطفى قناو، الولايم والمواسم الاحتفالية في منطقة تلمسان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، تخصص ثقافة شعبية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - للسنة الجامعية: 2010 / 2011.

<sup>3</sup> - هذه الدراسة هي مبحث من كتاب للباحث المغربي الدكتور حسن يوسفى بعنوان " المسرح والفرجات" الصادر حديثاً ( أكتوبر 2012 ) عن منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، وقد أشار الدكتور حسن يوسفى في مقدمة الكتاب إلى أن الفرجة تحظى اليوم باهتمام بالغ من لدن بعض المحافل العلمية على الصعيد الدولي، وهذا الاهتمام يرجع إلى أن المنظورات التي كانت سائدة حولها ما فتئت تتجدد باستمرار، نظراً لما أصبحت تفرزه من أشكال وأنماط فرجوية مغايرة نتيجة تفاعلها مع التحول الهائل الذي تعرفه التعبيرات الثقافية في عالم معولم، ونظراً لتجدد وتنوع المقاربات التي اهتمت بها، وذلك في ضوء ما تبلوره الأبحاث المعاصرة في مجال دراسات الفرجة، وفي ظل هذا الاهتمام المعري، فالدكتور حسن يوسفى يسعى إلى اقتراح مقارنة لها في علاقتها بالسياقات الثقافية التي أفرزتها، سواء أكانت سياقات تقليدية أو حديثة، وقد اختار مجموعة من النماذج لذلك: فرجات طقوسية أو جسدية أو إيقاعية أو ترفيهية أو غيرها، وهي تتصل إما بالجال المغربي أو العربي أو الغربي؛ وقد أوضح الباحث أن الفرجة تتخذ أشكالاً وصيغاً متنوعة، فتتمظهر في شكل طقوس وشعائر أو احتفالات أو أعياد، كما يتميز فيها الرقص بالغناء والإنشاد، وتعتمد مختلف اللغات والوسائل التعبيرية المستعملة في الفرجة بما فيها الكلمة سواء كانت حكياً أو شعراً أو زجلاً أو غيره، إضافة إلى الإيقاع والجسد، حيث يعتقد المؤلف أنه بالإمكان تصنيف الفرجات إلى ثلاثة أصناف كبرى هي: فرجات طقوسية، فرجات جسدية، فرجات إيقاعية، حيث يقصد بالفرجات الطقوسية تلك التي تندرج في صلب الحدث الديني أو الاجتماعي المرتبط بالحياة اليومية أو بالفترات الزمنية الحاسمة في معيش الإنسان، وهي تنقسم إلى فرجات ذات طابع روحي أو ديني، وتندرج ضمنها طقوس الزوايا، وهناك فرجات تتخذ طابعاً سوسولوجياً وتندرج في صلب بعض الأشغال الموسمية للإنسان في علاقته بأرضه وبمعيشتها، في حين أن طقوس الزواج والأعراس تتخذ في الغالب شكل احتفال منظم تتخلله لحظات فرجوية منظمة يتم تنفيذها عبر مراحل، ويشير المؤلف إلى أن الأعراس غالباً ما تكون مناسبة لانتعاش الفرجات الجسدية، لاسيما من خلال طبيعة الرقصات التي يتم تأديتها بشكل فردي أو جماعي، حيث تعرف كل منطقة من مناطق بفرجة جسدية خاصة بها.

## مقدمة

والباحث المغربي حسن المنيعي عميد النقد المسرحي في دراسته حول " أفق تحديث الفرجة المغربية " والباحث محمد أمين في بحثه حول " الفرجة بين المسرح والأنثروبولوجيا " والباحث يونس الوليد في بحثه " المقدس والفرجوي في الليلة العيساوية " والكاتب سعيد الناجي في بحثه " تأصيل الفرجة وطرائق الاحتفال في الثقافة العربية الإسلامية " وهي الأعمال التي تم جمعها في كتاب جماعي موسوم بـ " الفرجة بين المسرح والأنثروبولوجيا " <sup>1</sup>.

ومن الدراسات الميدانية نجد دراسة الباحث الفرنسي " مارسيل موس " <sup>2</sup> الذي درس الهبة والهدية وطقوس البوتلاتش والكولا، هذه الدراسة التي تستمد قيمتها من كونها أشهر نصّ في علم الإناسة وأكثرها كثافة معرفية، حيث درس الهبة بوصفها شكلاً للتبادل في الاقتصاديات والتشريعات القديمة في عدد من الحضارات (الهندوسية، الرومانية، الجيرمانية، الهنود الحمر، جزر المحيط الهادي، العرب، إلخ...) ليخلص في الأخير إلى أنّ التبادل المعتمد على الهبات وإن كان لا يدخل في إطار الاقتصاديات النفعية التي تسودها "العقلية الحساوية الباردة" في المجتمعات المعاصرة، وما يميز ذلك أنها لا تزال تحافظ على بعض مظاهرها إلى الآن، مثل نظام الضمان الاجتماعي، التقاعد، الحماية الاجتماعية وغيرها.

ومن الدراسات التي أعطت للطقوس الاحتفالية بُعداً في التحليل السوسيوأنثروبولوجي نجد أعمال الباحث الأنثروبولوجي " أرنولد فان جنيب " <sup>3</sup> (A. Van Gennep) في كتابه " طقوس العبور " الذي صدر سنة 1909، والذي لقي اهتماماً كبيراً لدى العديد من الباحثين خاصة بعد ترجمته

<sup>1</sup> - أنظر أعمال هؤلاء الباحثين في كتاب جماعي حول: الفرجة بين المسرح والأنثروبولوجيا، سلسلة أعمال الندوات رقم 8، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بتطوين، جامعة الملك السعودي، المغرب، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002.

<sup>2</sup> - مارسيل موس، بحث في الهبة شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة المولدي الأحمر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، وقد كانت دراسته لظاهرة " الهبة " من خلال نظام البوتلاتش لدى هنود مايعرف بكولومبيا البريطانية غرب كندا والتي كانت تمارس البوتلاتش أثناء احتفالات ممتدة عبر فترات طويلة وطقوس خاصة، أما نظام الكولا لدى قبائل جزر التروبرياندا ( Trobrian ) شمال شرق غينيا الجديدة بالمحيط الهادي، هذه الدراسة التي ترجمت إلى عدة لغات أوروبية وغير أوروبية، وأعيد مؤخراً طبعها في فرنسا.

<sup>3</sup> - Van Gennep, A. The Rites of Passage, Translated by Vizedom, M. and Caffee G., The University of Chicago Press, Chicago, 1960, P:11

## مقدمة

إلى اللغة الإنجليزية سنة 1960، وهي من أولى الدراسات التي وضعت أرضية لتصنيف ومقاربة طقوس العبور وفق المراحل التقليدية لحياة الإنسان مهما كان المجتمع والثقافة التي ينتمي إليها، بدءا بالولادة ثم الحتان والزواج بمختلف مراحلهم ثم الموت وطقوسه معالجا في الأخير مجموعة متفرقة من الطقوس المختلفة الأخرى، وقد اعتمدنا على هذه النظرية كأساس معرفي في التحليل الأنثروبولوجي للاحتفاليات المتعلقة بدورة الحياة في دراستنا على المجتمع التبسي وذلك في الفصل المتعلق بدراسة احتفالية الحتان.

وخلاصة ذلك أننا لا نزعم أن تكون مقاربتنا الأنثروبولوجية للظاهرة الاحتفالية البديل المثالي لتلك الدراسات والأطروحات التي أشرنا إليها، وإنما حاولنا الاستفادة منها بما يحقق الإحاطة بالموضوع والتعمق في مختلف جوانبه والإلمام بأبعاده الاجتماعية، الدينية، الثقافية، الفرجوية وغيرها، وهذا ما ساعدنا على بلورة إشكالية هذه الدراسة والمتمثلة في التساؤل الرئيسي التالي: ماهي تمثيلات المجتمع التبسي للاحتفاليات العائلية والطقوس والممارسات المرتبطة بها، ودلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية، والتغيرات الحاصلة فيها؟

ويندرج تحت هذا الإشكال الرئيسي ثلاث تساؤلات فرعية كالاتي:

التساؤل الفرعي الأول: ماهي تمثيلات المجتمع التبسي للاحتفاليات العائلية والطقوس والعادات المرتبطة بها والممارسات المرافقة لها؟

نحاول من خلاله مساءلة مكانة الاحتفاليات العائلية في المخيال الاجتماعي والثقافي التبسي من حيث أبعاده الدينية والاجتماعية والاقتصادية ورصد الطقوس المصاحبة لها والعادات والتقاليد المرتبطة بها والكشف عن الممارسات الاحتفالية المرافقة لها في سياق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة في المجتمع التبسي.

التساؤل الفرعي الثاني: في ماذا تتمثل الدلالات الرمزية لهذه الطقوس والممارسات الاحتفالية؟ وماهي وظائفها الاجتماعية والدينية والاقتصادية في المنظومة الاجتماعية للمجتمع التبسي؟

نحاول من خلال هذا التساؤل الكشف عن المعاني والدلالات المختلفة للطقوس والممارسات المرتبطة بهذه الاحتفاليات العائلية مبرزين تجلياتها في البناء الاجتماعي كما سنحاول تحليل وظائفها وأبعادها الثقافية والاجتماعية في المنظومة الاجتماعية للمجتمع التبسي.

التساؤل الفرعي الثالث: إلى أي حد تعرضت هذه الطقوس الاحتفالية والممارسات المرتبطة بها إلى التغيرات على ضوء التحولات الاجتماعية والاقتصادية السريعة التي يشهدها المجتمع التبسي؟

نحاول من خلال هذا التساؤل الغوص في لب الظاهرة الاحتفالية وتتبع العادات والتقاليد والممارسات المرتبطة بها عبر التاريخ للوقوف على التغيرات التي طرأت عليها في سياق التحولات الاجتماعية والاقتصادية السريعة التي يشهدها المجتمع التبسي.

وتجدر الإشارة إلى أننا سنسعى في الإجابة على تساؤلات هذه الإشكالية انطلاقاً من تفادي بناء فرضيات مسبقة حول الموضوع، وإنما سنترك البحث الميداني وما سيفرز من نتائج هو الكفيل بالإجابة على هذه التساؤلات، وبالتالي تجنّب النزول إلى الميدان بقوالب جاهزة وإجابات مسبقة نريد أن نثبتها أو ننفينا، وهو اتجاه تتبناه العديد من المقاربات المنهجية المعاصرة وخاصة في البحوث الأنثروبولوجية من منطلق استنطاق الظاهرة وتفادي الحلول محلها، وهو ما سيضفي على الدراسة أكثر قدر ممكن من الموضوعية والتوجيه القبلي للبحث وتجنّب إطلاق الأحكام المسبقة.

كما أننا لم نتبع المنهجية المتعارف عليها في العلوم الاجتماعية والمتمثلة في الفصل بين الجانب الميداني من الدراسة والجانب النظري منها، وإنما حاولنا دمجهما معاً، وهو اتجاه منهجي تتبناه بعض الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة بالرغم مما تتطلبه من قدرات معرفية ومنهجية تمكن الباحث من الانتقال من المعلومات التي يفرزها البحث الميداني إلى استدعاء ما يتطلبه ذلك من تأصيل نظري ومعرفي وتحليل أنثروبولوجي يناسبه.

وقد تم تقسيم بحثنا إلى مقدمة ومدخل وخمس فصول، حيث تضمنت المقدمة بناء الإشكالية التي تسعى الأطروحة للإجابة على تساؤلاتها، أما المدخل فقد خصصناه للإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية في هذه الدراسة، أما فصول الدراسة، فقد تناولنا في **الفصل الأول** المقاربة المفاهيمية لموضوع الأعياد والمواسم والمناسبات الاحتفالية بصفة عامة حيث أبرزنا من خلالها مفهوم الاحتفاليات وجذورها التاريخية، إضافة إلى رصد أنواعها المختلفة في المجتمع الجزائري عموماً وفي المجتمع التبسي خصوصاً، وذلك بشكل عام، لأننا سنتطرق إلى تفاصيل هذه الاحتفاليات في الفصول القادمة من هذه الدراسة.

أما **الفصل الثاني** فقد تم تخصيصه لدراسة الاحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة بدءاً باحتفاليات إستقبال المولود، الختان ثم الزواج بمختلف مراحلهم ثم الموت والطقوس الجنائزية، حيث تم التطرق لأهم الممارسات الاحتفالية وكشف أبعادها ووظائفها ودلالاتها الرمزية، في حين تم تخصيص **الفصل الثالث** لدراسة إحتفالية الختان - دراسة تفصيلية - كنموذج عن احتفاليات دورة الحياة، لنرصد من خلالها الطقوس والممارسات المرتبطة بهذه المناسبة محاولين كشف دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية وأهم التغيرات التي طرأت عليها في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمع التبسي، أما **الفصل الرابع** فقد تناولنا فيه الأعياد والاحتفاليات المتعلقة بالمناسبات الدينية مثل عيد الفطر، عيد الأضحى، الحج إلى

## مقدمة

البقاع المقدسة، شهر رمضان وليلة القدر، المولد النبوي، عاشوراء، رأس السنة الهجرية والميلادية وغيرها من الاحتفاليات ذات الأبعاد الدينية، حيث يتم التطرق لأهم الممارسات الاحتفالية وأبعادها ووظائفها وكشف دلالاتها الرمزية المختلفة، أما **الفصل الخامس** فقد تم تخصيصه لدراسة إحتفالية المولد النبوي - دراسة تفصيلية - كنموذج عن الاحتفاليات الدينية، لنرصد من خلالها الطقوس والممارسات المرتبطة بها محاولين كشف دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية وأهم التغيرات التي طرأت عليها في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمع التبسي، وفي الأخير كانت خاتمة البحث واستعراض النتائج التي توصلت إليها الدراسة ثم قائمة المصادر والمراجع التي تمت الاستعانة بها في إنجاز هذه الأطروحة، وقد تم ترتيبها ترتيباً ألف بائياً حسب الحرف الأول من لقب المؤلف ثم إسمه، وهذا لتجنب تشابه أسماء المؤلفين، وهو الأمر الذي تتبناه الكثير من الاتجاهات المنهجية في البحث العلمي، ثم كانت ملاحق الدراسة التي شملت ملحق حول خرائط ولاية تبسة لتوضيح منطقة البحث والدراسة، وملحق حول المبحوثين الذين إعتدنا عليهم في هذه الدراسة يتضمن قائمة بأسمائهم وأعمارهم وأماكن إقامتهم، إضافة إلى ملحق يتضمن مجموعة من الصور كتوثيق لبعض العادات والممارسات لإحتفاليتي الختان والمولد النبوي في المجتمع التبسي، إضافة إلى ملحق يتضمن دليل المقابلة الذي يبين المحاور الكبرى لتساؤلاتنا مع المبحوثين؛ أما الملحق الأخير فيتعلق بمجموعة من الوثائق والصُّور الخاصة بمشروع ترشيد نفقات الأعراس في منطقة الشريعة الذي تمت مناقشته والمصادقة عليه في الإجتماع الموسّع المنعقد بمسجد الإصلاح بالشريعة ولاية تبسة (الجزائر) ثم ملخص الأطروحة باللغات الثلاث، وأملي في الأخير أن تكون الأطروحة قد أجابت عن إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، وحققت بذلك أهدافها حول موضوع الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية في المجتمع التبسي في ظل مقاربة أنثروبولوجية.

مدخل

الإجراءات المنهجية  
والشبكة المفاهيمية

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

### مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

تمهيد :

كل بحث علمي يستوجب إتباع خطوات منهجية معينة يتم من خلالها تحديد الإجراءات المنهجية المتبعة في الدراسة والشبكة المفاهيمية التي يتطلبها البحث وعليه فإن هذا المدخل تم تخصيصه لعرض المقاربة المنهجية التي فرضها موضوع البحث من مناهج معتمدة في هذه الدراسة مع التركيز على تبيان كيفية توظيفها، وكذا الأدوات المستخدمة في جمع البيانات، بالإضافة إلى تبيان مجتمع البحث وعينة الدراسة مع توضيح الفضاء البشري والمكاني والزمني، وفي الأخير قمنا بتحديد مجموعة من المفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة، فهذه المسائل من العناصر الضرورية في كل بحث علمي، فما بالك بدراسة في مستوى الدكتوراه.

### أولاً: المناهج المعتمدة في الدراسة

الظاهرة الاحتفالية من الظواهر التي تم تناولها من طرف العديد من العلوم والمقاربات المعرفية، كعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ والأدب والعلوم الشرعية وغيرها من التخصصات، وذلك لتشعبها وشموليتها وتداخلها، فهي من الموضوعات العابرة للتخصصات، إلا أنها لتجد ضالتها أكثر في الأنثروبولوجيا، فهي المؤهلة أكثر من غيرها لدراسة المجتمعات التقليدية والمحلية والإثنيات" لقدرتها على اختراق الحقل الرمزي لهذه المجموعات التي تؤلفها الأساطير والطقوس والاحتفالات والفنون، فتقوم بتتبع دلائله وتفكيك رموزه ومكوناته عبر الكشف عما تحتزنه الذاكرة الجماعية من روايات وحكايات وأساطير"<sup>1</sup>، فالأنثروبولوجيا بما تملكه من أدوات تسعى لتفكيك الصور والرموز التي يعتمد عليها أي مجتمع في تعبيراته الجسدية والرمزية التي يمارسها خصوصاً في طقوسه الاحتفالية ولذلك فالمقاربة الأنثروبولوجية

<sup>1</sup> - محمد الهادي الجويلي، مرجع سابق، ص 13

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

التي سنعمد عليها في موضوعنا المتعلق بالأعياد والاحتفالات العائلية من خلال رصد ممارساتها والعادات والطقوس المرتبطة بها والبحث في دلالاتها الرمزية ووظائفها المختلفة وتتبع التحولات الاجتماعية والتغيرات التي تعرضت لها، وهذا ما يتطلب منا الاعتماد على تطبيق منهجية علمية بما يستدعيه موضوع البحث للكشف عن الزوايا الخفية فيه، وهذا مادفعنا إلى إستخدام المنهج الإثنوغرافي في وصف الظاهرة الإحتفالية وصفا دقيقا ومكتفا من خلال تتبع المشاهد الإحتفالية وما يصاحبها من ممارسات دينية، وعادات اجتماعية، ومظاهر فرجوية، وغيرها، أما المنهج التحليلي المعتمد في هذه الدراسة فهو المنهج البنيوي الوظيفي وقد تم إستعماله في تحليل البنى المشكلة للظاهرة الإحتفالية من جهة والوظائف التي تقوم بها هذه البنى من جهة أخرى بما يحقق الترابط والتكامل بين هذه البنى في خدمة الظاهرة الإحتفالية ككل وتحقيق مكانتها ودورها في المجتمع، ولتدعيم ذلك فقد تمّت الإستعانة بنظرية طقوس العبور قصد استنطاق الممارسات الإحتفالية المتعلقة بدورة الحياة خصوصا داخل العائلة والمجتمع، ونظرية التفاعلية الرمزية قصد البحث في تحليل وتفسير الدلالات والمعاني الرمزية للطقوس والممارسات الإحتفالية، كما كان لأبحاث مارسيل موس دور في إبراز مكانة الهدية وأهمية التضامن الاجتماعي في مثل هذه المناسبات الإحتفالية والأعياد في المجتمعات المحلية، وبذلك تكون هذه المقاربة المنهجية أكثر ملاءمة لهذه الدراسة بما يمكننا من الإجابة على تساؤلاتها وتحقيق أهدافها.

### ثانيا: أدوات وتقنيات الدراسة

إن المقاربة الانثروبولوجية لموضوع الأعياد والمناسبات الإحتفالية تقتضي منا الاستعانة بجملة من الأدوات والتقنيات البحثية في جمع البيانات والمعلومات والكفيلة بالوصول بالموضوع إلى تحقيق أهدافه وهي:

### 1 - الملاحظة:

تعتبر الملاحظة من أهم وسائل وتقنيات البحث في جمع البيانات ورصد الأحداث والظواهر، " فقد أستخدمت في جمع المعلومات لدى جميع الشعوب، بدائية كانت أم متحضرة، في الماضي أو في الحاضر، وذلك من أجل الحصول على المعلومات عن الأشياء والمواقف المحيطة بهم والتعرف على ظواهر الحياة ومشكلاتهم"<sup>1</sup>، فينزل الباحث إلى الميدان ويلاحظ الناس ويتابع أنشطتهم المختلفة، " فالباحث يقف موقف الملاحظ والمعاين والمشاهد، يرى ويسمع ويحس، فيقوم بجمع المادة وتسجيلها وتدوينها مباشرة في كراسته من مصادرها ومن أفواه أصحابها ومن يومياتهم الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والإعتقادية"<sup>2</sup>، وبذلك لا يمكن أن ننكر أهمية الملاحظة عند الباحث الأنثروبولوجي بما تثيره من قضايا وصعوبات وبما تفرضه من طاقات معرفية وجسدية ونفسية واجتماعية وثقافية وأخلاقية، فإنها تبقى أداة مهمة وأساسية في جمع المعلومات وتدوينها، وفي هذا الصدد فقد نبّه البروفيسور محمد سعيدي في أطروحته إلى أنّ الملاحظة قد تكشف في بعض الحالات عن قصورها ومحدودية مردودها حيث لا تفني دوماً بالغرض العلمي المطلوب في جمع المادة وتدوين المعلومات الكافية حول موضوع الدراسة، الأمر الذي يفرض على الباحث التفكير في وسيلة بحثية أخرى أكثر فاعلية حتى يقترب أكثر من مادة موضوعه "فيتعدى بذلك من مستوى الملاحظة إلى مستوى الإندماج الكلي مع مجتمع البحث، يشاركون نشاطهم اليومي كعضو ينتمي إليهم، وقد تصل به درجة الإندماج إلى حالة يوشك أن يكون فيها الباحث أحد عناصر مجتمع البحث، فتتحول في هذه الحالة الملاحظة البسيطة المحدودة إلى الملاحظة المشاركة أو كما يحلو للبعض تسميتها بـ: الملاحظة بالمشاركة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - وسام العثمان، المدخل إلى الأنثروبولوجيا، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2002، ص: 118.

<sup>2</sup> - محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق: دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة في الأنثروبولوجيا، جامعة تلمسان، 2006/2007، ص: 77.

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص: 78.

### 2 - الملاحظة بالمشاركة ( المعاشية ):

يُعرّف الباحث الانثروبولوجي عاطف وصفي الملاحظة بالمشاركة بأنها: " مشاركة الباحث في النشاط الإجتماعي والثقافي الذي يقوم به أهالي منطقة الباحث هذا من جهة، ومن جهة ثانية الحضور الشخصي والدائم والمستمر بينهم طيلة مدة إنجاز البحث وجمع مادته"<sup>1</sup>، وهي التي يصبح فيها الباحث أكثر إندماجاً وتعايشاً مع أعضاء المجتمع المدروس بفضل تلك العلاقات التي يربطها معهم بما يجعله يكسب ودّهم، وبالتالي يكون التعامل معه دون تحفّظات مسبقة من شأنها أن تجعل المبحوث يصرّح بكل ما لديه من معلومات صادقة.

وقد تمّ توظيف هذه التقنية في رصد مختلف العادات والممارسات الاحتفالية، حيث سمحت لنا بمشاركة العائلات والأفراد المبحوثين والاندماج معهم وحضور بعض احتفالاتهم ممّا مكّننا من ملاحظة تلك الطقوس والممارسات والعادات المرتبطة بهذه الاحتفاليات وبالتالي تسجيل وتوثيق الكثير من البيانات والمعلومات بطريقة تلقائية وعفوية، ومما ساعدنا كثيراً على ذلك أني أحد أبناء هذه المنطقة ولدت فيها، ونشأت بين أهلها، ولي معرفة واسعة بسكانها، وهذا ما سهّل علينا الاندماج في مجتمع البحث ومعايشة أفرادها وربط العلاقات معهم.

وهنا نشير إلى تلك الجدلية المنهجية بين الباحثين في حقل الانثروبولوجيا بين الدراسة من خارج المجتمع المدروس والدراسة من داخله، وقد أوضح البروفيسور محمد سعيدي هذه الجدلية بقوله: "وما يميز الملاحظة البسيطة عن الملاحظة بالمشاركة هي تلك الجدلية التي تقوم على ثنائية الدراسة من الخارج والدراسة من الداخل، لقد وصفت الملاحظة البسيطة بالدراسة من الخارج في حين وصفت الملاحظة بالمشاركة بالدراسة من الداخل"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للحالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربون الأمريكية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص: 285.

<sup>2</sup> - محمد سعيدي، الانثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص: 79.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

ومن هذا المنطلق تفرض الملاحظة بالمشاركة على الباحث من حيث الطرح التقني والإجرائي خطوات صارمة تتطلب منه بعد إختيار موضوعه، وتحديد ميدان بحثه أن يبدأ "بالتعريف على الأهالي ( المجتمع المدروس) من حيث تركيبهم الجغرافية والاجتماعية وكذا من حيث أصلهم ونسبهم وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، ثم الإقتراب منهم تدريجيا حتى ينال رضاهم وثقتهم وقدرتهم على قبول إندماجه بينهم دون عنف أو إستعمال الحيلة والكذب أو التسرع، وهذا ما أوصى به الباحثون في حقل الأنثروبولوجيا بأن يكون السلوك الإندماجي في المجتمع المدروس سلوك هادئ وتدرجي"<sup>1</sup>

إنّ الملاحظة بالمشاركة بهذه المعاني ليست عملية سهلة وبسيطة، وليست جولة سياحية وترفيحية رومانسية، وليست أيضا جولة إستطلاعية واستكشافية لعناصر عجائبية وغرائبية، "إنّما في حقيقة الأمر سفرية يقوم بها الباحث من عائلته الخاصة والأصليّة نحو عائلة أخرى مختلفة ومُخالفة لعائلته بل أكبر حجما وأوسع مكانا، حيث يعمل الباحث على الإندماج مع أفرادها والتعايش معهم وكسب ودهم، فهي بذلك سفريّة مدروسة ومُصمّمة من حيث الأهداف والمقاصد والخطوات، كل ذلك وفق منطق علمي واع ومسؤول لأنه يخضع لقواعد منهجية دقيقة وأسس علمية وتقنية مضبوطة"<sup>2</sup>.

ومن هنا نفهم سرّ بقاء عدد من الباحثين في مناطق أبحاثهم وبين أهالي موضوع بحثهم حيث تحوّلت العلاقات العلمية إلى علاقات إنسانية وإجتماعية فقد إستقر عدد من هؤلاء الباحثين في هذه المناطق البعيدة عن مواطنهم الأصلية، فالبعض منهم تزوّج من نساء هؤلاء الأهالي، والبعض الآخر باشر نشاطا إجتماعيا وإقتصاديا، لقد كان البحث الميداني وماهجه الباحثون من إجراءات بحثية كالملاحة بالمشاركة سببا قويا في إستقرار هؤلاء في هذه المناطق والمجتمعات وعدم العودة إلى بلدانهم وعائلاتهم الأصليّة بعد الإنتهاء من أبحاثهم ودراساتهم.

<sup>1</sup> - محمد سعدي، الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع نفسه، ص: 79-80

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص: 80. بتصرف

### 3- المقابلة المفتوحة:

تُعدّ المقابلة من الإجراءات المهمّة التي قد يعتمدُها الباحث في جمع مادة بحثه خاصة في الدراسات الميدانية، وبالتالي فإنّ شأنها شأن الملاحظة والملاحظة بالمشاركة، حيث يتّجه الباحث نحو أشخاص مُحددين مُسبقاً يُقابلهم ويتحدّث معهم حول موضوع بحثه وكلّ مايتعلّق به سواء بطريقة مُباشرة أو غير مُباشرة، وذلك حسب الظروف والحالات النفسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة للمبحوثين.

إن طبيعة موضوعنا المتعلّق بالأعياد والمناسبات الإحتفالية والطقوس والممارسات المرتبطة بها، فرضت علينا استخدام "المقابلة الحرة والمفتوحة"<sup>1</sup> مع أولئك "المبحوثين"<sup>2</sup> من النساء والرّجال والشباب، القاطنين بمنطقة تبسة، وقد اخترنا هذا الصّنف من أنواع المقابلات حتى نفسح للمبحوث مجالاً أكثر حرية في التعبير عن كلّ ما يريد أن يقوله، ثم نُنحِت من إجاباته بعض الأسئلة الأخرى الآنية و وليدة اللحظة - غير المبرجة مُسبقاً - للتعمّق والإحاطة بالموضوع ومعرفة مدى التوافق أو المخالفة مع تلك المعلومات التي جمعناها من الميدان.

لقد تم استخدام المقابلة المفتوحة حيث تتطلب إعداداً وتدريباً مُسبقاً حتّى تكون نتائجها من الدّقة والموضوعية التي تقابل إشتراطات المنهج العلمي، كما يعود سبب استخدامنا لهذا النوع من المقابلات كونها أكثر مرونة حيث تسمح بملاحظة المبحوث والتأمل في حركاته وملامح وجهه خلال إجاباته، وبالتالي التعمّق في فهم مدلولات هذه الطقوس والممارسات الإحتفالية.

من هذا المنطلق، لا يُمكن الإعتقاد أنّ المقابلة أثناء البحث الميداني عمليّة عاديّة وسهلة وبسيطة قد يقوم بها الباحث دون عناء أو جُهد أو حتّى صُعوبات، ولعلّ أهم الصّعوبات قد تتمثّل في عدد من الإجراءات والمواقف التي تفرض على الباحث أن يأخذها بعين الإعتبار

<sup>1</sup> - أنظر دليل المقابلة في الملحق رقم (4).

<sup>2</sup> - أنظر قائمة المبحوثين وبياناتهم في الملحق رقم (2)

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

ويحسب لها حسابات معرفية ونفسية واجتماعية وثقافية، وذلك لضمان سلامة إستخدامها وإستثمار نتائجها، ومنها:

- "ضرورة اختيار الأشخاص الذين تتوفر فيهم الثقة والصّدق والمعرفة الواسعة بشؤون المنطقة والأهالي من جهة وموضوع البحث من جهة أخرى.
- حسن إختيار الأسئلة الهادفة والواضحة وذات الصلة الوطيدة بموضوع البحث، وهنا تظهر قدرة الباحث في التدرّج مع مبحوثيه من السّؤال البسيط إلى المركّب وفي قدرته على طرح أسئلة فرعية وليدة اللحظة (غير مبرمجة مسبقاً) مُستنبطة من إجابات المبحوثين والتي بإمكانها أن تُقدّم معلومات إضافية مُفيدة حول موضوع البحث .
- حُسن إختيار وقت المقابلة الذي يُناسب المبحوث ويكون فيه حُرّاً ومُتفرغاً للمقابلة بعيداً عن ظروف العمل أو أي واجبات أو إنشغالات أخرى قد تُعيق المبحوث من حضور المقابلة أصلاً أو إعطائها وقتاً غير كافٍ.
- حُسن إختيار مكان إجراء المقابلة، بأن تكون بعيدة عن أنظار النّاس الذين قد يزعجون المبحوث أو أنّ المبحوث نفسه قد يتضايق من وجودهم، مما يجعله في وضعية حرجة، ولا يُفصح عن كل ما يريد أن يقوله حياءً من الحضور أو خوفاً منهم.
- إحترام الحالة النفسية للمبحوثين وعدم إجبارهم على إجراء المقابلة ، وفي حالة رغبتهم في عدم إستكمال المقابلة لأي سبب، فيجب إحترام رغبتهم وعدم الضّغط أو التّحاييل عليهم"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - محمد سعيدي، الانثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص: 90-91.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

ومهما يكن من أمر المقابلة ونوعها، على الباحث أن لا يقف عند حدود مقابلة شخص واحد أو عينة صغيرة ومحدودة من المبحوثين، فلا بد وأن يُوسّع الباحث من مجال ودائرة مبحوثيه وأن يُنوّع و يُكثّر من المقابلات لأنّ " تعدد واختلاف المبحوثين ومقابلاتهم حول الموضوع الواحد قد يكشف عن الإختلافات أو عن الأفكار الخاطئة والمزيفة التي قد تكون من وحي وإبداع مبحوث أثناء المحادثة، وعن طريق المقابلة يقوم الباحث بمراجعة المادة المستوحاة من الملاحظة فضلا عن الحصول على معلومات مُحدّدة عن جوانب معينة"<sup>1</sup>

ونشير هنا أنّ الباحث بإمكانه الإستعانة بآلة التسجيل الصّوتي أو الفيديو أثناء إجراء مُقابلاته شريطة أن لا تُزعج هذه الآلات المبحوثين الذين قد يرفضون تسجيل حديثهم لعدّة إعتبارات عُرفيّة محلّية أو نفسيّة أو إجتماعيّة، فالباحث مُطالب بعدم التّحليل مع مبحوثيه وذلك حتى ينال ثقتهم ورضاهم، فإذا كانوا يرفضون التسجيل، فلا بد وأن يحترم موقفهم ولا يُسجّل جلسة أو خفية لأنه لو يُكتشف أمره في هذه الحالة فقد يفقد ثقتهم، وبذلك يخسر الهدف من تواجده بين هؤلاء المبحوثين وبذلك تكون الضربة القاضية لإنجاز موضوع بحثه، أما إذا سمحوا له بذلك فهي فرصة كبيرة للباحث لإستثمار المقابلة إستثمارا شاملا، فيمكنه التّسجيل من الحصول على مادة علمية غزيرة يصعب عليه كتابتها وتدوينها أثناء المقابلة كما يصعب عليه تذكرها بعد أن يعود إلى مكتبه، "فيُصبح بذلك التسجيل الصّوتي وشريط الفيديو المنجز خلال المقابلة فرصة للباحث لسماع وإعادة مشاهدة ما سجّله وهو جالسٌ في مكتبه ليعيش المقابلة من جديد وكأنّها حيّة تجري في وقتها"<sup>2</sup>، وبذلك يستطيع التركيز على مُحتواها بكل تفاصيله الكبيرة والصغيرة، الشئ الذي يُمكنه من إجراءات إضافية في فرز أقوال مبحوثيه وتصنيفها وتحليل مُحتوى مُقابلاته وكشف دلالاتها والبحث في أبعادها.

<sup>1</sup> - وسام العثمان، مرجع سابق، ص: 123.

<sup>2</sup> - محمد سعدي، الانثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص: 92.

### 4 - التصوير الفوتوغرافي والتسجيل الصوتي والفيديو:

لقد عرف البحث الميداني في حقل الأنثروبولوجيا تطورا كبيرا وذلك لإستعانة الباحث أثناء تواجده في الميدان بالوسائل السمعية والبصرية المتطورة الشيء الذي يسمح له بتسجيل كل شاردة و واردة، وكل ماعجز عن تسجيله الكتابي أو عجزت ذاكرته عن إستيعابه وتذكره، وهكذا يتم إستعمال التسجيل الصوتي إذا كان الموضوع يتطلب ذلك، أو إستعمال التسجيل الفوتوغرافي إذا إقتضى الموضوع إلتقاط الصور التي من شأنها توثيق بعض العادات الإجتماعية أو تسجيل بعض الأحداث والممارسات والطقوس الإحتفالية في صورة فيلم يمكن للباحث أن يعود إلى مُشاهدته ورؤية الأحداث من جديد ويعيش ميدانه من جديد حياً يتحرك أمامه وقت ماشاء وأيما شاء.

وقد أكد بعض الباحثين أهمية إستعمال الصورة الفوتوغرافية في توثيق بعض المشاهد والأحداث والعادات، بقوله: " يُعدّ التصوير الفوتوغرافي واحداً من أهم الأدوات والوسائل التي اعتمد عليها الأنثروبولوجيون في توثيق ملاحظاتهم الميدانية أو في تأكيد الوصف الذي يقدمه الأنثروبولوجي للمجتمع الذي يدرسه " <sup>1</sup>، إذا كانت هذه الأهمية للصورة الفوتوغرافية فإنّ لبقية التقنيات الحديثة الأهمية الأكبر في تطور البحث الميداني، وهو ماذهب إليه بعضهم بقوله إنّ: " تنوّع مصادر المعلومات من شأنه أن يضيفي على البحث عمق الدراسة وشموليتها" <sup>2</sup>، فعن طريقها يتم توثيق جملة الأحداث والوقائع المرئية المرتبطة بالطقوس الاحتفالية كما أنّ هناك العديد من المعاني التي تكمن في داخل النص البصري قد لا تبدو واضحة للعيان في الملاحظة العادية، بينما الصورة والتسجيل البصري ( الفيديو ) قد يكشف جزئياتها وتفصيلها مما يجعل نتائج تحليل النص البصري أكثر إبداعية باكتشاف أشياء وتفصيل لم ينتبه إليها الباحث خلال ملاحظته العادية، "لقد مكّنت هذه الوسائل والتقنيات الباحث من أن يُسجّل بدقّة كل

<sup>1</sup> - محمد الجوهري وآخرون، الأنثروبولوجيا الإجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص344

<sup>2</sup> - محمد عبده محجوب، طرق ومناهج البحث السوسيوأنثروبولوجي، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص67

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

الكلمات ونبرات الصوت بنفس الطريقة التي يتلقظها ويتكلم بها الشخص المبحوث، كما أنه يمكن الإحتفاظ بهذه الصور والتسجيلات أطول فترة ممكنة، حيث يتم في كل مرة إسترجاعها وتحليلها وإمكانية مقارنتها مع غيرها وقت ماشاء وهو في مكتبه، وعندها قد يكتشف أشياء لم ينتبه إليها أثناء المقابلة والمحادثة في الميدان مع مبحوثيه<sup>1</sup>، فهذه الوسائل والتقنيات تُلهم الباحث مادة إضافية مُهمّة كانت مُختفية ولم يدركها أثناء تواجده في الميدان.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنّ إستعمال هذه الوسائل الحديثة يتطلب من الباحث أن يكون على معرفة ودراية بتقنيات إستعمالها وقادرا على التحكم فيها وإصلاح الخلل والعطب الذي يمكن أن يُصيبها لأن عدم معرفة ذلك سيُفوّت عليه حتما فرص كثيرة من المشاهد والأحداث والممارسات والعادات التي تستحق التسجيل والتوثيق، من جهة أخرى على الباحث أن يتميز بحسّ معرفي يُؤهلّه إلى إستعمال هذه الوسائل في الوقت والمكان المناسبين دون الإساءة إلى المبحوثين أو إحراجهم بتسجيل أصوات وصور ومشاهد في مواقف لا يرغبون في تسجيلها أو تصويرها، لعدة إعتبارات عُرفية محلية أو نفسية أو إجتماعية، فالباحث مُطالب بعدم التّحليل مع مبحوثيه وذلك حتّى ينال رضاهم وثقتهم، فإذا كانوا يرفضون آلة التّسجيل والتّصوير، فلا بد وأن يحترم موقفهم ولا يُسجّل خلسةً لأنّ إكتشافهم لذلك سيضرب مصداقية الباحث لدى مبحوثيه وهو ماسينعكس سلبا على موضوع البحث ككل، أمّا إذا لم يرفضوا ووافقوا ورحّبوا بالتسجيل أو التصوير فسوف يُقدّمون للباحث خدمات جليّة تعود على قيمة البحث المنجز وثرائه بهذا الكم الهائل من الصّور والوثائق، ومن ثمّ على الباحث أن يهتم بهذه الحالات المتعلقة بالجانب العُرفي والأخلاقي في البحث الأنثروبولوجي، "وهو ما أكّده العديد من الأنثروبولوجيون المحترّفون ذوو التجربة الميدانيّة الطويلة على ضرورة تحلي الباحث بالأخلاق والسلوك الحميدة أثناء تواجده في الميدان وحتى بعد الإنتهاء من بحثه"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - وسام العثمان، مرجع سابق، ص: 126، بتصرف.

<sup>2</sup> - محمد سعدي، الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص: 87.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

وقد تم توظيف هذه التقنية بالتقاط بعض الصور الفوتوغرافية\* حسب الإمكانيات والظروف المتاحة من جهة ومتغيرات الموضوع وطبيعته من جهة أخرى، وذلك قصد إستقراء هذه الصور من أجل كشف السمات السوسيوثقافية للطقوس والممارسات الاحتفالية للمجتمع التبسي.

إذن لقد أمدّت التطورات التكنولوجية الحديثة الباحثين الأنثروبولوجيين بوسائل ساعدتهم على إستكمال وتدعيم وإثراء دراساتهم بالعديد من الصور والأفلام والأشرطة المسجلة مما يظهر مدى إثراء المادة الحقلية، ويجعلها من المصادر الأساسية في البحوث الأنثروبولوجية، وهو ما ينعكس إيجاباً على تطوّر البحث الأنثروبولوجي ومناهجه وتقنياته.

وهنا لا يفوتنا التذكير بالصعوبات التي صادفتنا خلال عملية التقاط بعض الصور الفوتوغرافية وتسجيل بعض المشاهد الصوتية أو المرئية، وخاصة في الفضاء النسوي باعتبار أن المجتمع التبسي مجتمع لا يزال يخضع لبعض العادات والتقاليد المرتبطة بخصوصيات هذا الفضاء الحساس في الحياة اليومية، وللتغلب على هذه الوضعية فقد تمّت الاستعانة ببعض الفتيات ممن يُتقن استخدام هذه التقنيات من جهة وتربطني بهن علاقات قرابة أو لكونهن بنات زملائي وأصدقائي في العمل.

### ثالثاً: فضاءات البحث

#### 1 - الفضاء البشري للدراسة:

تماشياً مع الإمكانيات المادية والزمنية لهذه الدراسة وطبيعة الموضوع فقد تم استخدام طريقة تعميم صفات الجزء على الكل، أي اختيار عدد محدود مأخوذ من مجموعة أكبر بغرض الدراسة والتحليل على افتراض أنه يمكن الأخذ بها كمؤشر للمجموعة ككل أو للمجتمع.

وهذا ما جعلنا نأخذ بتطبيق العينة القصدية والتي هي نوع من العينات غير العشوائية يعتمد عليها الباحث في إجراء دراسته بالاعتماد على فئة معينة دون سواها، حيث تم توظيف

\* - انظر الملحق رقم ( 3 ) الخاص بالصور.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

هذه العينة في هذه الدراسة تماشيا مع طبيعة الموضوع وأهداف الدراسة حيث تمّ التوجه مباشرة إلى عائلات من المجتمع التبسي مّن لهم احتفاليات عائلية وذلك من مناطق جغرافية مختلفة من ولاية تبسة، تتوزع بين الريف والمدينة ومن أصول سكانية مختلفة ومن فئات اجتماعية مختلفة، إضافة إلى مجموعة من المبحوثين من الرجال والنساء القاطنين بالمنطقة من جهة، وممن لديهم دراية كبيرة بالعادات والتقاليد والممارسات المتعلقة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية لإثراء الموضوع والتحقق من صدق المعلومات التي حصلنا عليها من الميدان، حيث كان الحوار فيها حرا ومفتوحا ومعقما، بما يحقق الحصول على الكثير من المعلومات والبيانات قصد رصد الطقوس والممارسات الاحتفالية وتمثّلات سكان المنطقة لعاداتها وتقاليدها وكشف دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية وإبراز مظاهر التغيّرات الحاصلة فيها.

### 2 - الفضاء المكاني للدراسة:

يعتبر المجال المكاني للدراسة المساحة الجغرافية أو المحيط الذي تتم فيه الدراسة، وعادة في الدراسات الميدانية الأنثروبولوجية يفضل الباحث أن يحدّد دراسته في المجتمعات المحلية المحدودة نسبيا بدلا من الولوج إلى المجتمعات الكبرى التي يصعب تمييز حدودها ومعالمها وتتبع نظمها الاجتماعية المختلفة، وإدراك العلاقات المتبادلة فيها.

وينظر المختصون إلى المجتمع المحلي في الدراسات الأنثروبولوجية بقولهم: "من الطبيعي اللجوء إلى المجتمع المعني بالدراسة لاكتشاف المادة البحثية، والمجتمع البحثي أو المحلي في الدراسات السوسيوأنثروبولوجية سيشير إلى جماعة تربط بينهم روابط عديدة ومتنوعة ويشتركون في قدر من المصالح وارتباطهم بجزء مكاني"<sup>1</sup>

وبما أن موضوعنا يتعلق بالموثوث الثقافي اللامادي في جانبه الخاص بالأعياد والمناسبات الاحتفالية ورصد العادات الاجتماعية والطقوس المرتبطة بها فقد اخترنا فضاءا محليا لهذه

<sup>1</sup> - بياربونت وميشال إيناز، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص2

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

الدراسة يتمثل في منطقة تبسة، وذلك لكوني من أبناء هذه المنطقة، ولدت فيها، ونشأت بين أهلها، ولي معرفة واسعة بسكانها، وتنقلت بين العديد من مؤسّساتها التربوية والتعليمية خلال مسيرتي المهنية كأستاذ في التعليم الثانوي لفترة تزيد عن الثلاثين سنة، وهذا ما سهّل علينا الاندماج في مجتمع البحث ومعايشة أفرادها وسهولة ربط العلاقات معهم، ومن جهة أخرى لعل هذا الإنتساب للمنطقة يجبرني أكثر من غيري للمساهمة في رصد تراث المنطقة وموروثها الثقافي والعمل على تسجيله وتوثيقه.

تقع منطقة تبسة<sup>1</sup> في الجهة الشرقية من الجمهورية الجزائرية، أصبحت ولاية في سنة 1974، رقمها 12 في التقسيم الإداري، يحدها شرقا الجمهورية التونسية بشريط حدودي يصل إلى 297 كلم، ومن الشمال ولاية سوق أهراس ومن الغرب ولايتي أم البواقي وخنشلة، أما من الجنوب تحدّها ولاية الوادي؛ تبلغ مساحتها 13878 كلم مربع، أما عدد سكانها فقد بلغ 749034 نسمة<sup>2</sup>، تتكون ولاية تبسة من 12 دائرة و28 بلدية، وتبتعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 584 كلم، توجد بها قنصلية الجمهورية التونسية، كما يوجد بها مطار وطني. تشترك منطقة تبسة مع غيرها من مناطق الوطن في الكثير من العادات والتقاليد، مما ينعكس ذلك في ممارسات سكانها في الحياة الاجتماعية والدينية، كما تتميز بخصوصيات من حيث بعض مظاهر تراثها المادي واللامادي، ومن ذلك نجد أذواق الأكلات المحلية المتنوعة<sup>3</sup>: الكسكس، المسفوف، البوتشيش، الشخشوخة، الشريدة، البركوكش، كسرة المطلوع، كسرة الرخساس، كسرة الشحمة، كسرة الرغدة، المحجوبة، كما تشتهر بلحم الخروف وانتشار مطاعم الشواء والمفوّر.

<sup>1</sup> - أنظر ملحق الخرائط في الملحق رقم (1).

<sup>2</sup> - مصالح ولاية تبسة، إحصائيات 2018.

<sup>3</sup> - سيتم التعريف بهذه الأكلات المحلية المستعملة في المناسبات الاحتفالية في الفصول القادمة عندما يتم التطرق إلى تفاصيل الممارسات والعادات الاحتفالية في المجتمع التبسي.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

وفي اللباس<sup>1</sup> نجد الرجال يجمعون بين البدلة العصرية من جهة واللباس التقليدي من جهة أخرى مثل: البرنوس، القشايية والقداورة، أما عند النساء فنجد الجبّة، القندورة، الجلباب إلى جانب اللباس العصري، في حين نجد بعض العجائز لم يتخلين عن بعض الألبسة التقليدية مثل: الملحفة والبخنوق خاصة في بعض الأرياف والبوادي.

أما من حيث التركيبة البشرية وتقسيم الأعراس فإن " أصل سكان منطقة تبسة من الأمازيغ، كغيرهم من سكان المغرب العربي، والذين يعتبرون من العرب المستعربة الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية خلال الهجرات التاريخية الأولى إلى شمال إفريقيا"<sup>2</sup>. ويتميز سكان المنطقة بمحافظتهم على الطابع القبلي العشائري، حيث تعتبر قبيلة النمامشة البربرية المستعربة من أكبر القبائل في المنطقة حيث تنقسم إلى عرشين كبيرين هما:

- "عرش البرارشة وهم سكان مناطق السهول والبراري المنخفضة، وقد أخذوا تسميتهم " البرارشة " من كونهم سكنوا البراري وهم أغلبية السكان"<sup>3</sup>.
- "وعرش العلاونة وهم سكان الأعالي، وأخذوا تسميتهم " العلاونة " من كونهم سكنوا أعالي الجبال ويمثلون أقلية مقارنة بعرش البرارشة"<sup>4</sup>.

ولهذين العرشين الكبيرين بطون وعشائر وعائلات عديدة تشكل التركيبة البشرية لسكان المنطقة الجنوبية من الولاية، أما سكان المنطقة الشمالية من الولاية فيقطنها أغلبية من عرش أولاد يحي، كما يقطن بالمنطقة عرشين آخرين معتبرين هما عرشي أولاد سيدي عبيد وأولاد الدراج،

<sup>1</sup> - سيتم التعريف بهذه الألبسة التقليدية المحلية المستعملة في المناسبات الاحتفالية في الفصول القادمة عندما يتم التطرق إلى تفاصيل الممارسات والعادات الاحتفالية في المجتمع التبيسي.

<sup>2</sup> - أحمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005، ص51

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص 53.

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص 53.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

إضافة إلى ذلك يقطن بالمنطقة العديد من القبائل والعشائر والبطون الأخرى الأقل عدداً، والتي لها مكانتها ودورها في المشهد الاجتماعي والسياسي في المجتمع التبسي<sup>1</sup>.

### 3- الفضاء الزمني للدراسة:

استغرق هذا البحث خمس سنوات موزعة على عدة مراحل كالاتي: تم تخصيص السنة الأولى منها للمرحلة الأولى وقد تم فيها: اختيار الموضوع والعمل على جمع المراجع والدراسات السابقة ( الببليوغرافيا ) وكان التركيز خلالها على القراءة والمطالعة حول الموضوع قصد التعمق فيه والإحاطة بمختلف جوانبه، أما المرحلة الثانية فقد استغرقت سنة كاملة خصصت للنزول الاستطلاعي للميدان ومحاولة بناء الإشكالية وتحديد الخطة الأولية للدراسة، والتي كنا ندخل عليها بين الحين والآخر بعض التعديلات بما يتطلبه الموضوع وتحقيق أهداف الدراسة من جهة وتوجيهات الأستاذ المشرف من جهة أخرى ومما يجب ذكره والتنويه به هو تلك الدورات والأيام الدكتورالية التي تم تنظيمها تحت إشراف رئيس المشروع الأستاذ الدكتور محمد سعيدي وبحضور المشرف الأستاذ الدكتور بن معمر بوخضرة وبقية أعضاء فريق التكوين حيث كنا نعرض في كل مرة خلاصة ما توصلنا إليه ونطرح مختلف الإشكالات والصعوبات التي تعترض عملنا وكنا نبحث لها عن حلول ونستمع من خلالها لمختلف التوجيهات والتصويبات التي كان لها دور في تقويم أعمالنا، ثم جاءت المرحلة الثالثة والتي استغرقت سنتين كاملتين تم تخصيصهما للعمل الميداني من خلال تحديد قائمة المبحوثين من الرجال والنساء والسعي لربط العلاقات معهم وكسب ودّهم، والحضور لكثير من الاحتفاليات التي سنحت لنا الظروف بحضورها مما مكنتنا من رصد الطقوس الاحتفالية والعادات الاجتماعية والممارسات المرتبطة بها والعمل على تسجيلها وتوثيقها، وأخذ بعض الصور الفوتوغرافية والمشاهد الصوتية والبصرية، كما تم خلال هذه المرحلة جمع المعلومات بإجراء العديد من المقابلات الحرة والمفتوحة، وقد كان للأستاذ

<sup>1</sup> - انظر خريطة توزيع القبائل والأعراس لولاية تبسة بالملحق رقم ( 1 ) الخاص بالخرائط.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

المشرف خلال هذه المرحلة دور كبير في مرافقته لنا بتوجيهاته وتوصياته، أما المرحلة الأخيرة خلال العام الخامس فقد تم تخصيصها لتصنيف المعلومات وتبويبها والعمل على تحليلها وكشف دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية والاقتصادية والدينية وكشف التغيرات الحاصلة فيها ثم كتابة الأطروحة وإخراجها في الصورة التي هي عليها الآن، مع العلم أنه في كثير من الأحيان يكون العمل متداخلاً بين جمع المعلومات وتبويبها ثم تحليلها وتفسيرها وكتابة تفاصيلها بما يحقق الوصول إلى أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، كما تم خلال تلك الفترة نشر المقال العلمي في مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية التابعة لجامعة قسنطينة<sup>2</sup>، وهي مجلة علمية محكمة مصنفة في الصنف (ج)، الأمر الذي سمح بتوفير شروط مناقشة الأطروحة.

### رابعاً: مفاهيم الدراسة

تعتبر عملية تحديد المفاهيم والمصطلحات والكلمات المفتاحية والتعاريف الأولية بمثابة المسار الذي يهتدي به الباحث عند توجهه نحو مجتمع الدراسة، بما يساعده على تلمس الخصائص الأولية للظاهرة وتمكّنه من التمييز بينها وبين ظواهر أخرى، كم تعتبر مفاتيح أساسية تمكن القارئ من فهم أي بحث علمي فهما صحيحا، واستجابة لهذه الخطوات والإجراءات من جهة وحسب ما يفرضه علينا موضوع بحثنا المتعلق بالمناسبات الاحتفالية والطقوس والممارسات المرتبطة بها من جهة أخرى فقد حددنا المفاهيم التالية:

### 1 - التمثلات:

يعتبر مفهوم التمثلات من المفاهيم المتداولة في البحوث الأنثروبولوجية لما لها من أهمية في فهم تصورات الأفراد ونظرتهم وأفكارهم التي تعتبر الدافع الأساسي لممارساتهم وأنماط سلوكياتهم وأفعالهم وبالتالي يعتبر كشف الجانب المستتر والخفي الذي تقوم عليه المواقف والممارسات من أهم الأهداف التي تستهدفها الانثروبولوجيا بكل تخصصاتها وفروعها الاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها.

أ - المفهوم اللغوي للتمثلات:

التمثل في اللغة: ورد في معجم المنجد في اللغة والإعلام: " التمثّل من مثّل الشيء، تمثيلاً، أي صوّره له بالكتابة ونحوها كأنه ينظر إليه. وتمثيل الشيء شَبّهه به وجعله مثله"<sup>1</sup>، فهو التشبيه بصورة أو بكتابة أو بغيرهما.

ب - المفهوم الاصطلاحي للتمثلات:

يعتبر دوركايم من الأوائل الذين استعملوا مفهوم التمثلات الاجتماعية حين تحدّث عن العصبية القبلية ورفضه لها، وظل دوركايم " يعتبر الدين والمعتقدات واللغة والعلم والأسطورة تمثلات جمعية واجتماعية"<sup>2</sup>

وبذلك يعتبر دور كايم التمثلات على أنها: " تصورات اجتماعية تتأسس على شكل قيم ومعايير للسلوك والتذوق والقول، وهي تتغير بتغيير الحياة الاجتماعية وتتشكل انطلاقاً من الأوضاع والمواقف والميولات الثقافية التي تحكم رؤية المجتمع إلى العالم، كما تحكم أنماط تفكيره وأسلوب عيشه"<sup>3</sup>، فالتمثلات إذن أساس الممارسات وأشكال التعبير والمواقف الاجتماعية.

ج - المفهوم الإجرائي للتمثلات:

التمثلات هي تلك التصورات وأنماط التفكير التي يعتقدونها الفرد أو مجموعة من الأفراد حول تفسير بعض الظواهر أو القضايا أو المواقف في الحياة الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد ومظاهر الثقافة الشعبية في المجتمع، والتي من بينها موضوع دراستنا في هذا البحث والمتمثل في الأعياد والمناسبات الاحتفالية والطقوس والممارسات المرتبطة بها في المجتمع التبسي.

<sup>1</sup> - علي بن الحسن الهنائي الأزدي، معجم المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق للنشر والتوزيع، بيروت، 1997 ص 746

<sup>2</sup> - نزار السيد، التمثلات الاجتماعية في علم الاجتماع، مجلة علوم التربية، دورية مغربية فصلية متخصصة، العدد 7، ص 28.

<sup>3</sup> -Émile Durkheim, " Représentations individuelles et représentations collectives" Publié dans la Revue de Métaphysique et de Morale, 1898, VI, P273 .

## 2 - الطقوس:

يعتبر مفهوم الطقوس من المفاهيم المركزية في موضوع العادات والتقاليد والممارسات الدينية والاجتماعية وخاصة في موضوع الأعياد والاحتفاليات، هذه الأخيرة التي تتخللها الكثير من الرموز والإشارات والحركات التي يقوم بها المحتفلون أثناء ممارستهم الاحتفالية، والتي لها أبعاد ووظائف اجتماعية ودينية واقتصادية مختلفة.

أ - المفهوم اللغوي للطقوس: ورد في المعجم الوسيط أن "الطقس" بمعنى "النظام والترتيب"<sup>1</sup>، أما عند النصارى فتطلق على "شعائر الديانة واحتفالاتها"<sup>2</sup>، فهي بذلك تعني الترتيبات والنظم الروحية التي يجب مراعاتها في الشعائر والعبادات المسيحية من صلوات كلامية وحركات ورموز، وهي بذلك تقابل الشعائر عند المسلمين.

### ب - المفهوم الاجتماعي للطقوس:

يعرفها الباحث محمد الخطيب على أنها: "تنظيم مركب للنشاط الإنساني ليست له طبيعة فنية أو طبيعية أو ترويجية بارزة، ويتضمن استخدام أساليب السلوك التي تتسم بقدرتها على التعبير عن العلاقات الاجتماعية"<sup>3</sup>، فهي بذلك إبداعات ثقافية بالغة الإتقان تقتضي ترابط أفعال وأقوال وتصورات أعداد كبيرة من البشر على امتداد أجيال عديدة.

ويعرفها آخرون على أنها: "ممارسات الفئات الشعبية في المناسبات وما يرافقها من تقاليد ومعارف وممارسات وأهازيج ورقص كالأعياد والخطوبة والزفاف والختان والوفاء والحصاد وهي تعكس حياة هذا الشعب أو ذاك"<sup>4</sup>، وتتشترك كل هذه التعريفات في إبراز تلك الممارسات

<sup>1</sup> - أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، دت، ص: 587.

<sup>2</sup> - بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، مطبعة تيبويرس، لبنان، ط2، 1987، ص: 553.

<sup>3</sup> - محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، عمان، الأردن، ط2، 2008، ص59

<sup>4</sup> - محمد السموري، إشكالية التوظيف البصري للتراث، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام حكومة الشارقة الإمارات العربية المتحدة، العدد

155، يوليو 2010، ص96

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

الدينية والاجتماعية وما يصاحبها من حركات وأفعال لها دلالاتها الرمزية وأبعادها الاجتماعية وظائفها المختلفة.

### ج - المفهوم الأنثروبولوجي للطقوس:

الطقوس كما يعرفها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي: " مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها"<sup>1</sup>

لقد استعملها راد كليف براون في كتاباته وعبر عنها بمصطلح "القيم الطقسية"، ويقصد بها "تطبيق القيم الطقسية على الأشياء والحوادث والمناسبات التي يمكن اعتبارها بمثابة الأهداف ذات المصالح المشتركة التي تربط أعضاء المجتمع الواحد، والتي لها تمثيلاً رمزياً لجميع الأشياء التي تستند على تأثير السلوك الرمزي بأنواعه المتعددة"<sup>2</sup>، وهكذا نجد مفهوم الطقوس عند راد كليف براون عبارة عن: حدث رمزي يعبر عن قيم اجتماعية معبرة، ومن ثمّ يمكن اعتبار فرضيته حول الطقوس بأنها فرضية عامة للرموز لها تأثيراتها الاجتماعية على مختلف الظواهر والممارسات الاجتماعية.

### د - المفهوم الإجرائي للطقوس:

الطقوس عبارة عن سلوكيات اجتماعية لها صفة رمزية سواء تعلق بالشعائر والممارسات الدينية أو السحرية أو العادات الاجتماعية، وهو ما يتوافق مع موضوع بحثنا المتعلق بالطقوس الاحتفالية والممارسات المرتبطة بها.

<sup>1</sup> - أمال النور حامد، طقوس الزار وطبيعتها، مجلة الأنثروبولوجيا السودانية، العدد 4، يوليو 2005، [www.arcamni.org](http://www.arcamni.org).

زيارة بتاريخ 14/6/2016، على الساعة: 9: 20

<sup>2</sup> - بياربونت وميشال إيزار، مرجع سابق، ص 631

### • مفهوم طقوس العبور:

يعرفها معجم علم الاجتماع بأنها " الخطوات أو الإجراءات التمهيدية التي تنطوي عادة على مراسيم احتفالية وطقوس شعائرية وتنتهي بدخول المرء كعضو في جماعة وانتمائه إلى فئة اجتماعية معينة"<sup>1</sup>، وقد ظهرت هذه العبارة لأول مرة من طرف الباحث "أرنولد فان جينيب" Arnold van Genep، سنة 1909، حيث ذكرها بقوله: "حسب مراحل حياة الفرد تكون هناك مراحل طقوسية تتوأكب مع مراحل حياته فالميلاد هو المناسبة الأولى وسن النضوج يترافق مع طقوس المسارة وكذلك الزواج وطقوس الأب والأم، وأيضا طقوس الموت"<sup>2</sup>.

ويرى "فان جينيب" أن كل مرحلة هامة في حياة الفرد يصاحبها بعض الطقوس التي تمكنه من الانتقال من وضع لآخر، بحيث يتمثل الهدف منها في "العبور"، وطقوس العبور هذه يقابلها "شعائر الانتقال" وهي ملازمة لمراحل حياة الإنسان، (...) وتعاقب الشهور وتعاقب الفصول ومجموعة الاحتفالات الدورية"<sup>3</sup>

وقد حاول "فان جينيب" في كتابه "شعائر المرور" دراسة الأنماط الطقوسية وعلاقتها بعضها ببعض كما حاول القيام بجمع كل الأنماط الطقوسية التي تصاحب الانتقال والتحول من مكانة اجتماعية إلى أخرى ومن حالة إلى أخرى، وقد قسمها إلى: "طقوس الانفصال والطقوس الهامشية وطقوس الاندماج أو التجميع أو الدخول"<sup>4</sup>.

وتشرح الناقدة الأمريكية: "سوزان ستيت كيفيتش" مراحل طقوس العبور التي تكلم عنها "فان جينيب" بقولها: "يتكون كل طقس عبور من ثلاثة أجزاء، أو ثلاث مراحل: أولها الفراق أي انقطاع العابر من مكانته السابقة في المجتمع، وثانيها الهامشية أو العتبية أي طور

<sup>1</sup> - عدنان أبو مصبح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص302

<sup>2</sup> - بياربونت وميشال إيزار، مرجع سابق، ص634

<sup>3</sup> - عباس محمد إبراهيم وآخرون، الأنثروبولوجيا: مداخل وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2005، ص345

<sup>4</sup> - فيليب لايورث وجان بيار فارنييه، إنثولوجيا وأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، مجد للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004،

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

انتقال يقضيه العابر على هامش المجتمع، وهي حالة وسط بين المرحلتين السابقة واللاحقة، أما المرحلة الثالثة فهي إعادة التجميع في المجتمع، أو إعادة الاندماج في المجتمع، حيث يحرز العابر في هذه المرحلة مكانة ثابتة معينة جديدة، فيتمتع بالحقوق المترتبة على هذه المكانة، ويتحمّل المسؤوليات المتعلقة بها<sup>1</sup>، وهي نظرة متوافقة إلى حد كبير مع ما طرحه " فان جينيب " في تحديده للمراحل الثلاثة التي تمر بها طقوس العبور.

### المفهوم الإجرائي لطقوس العبور:

وهي تلك الممارسات الاحتفالية التي ترافق الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى ومن وضع بيولوجي أو اجتماعي إلى آخر.

### ● طقوس العبور في الإسلام:

أورد الباحث التونسي " عبدالرحيم بوهاها " <sup>2</sup> في أطروحته حول طقوس العبور في الإسلام الذي انطلق في دراسته من نظرية " فان جينيب " الشهيرة التي تقوم على الأبعاد الثلاثة لطقوس العبور: الانفصال، الهامشية، والاندماج، وقد اختار لدراسته مسار الإنسان من الولادة إلى الموت، وعلّق على كل مرحلة من مراحل هذا العمر، لاسيّما المراحل الحاسمة مثل الولادة والختان والبلوغ والزواج والموت، مستقصياً في المتون الفقهية، لدى جميع فقهاء المذاهب الإسلامية دون استثناء كما أشار إلى الأحكام الشرعية الدينية لكل حالة، كما في حديثه عن "العقيقة" ونوعها، جنسها، شروط ذبحها، طريقة طبخها وصرفها، وحديثه عن الختان من حيث وقته، والطقوس المصاحبة له، من أدعية وولاتم واحتفالات، كما استعرض حدّ البلوغ وعلاماته وما يتبع ذلك من تكاليف وواجبات دينية، كما تناول في مقارنته طقوس الزواج من حيث استئذان الولي ووجوب الصداق وضرورة إشهار النكاح؛ وتوقف بالدراسة والتحليل عند الموت

<sup>1</sup> - سوزان ستيت كيفيتش، القصيدة العربية وطقوس العبور: دراسة في البنية النموذجية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد 6، عدد 1، دمشق، كانون الثاني 1985، ص 59 . 60.

<sup>2</sup> - عبد الرحيم بوهاها، طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهية، ملخص أطروحة دكتوراه، غير منشورة، مؤسسة الانتشار العربي، 2008، موقع: [www.assafir.com](http://www.assafir.com)، زيارة بتاريخ 11 / 08 / 2016، على الساعة: 19 : 15.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

والطقوس الجنائزية وما يتبعها من أحكام شرعية في الديانة الإسلامية ابتداءً بالاحتضار، تسجية الميت، تكفينه، الصلاة عليه، ودفنه وهو بذلك يبين ما لطقوس العبور من حضور في نظام القيم الاجتماعية المحددة لقواعد السلوك والنشاط، بصفتها عنصراً من العناصر المكونة للبيئة الثقافية والتراث الشعبي المنبثق عن المجتمع.

### 3- العادات والتقاليد:

تتجه الكثير من أدبيات علم الاجتماع ومعاجمه السوسولوجية إلى إعطاء تعريفات مستقلة لكل من التقاليد والعادات بالرغم من التلازم والتآزر العضوي بينهما في المنظومة الاجتماعية للأفراد والمجتمعات، وانطلاقاً من هذا فإننا نقوم بتقديم تعريف لكل مفهوم بشكل مستقل عن الآخر ثم نوضح العلاقة الترابطية بينهما.

#### أ - العادات:

##### • المفهوم اللغوي للعادات:

العادة لغة هي: " جمع لكلمة عادة، وهي من الفعل تعوّد تعويداً، وتعني تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها وتكرر عملها حتى أصبح شيئاً مألوفاً ومأنوساً"<sup>1</sup>، ومما ورد أيضاً قولهم بأنها: "ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مراراً، نقول عاد الشيء فلاناً، أي أصابه مرة بعد أخرى، يقال عادته الشوق أو الحنين أي رجع إليه مرة بعد مرة، ونقول: عَوَّدَهُ على، أي جعله يعتاد هذا الشيء حتى يصير عادة له"<sup>2</sup>، وبهذا يتوافق التعريفين في أن العادة ماتعوّد الناس على فعلها والقيام بها.

##### • المفهوم الاصطلاحي للعادات:

العادات يعرفها البعض بأنها تلك: "الممارسات التي تستلزمها الحياة الاجتماعية في مجتمع من المجتمعات، إذ تتمثل في الأفعال والأعمال الضرورية التي تلتصق بمعاملات الناس مع

<sup>1</sup> - ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1997، ص 144

<sup>2</sup> - علي بن الحسن الهنائي الأزدي، مرجع سابق، ص 76

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

بعضهم البعض"<sup>1</sup>، ويعرفها آخرون بكونها: "نمط جمعي متكرر من أساليب التفكير والعمل التي يعمل المجتمع بمؤازرة عدد من قواه الاجتماعية على إتباعها في مسلكهم اليومي وفي الاحتكام إلى سلطتها (غير الرسمية وغير القهرية باعتبارها تمثل سلطة غير مكتوبة) في قراراتهم الفردية والجماعية، كما يجري نقلها أفقياً في الجيل الواحد ورأسياً من جيل إلى الأجيال المتعاقبة"<sup>2</sup>، فالعادات بهذه المعاني هي: ما اعتاده الناس من أنماط السلوك المختلفة، ومارسوه في مناسباتهم المتكررة حتى أصبح شيئاً معتاداً ومألوفاً، لكثرة مشاهدته وممارسته في حياتهم اليومية وهو ما يسهّل انتقاله وتوارثه عبر الأجيال.

### • المفهوم الإجرائي للعادات:

العادات هي تلك الأفعال والسلوكيات وأنماط التفكير التي اعتاد عليها الناس بالممارسة في المناسبات الاجتماعية المتكررة، فأصبحت معتادة ومألوفة يمارسونها ويحتكمون إليها.

### ب - التقاليد:

وهي من المفاهيم القريبة والمتشابكة مع مفهوم العادات الاجتماعية باعتبار شبكة العلاقات بين الناس وما ينتج عنها من تفاعل اجتماعي.

### ➤ المفهوم اللغوي للتقاليد:

ورد في لسان العرب: التقاليد: "جمع لكلمة تقليد، وهي من الفعل قَلَدَ يُقَلِّدُ تقليداً، ومعناها أن يُقَلِّدَ جيلٌ أساليب الجيل الذي سبقه ويسير عليها، إن كان ذلك في الملابس أو في السلوك والتصرفات أو في العقائد والأعمال المختلفة التي يرثها الخلف عن السلف"<sup>3</sup> كما جاء في المنجد في اللغة والأعلام: التقليد: "جمع تقاليد وهو ما انتقل إلى الإنسان من آبائه

<sup>1</sup> - عبدالله الرشيدات، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999، ص 139

<sup>2</sup> - فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980، ص 108

<sup>3</sup> - ابن منظور الأنصاري، مرجع سابق، ص 166

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلوم والأعمال<sup>1</sup>، وهما تعريفين متطابقين في كثير من الجوانب سواء ماتعلق بجانب الموضوع أوعامل الانتقال عبر الاجيال.

### ➤ المفهوم الاصطلاحي للتقاليد:

التقاليد هي " ممارسات اجتماعية مكتسبة، يكتسبها الفرد من المجتمع الذي تربى وعاش فيه، وهي أشكال من السلوك والتصرفات الجماعية لها مكان القداسة لدى أفراد مجتمع معين لأنها في نظرهم الأفعال التي تحفظ هويتهم وتمنحهم العزة والاعتبار في المجتمع الذي يعيشون فيه، وتعتبر من عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل لآخر"<sup>2</sup>.

وبالمقابل يستند المعجم السوسولوجي في تعريفه للتقاليد على التراث ويعتبره: "عنصرا من عناصر الثقافة المنحدرة من الماضي إلى الحاضر وهي تتمثل في أنماط من التفكير والسلوك والأنشطة المقننة التي تنتجها الجماعة فتعمل على تدعيم تماسكها ووعيها بذاتها وتحظى بالقبول من جانب الأعضاء، كما تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق التنشئة الاجتماعية أو المحاكاة"<sup>3</sup> ويضيف المعجم السوسولوجي مبرزا أسباب التمسك بالتقاليد بقوله: "التمسك بها يرجع في أغلب المجتمعات إلى الولاء العاطفي الذي يكسبها مكانة خاصة في المجتمع وفي توجيه سلوك أفرادها على أساس من الحنين الذي يربط الحاضر بالماضي"<sup>4</sup>، فالتنشئة الاجتماعية وقيم الانتماء وأشكال الولاءات المختلفة من العوامل المساعدة على التمسك بهذه الممارسات والسلوكات وانتقالها عبر الاجيال، وتختلف درجة التأثير من مجتمع لآخر كما تختلف بين فئات المجتمع الواحد حسب طبيعتها وأنواعها.

<sup>1</sup> - علي بن الحسن الهنائي الأزدي، مرجع سابق، ص 87

<sup>2</sup> - عبدالله الرشيدات، مرجع سابق، ص 147.

<sup>3</sup> - عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1995، ص 489.

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص 490.

### ➤ المفهوم الإجرائي للتقاليد:

التقاليد هي تلك الممارسات والسلوكيات الاجتماعية التي يكتسبها الفرد من آباءه وأسرته ومعلميه خصوصاً والمجتمع الذي يعيش فيه عموماً، من عوائد وعادات وعلوم وأعمال وغيرها من أشكال الموروث الثقافي والاجتماعي.

### 4- التراث:

#### أ - المفهوم اللغوي للتراث:

ورد في لسان العرب أن " كلمة تراث من الفعل وَرَثَ يَرِثُ مِيراثاً، أي انتقل إليه ما كان لأبويه من قبله فصار ميراثاً له " <sup>1</sup>، وجاء في المنجد في اللغة والأعلام أن " تُراث أصلها وُراث فقلبت الواو تاءً كما في قولنا تقوى وثقاة من وقى، وكثيراً ما تبدل التاء من الواو في نحو تراث وتجاه وتخمّة وتقى وثقاة. " <sup>2</sup> وعموماً فهي تحمل معنى الانتقال والتوريث.

#### ب - المفهوم الاصطلاحي للتراث:

يطلق معنى التراث على: "ما ينتقل من عادات وتقالييد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل" <sup>3</sup>، كما يطلق على "مجموع العادات والآراء والتقاليد وأنماط المعيشة، بالإضافة إلى المؤسسات والمنظمات التي تؤلف أساس الحضارة والثقافة لدى جماعة من الناس أو مجتمع من المجتمعات تتوارثها الأجيال وتتناقلها عن بعضها البعض، وقد يعترتها شيء من التحوير والتعديل مثلما تخضع للتطور، وتخضع للانتقاء بفضل التفاعل والاحتكاك " <sup>4</sup>، فكل هذه التعريفات تحمل معاني متقاربة تشترك في كون التراث عبارة عن تلك العادات والتقاليد والقيم والفنون والحرف والمهارات وشتى المعارف الشعبية التي أبدعها الإنسان وصاغها المجتمع عبر

<sup>1</sup> - إين منظور الأنصاري، مرجع سابق، ص 171.

<sup>2</sup> - علي بن الحسن الهنائي الأزدي، مرجع سابق، ص 94.

<sup>3</sup> - صالح زيادنة، التراث الشعبي: مصطلحات ومدلولات، عن موقع: [www.khayma.com](http://www.khayma.com)، زيارة بتاريخ: 2016 /7/27، على الساعة: 08: 11 .

<sup>4</sup> - عدنان أبو مصلح، مرجع سابق، ص 129.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

تجاربه الطويلة والتي يتداولها أفرادها ويتعلمونها بطريقة عفوية ويلتزمون بها في سلوكياتهم ومعاملاتهم فأصبحت تربط الفرد بالجماعة، وتصل الحاضر بالماضي.

### ج - المفهوم الإجرائي للتراث:

التراث عبارة عن مجموع العادات والتقاليد وأساليب العيش وأنماط الحياة المختلفة التي تنتقل من جيل إلى آخر.

### 5- المعتقدات:

#### أ - المفهوم اللغوي للمعتقدات:

ورد في لسان العرب: "المعتقدات جمع معتقد وهو مشتق من كلمة العقيدة، تدل العقيدة في اللغة على الشد والربط، كأن تقول: عقدت الحبل فهو معقود، أي: شدته وربطته (...). والعقد نقيض الحلّ، يقال: عقدت الحبل فهو معقود، وعقد قلبه على الشيء: لزمه"<sup>1</sup> فالمعتقد يرتبط بالقلب، وأي شيء يُعتبر معتقداً للإنسان لا بد أن يكون منبعه القلب، فالمعتقد باختصار هو تصديق القلب الجازم بشيء ما، وبذلك يجعل صاحبه يقبله ويدعن له.

#### ب - المفهوم الاصطلاحي للمعتقدات:

يعتبر علماء الاجتماع أن المعتقدات هي: "إحدى المكونات غير المادية لثقافة أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، ويكتسب الأفراد معتقداتهم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعرضون لها منذ ولادتهم وحتى مماتهم"<sup>2</sup>، وهم بذلك يشيرون إلى الأفكار والتصورات المشتركة التي يحملها الأفراد وتشكل مرتكزا أساسيا للكثير من القيم والمعايير الاجتماعية والممارسات العملية؛ ويعرفها آخرون بقولهم: "وجهة نظر الإنسان وقناعاته تجاه نفسه والآخرين والأشياء بما

<sup>1</sup> - ابن منظور الأنصاري، مرجع سابق، ص 255.

<sup>2</sup> - صالح زيادنة، مرجع سابق.

## مدخل: الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية

فيها اعتقاداته تجاه القيم.<sup>1</sup>، ويعرفها باحث آخر بقوله: "نسق فكري يضم الاعتقاد والشعائر والطقوس وغيرها"<sup>2</sup>، فهي بذلك تشمل التصورات والأفكار والعبادات.

ويجمل الباحث محمد علي المكاوي خصائص المعتقدات في مجموعة من العناصر:

1. هي مجموعة من الأفكار والتصورات كما أنها محل إيمان وتصديق الفرد والمجتمع.
2. تتركز حول مظاهر المجتمع الذي يعايشه الإنسان حول صحته ومرضه وعلاقته بأهله وعشيرته وجيرانه وتجاربه وانعكاسها على حياته.
3. تدور حول العالم فوق الطبيعي الذي لا يستطيع السيطرة عليه أو فهمه أو الاقتراب منه ولهذا يحيله تصورياً إلى عالم محسوس يقدر على فهمه والاقتراب منه، ومن هنا كانت معارفه الأنطولوجية الشعبية حول الأرض والسماء والكواكب والطقس والملائكة والجن والسحر والأولياء.
4. إن هذه المعتقدات والمعارف الشعبية تشكل منظوراً ينظر الإنسان من خلاله إلى عالمه المحسوس وعالمه غير المحسوس.
5. لهذه المعتقدات ممارسات ومراسيم وطقوس كثيرة يقوم بها الإنسان ويقصد بها التخلص من شرور الطبيعة وجفوتها<sup>3</sup>.

إن مجموع هذه الخصائص يمكن أن تشكل نسق فكري شامل لمفهوم المعتقدات التي تنطلق من التصورات والأفكار مروراً بالشعائر والطقوس وانتهاءً بالأعمال والممارسات بعد ذلك.

### ج - المفهوم الإجرائي للمعتقدات:

المعتقدات هي مجموع الأفكار والتصورات والمعارف المتراكمة التي يؤمن بها الفرد وتعلق بالحياة والموت والبيئة المحيطة به وعلاقاته بالآخرين، والتي تشكّل الإطار المرجعي لكل مظاهر

<sup>1</sup> - بياربونت وميشال إيزار، مرجع سابق، ص 169.

<sup>2</sup> - صالح زيادنة، مرجع سابق.

<sup>3</sup> - مرجع نفسه.

السلوك والممارسات والمواقف، مثل المعتقدات حول الصحة والمرض والزواج والطلاق والحياة والموت والفشل والنجاح وغيرها من الموضوعات التي تشكل معتقدات الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات.

### خامسا: صعوبات الدراسة

لا يخلوا أي بحث علمي من صعوبات تعترض عمل الباحث في الوصول بدراسته إلى تحقيق أهدافها، فما بالك ببحث في مستوى أطروحة الدكتوراه، وقد واجهتنا العديد من الصعوبات بعضها يتعلق بالجانب المنهجي وبعضها يتعلق بالموضوع وأخرى تتعلق بالعمل الميداني وقد حاولنا - قدر المستطاع - في كيفية تخطي هذه الصعوبات وتذليلها، ومن أهم الصعوبات:

#### 1. إتساع موضوع البحث:

يعتبر موضوع الأعياد والمواسم والمناسبات الاحتفالية موضوع واسع، يتضمن العديد من الاحتفاليات منها ما هو متعلق بالمناسبات الدينية، الاجتماعية، الوطنية، الموسمية، دورة الحياة، وكل صنف من هذه الأصناف يشمل على العديد من الأعياد والاحتفالات والمناسبات، ومن الصعوبة بمكان أن تتم دراسة كل هذه الاحتفاليات ولذلك تم التغلب على هذه المشكلة بتصنيف الاحتفاليات إلى قسمين كبيرين: احتفاليات دينية وأخرى عائلية متعلقة بدورة الحياة، وقمنا بدراسة نموذج عن كل قسم بشكل تفصيلي لما يحتويه من العديد من الطقوس والممارسات، أما الإحتفاليات ذات الطابع الوطني الرسمي أو الإحتفاليات الشعبية كالاحتفاليات المتعلقة بالوعدة والأولياء والأضرحة فقد تمت الإشارة إليها بشكل عام دون التطرق إلى تفاصيلها باعتبارها لاتندرج ضمن الاحتفاليات العائلية التي تتم في أجواء العائلة والأسرة، وهذا تماشيا مع موضوع دراستنا الذي يتعلق بالاحتفاليات العائلية المنصوص عليه في عنوان الأطروحة.

### 2. التداخل بين الذاتية والموضوعية:

يتداخل الموضوع في العلوم الإنسانية والاجتماعية مع الذات، ويصعب الفصل بينهما، وهذا بخلاف العلوم الطبيعية التي يمكن فيها فصل الذات عن الموضوع، ولذلك تعترض دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية دراسة موضوعية بعيدا عن الميولات والعواطف الشخصية صعوبات في هذا الشأن، فقد يُقدّم الباحث رؤيته للظاهرة الاجتماعية المدروسة انطلاقا مما يحمله في ذاته من مشاعر وأفكار ومعتقدات ترتبط بالتزامه بمواقف، أو مذاهب أيديولوجية أو عقائدية، وهذا ما يجعل الدراسة تجانب الحيّاد والنزاهة، ويجعل تحقيق الموضوعية العلمية مسألة غاية في الصعوبة خاصة إذا كان الباحث ينتمي للمجتمع المدروس مثل حالتنا، وهذا ما جعل بعض الباحثين الأنثروبولوجيين يفضلون أن يكون الباحث في الدراسات الميدانية الأنثروبولوجية من خارج المجتمع المدروس، وهذا لتفادي تأثير تلك النزعة الذاتية والميولات الشخصية على البحث سواء في ماتعلق باختيار المبحوثين والتعامل معهم أو في جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها أو في تحديد نتائج الدراسة وآفاقها، ولتفادي ذلك فقد حاولنا استحضار هذه المسألة طيلة فترة البحث والدراسة، وحاولنا قدر الإمكان إدراج الحقائق والوقائع التي تتوافق مع وجهة نظرنا أو تلك التي تختلف معها ضمن قواعد الالتزام بالمقاييس العلمية، واثبات النتائج المستخلصة حتى وإن كانت مخالفة لآرائنا وأفكارنا.

### 3. إصدار الأحكام المسبقة:

قد يقع الباحث خلال بحثه في إصدار أحكام مسبقة، وهذا ما يؤثر في نهاية المطاف على الموضوعية العلمية، والتي بدورها تؤثر على مصداقية البحث العلمي، ولتجنب الوقوع في هذه المشكلة فقد اعتمدنا في بحثنا على ما أفرزه الميدان وما تم جمعه من المبحوثين والاستعانة بهم في تفسير الأحداث والطقوس والممارسات وكشف

دلالاتها الرمزية، سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم دينية أم ثقافية، والإلتزام بالقواعد العلمية والتطلع الدائم لمعرفة الحقيقة والإبتعاد قدر الإمكان عن النظرة الأحادية والذاتية للموضوع.

### 4. جمع المعلومات من الفضاء النسوي في المجتمع التبسي:

تتميز أغلب العائلات في المجتمع التبسي بعبادات وأعراف تعتبر دخول الغرباء للفضاء النسوي أمراً غير مقبول لأنه يتعلق بالدين والشرف، ومن ثمّ فإنّ البحث ضمن مجاله أمامه الكثير من الصعوبات، وللتغلب على هذه المشكلة فقد تمّت الإستعانة ببعض النسوة ممن تربطني بهنّ علاقات قرابة مثل الوالدة والحالة وشقيقتي الكبرى في معرفة الكثير من العادات والطقوس المرتبطة بالأعياد والمناسبات الإحتفالية، كما تمّت الإستعانة ببعض الفتيات ممن يُتقنّ استخدام الوسائل الحديثة الخاصة بالتصوير الفوتوغرافي والتسجيل البصري، وتربطني بهنّ علاقات قرابة أو لكونهنّ بنات زملائي في العمل في مهنة التعليم.

### 5. دمج الجانب الميداني من الدراسة مع الجانب النظري:

الكثير من الأبحاث والدراسات في العلوم الاجتماعية والانسانية يفصل أصحابها في موضوع الدكتوراه بين الجانب الميداني من الدراسة عن الجانب النظري وهو اتجاه منهجي تتبناه بعض المقاربات، وبالمقابل يعتبر دمج الجانبين الميداني والنظري في البحث وعدم الفصل بينهما من الاتجاهات المنهجية التي تتبناها بعض المقاربات الأخرى والتي من بينها الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة، وهو ما شجّعنا لتبني هذا الخيار رغم ما يتطلبه من قدرات معرفية ومنهجية، حيث نترك الميدان وما يفرزه من نتائج ومعلومات هو الذي يُحدد التّأصيل النظري والمعرفي أو التحليل الأنثروبولوجي الذي يناسبه.

### خلاصة:

تعتبر مسألة توضيح الإجراءات المنهجية والشبكة المفاهيمية من المسائل ذات الأهمية الكبيرة في كل بحث علمي باعتبارها تمثل البداية الصحيحة للبحث، وفي هذا الإطار فقد فرضت علينا طبيعة موضوعنا المتعلق بالطقوس والممارسات الخاصة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية اعتماد "المنهج التعددي" لما له من أبعاد مختلفة ممتدة في المكان والزمان بما يستتبع الظواهر وتعقيداتها، وبما يتضمنه من جوانب كثيرة بعضها خفية وأخرى ظاهرة، الأمر الذي تطلب منا تنوع في المناهج من جهة وتدعيم هذه المناهج ببعض النظريات المساعدة التي لها مكانتها في تحليل وتفسير هكذا مواضيع، كما فرضت علينا هذه المقاربة الانثروبولوجية تنوعاً في التقنيات والأدوات المستعملة في جمع البيانات بما يسمح بتحليل النتائج وتحقيق أهداف الدراسة، كما أن محاولتنا في عدم الفصل بين الجانب الميداني والجانب النظري من الدراسة واعتماد فكرة طرح التساؤلات خلال صياغة الاشكالية وعدم تقديم فرضيات مسبقة للدراسة من أجل تأكيدها أونفيها، وإنما نترك الميدان وما يفرزه من بيانات ونتائج هو المحدد لاتجاه البحث، كل ذلك من شأنه تفادي الوقوع في الأحكام المسبقة وبالتالي إضفاء قدر كبير من الموضوعية والمصدقية على البحث.

إن هذه المقاربة المنهجية المعتمدة بأبعادها المختلفة تبادوا لنا الأداة الأكثر ملائمة لدراسة تمثيلات المجتمع التبسي لطقوس الأعياد والاحتفاليات العائلية والعادات والتقاليد المرتبطة بها والممارسات المرافقة لها وكشف دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية والتغيرات الحاصلة فيها وبالتالي الإجابة عن تساؤلات الدراسة وتحقيق أهدافها.

# الفصل الأول

## الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية الماهية والجذور التاريخية

تمهيد الفصل

أولاً: الإحتفال والعيد: المفهوم والدلالات  
ثانياً: العائلة الجزائرية بين أمس واليوم  
ثالثاً: الجذور التاريخية للطقوس الإحتفالية  
رابعاً: أنواع الإحتفالات العائلية  
خلاصة الفصل

### الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

#### تمهيد الفصل:

تُعدّ الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية من مظاهر الموروث الثقافي والديني والاجتماعي للمجتمعات الإنسانية عموماً تتوارثها جيلاً بعد جيل، وتتنوع طقوسها وعاداتها وممارساتها، كما تختلف التمثيلات والمعتقدات الشعبية نحوها وذلك باختلاف المجتمعات والشعوب، وتنوع الثقافات والمناطق، فهي من الآليات التي يحافظ بها المجتمع على موروثه الثقافي والحضاري وتقوية التواصل الأسري وتعزيز التماسك الاجتماعي وبناء الشخصية الفردية وترسيخ الهوية الاجتماعية، وذلك لما لها من مكانة في إطار العلاقات والتفاعلات بين الأفراد والعائلات وبما تتضمنه من دلالات رمزية وبما تؤدیه من وظائف اجتماعية وبما تشكّله من أبعاد اجتماعية ودينية واقتصادية وحتى سياسية في سياق التحولات السريعة ومظاهر التغيير الواسعة التي يشهدها المجتمع بين الحين والآخر.

وفي هذا السياق نُقدّم في هذا الفصل عرضاً حول أهم الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية في المجتمع التبسي من خلال البحث في البنية المفاهيمية للظاهرة الإحتفالية ومدلولاتها الثقافية والدينية في المنظومة الاجتماعية للمجتمع مبرزين جذورها التاريخية ومراحل نشأتها وتطورها إضافة إلى رصد أنواعها وأشكالها في منطقة تبسة.

#### أولاً: الإحتفال والعيد: المفهوم والدلالات

**1 - الإحتفال:** عبارة عن: "ممارسات نمطية شعائرية ذات جوانب دينية واجتماعية وأخرى ثقافية ويشترك فيها شرائح اجتماعية دينية وثقافية وإثنية واسعة"<sup>1</sup>، فهي ذلك النشاط البشري الذي تتخلله طقوس وعادات وتقاليد يستمدّها في أغلب الأحيان من فكر أو عقيدة المجتمع

<sup>1</sup> - صالح عامر، في سيكولوجيا الإحتفالات والأعياد الدينية، الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن، [www.m.ahewar.org](http://www.m.ahewar.org)، نشر بتاريخ: 09 / 12 / 2013، زيارة بتاريخ: 12 / 11 / 2017، على الساعة: 14، 09

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

الذي يعيش فيه، فالاحتفاليات تمثل إحياء لمناسبات دينية أو اجتماعية أو وطنية يتم من خلالها التحقق بوظائفها وغرس قيمها في نفوس المحتفلين بها، فهي بذلك يمكن أن نعتبرها تجمّع لعدد من الأشخاص بهدف إحياء ذكرى اجتماعية أو ثقافية أو دينية أو فصلية تعبّر عن أواصر العلاقة الموجودة بين الأفراد المختلفين.

كما يعرفها آخرون على أنها: "ممارسات اجتماعية لها طابع الرسمية تعبّر بوضوح عن شعور الناس حيث تلتقي فيها الشعائر بالطقوس والرموز"<sup>1</sup>، فهي بذلك عادات اجتماعية معبرة عن الابتهاج والفرح، وترتبط بالعواطف والأحاسيس، وتعبّر عن المعاني والمعتقدات التي في النفوس، وفي هذا المعنى يقول أحد المبحوثين: " الإِحْتِفَالَاتُ هِيَ مُنَاسَبَاتٌ نَفْرَحُوا فِيهَا وَنُحْيُوا فِيهَا عَادَاتُ أَجْدَادِنَا وَآبَائِنَا بَاشَ نَرَبُّوا عَلَيْهَا أَوْلَادِنَا وَنُورُّنُوهَا لِيَهُمْ"<sup>2</sup>

يقول الأستاذ سعيدي محمد مبينا أهمية الاحتفال بالأعياد والمناسبات: " للعيد نكهة خاصة يدعو الناس إلى التوقف عن العمل والقيام بأعمال غير مجدية على الصعيد المادي، العيد يدفع الناس إلى التمتع بالحياة والاحتفال بالعلاقات الاجتماعية خارج إطار العلاقات الاقتصادية، لذلك فالشحنة المعنوية التي يتمتع بها العيد حاجة إنسانية يشعر الناس عفويا بضرورة التمسك بها"<sup>3</sup>، فهي من القيم الثابتة للحياة الاجتماعية المحلية التي تزيد من التمتع بالحياة والفرح والابتهاج والإحساس بالانتماء مما يعطي للمحتفلين شعورا قويا بالانتماء والإعتزاز.

<sup>1</sup> - فائزة أسعد، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقارنة سوسيوأنثروبولوجية لعادات الختان والزواج، مدينتي وهران وندرومة نموذجاً، أطروحة غير منشورة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2011 / 2012، ص ص 104-105.

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 1

<sup>3</sup> - محمد سعيدي، العائلة، عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر: الظاهرة الإحتفالية بالأعياد، نموذجاً، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد4، سنة 1998، ص 46.

### 2 - العيد:

في لغة العرب: "هو كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عاد يعود، كأنهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه، والجمع أعياد، قال ابن الأعرابي: سُمِّي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد"<sup>1</sup>، كما ذكر أهل اللغة أن أصل كلمة العيد (عاد، يعود)، بمعنى رجع، والعيد ما يعود من همّ أو مرض أو شوق أو نحوه، وكل يوم يحتفل فيه بذكر كريمة أوحببية، وجمعه أعياد"<sup>2</sup> ومن ثمّ فالعيد سمي بالعيد لكونه يتكرر ويعود سنوياً، وقال بعض أهل اللغة كما جاء في لسان العرب بأن العيد سمي بالعيد لأن المجتمع "قد اعتاده - أي من العادة - لأنهم اعتادوه"<sup>3</sup>، وكلا المعنيين قريب ويكمل بعضه البعض.

أما في الاصطلاح، فالعيد: "يوم الفرح والسرور والتواصل، يحتفل فيه الناس بذكرى كريمة أو مناسبة عظيمة، وسمى عيداً لأنه يعاود الناس ويرجع إليهم من حين لآخر"<sup>4</sup>، ومن ثمّ فإن معناه الإصلاحي لا يختلف كثيراً عن معناه في اللغة، فهو مناسبة تتكرر كل سنة للفرح والابتهاج، وفي هذا المعنى يقول أحد المبحوثين: "العيد مناسبة ورثناها على أجدادنا نفرحوا فيها كبير وصغير"<sup>5</sup>، فالأعياد ظاهرة اجتماعية ودينية عامة وقديمة قدم الإنسانية ذاتها تمارس في أحواء احتفالية، وهي تعتبر من العادات الجماعية، كما تعتبر مطلب فطري تحتاج إليه النفوس لتستريح من عناء الحياة ومشاقها، كما أنها ضرورة اجتماعية لما تؤدّيه من غرس للقيم

<sup>1</sup> - ابن منظور الأنصاري، مرجع سابق، ص 393.

<sup>2</sup> - زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ج 1، تحقيق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، ط 5، 1999، ص 221

<sup>3</sup> - ابن منظور الأنصاري، مرجع سابق، ص 393.

<sup>4</sup> - محمد هارون فرغلي، الأعياد وأثرها في تماسك المجتمع، <http://www.diwanalarab.com>، نشر بتاريخ: أكتوبر 2008، زيارة بتاريخ: 10 / 10 / 2017، على الساعة 9: 10.

<sup>5</sup> - المبحوث رقم 2

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

وتعزيز للوحدة وتقوية للروابط الاجتماعية بين أفراد العائلة والمجتمع كما أن لبعضها أبعادا دينية تضيفي على ممارستها أجواء روحانية.

### 3 - الإحتفالات العائلية والمقاربة الأنثروبولوجية:

لقد اهتمت العديد من العلوم والتخصصات المعرفية بدراسة الظاهرة الإحتفالية كما هو الحال في علم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس والأدب والفنون وغيرها وذلك لتشعبها وشموليتها وتداخلها، إلا أنّها تجد ضالتها أكثر في المقاربة الأنثروبولوجية، "لأنّها مؤهلة أكثر من غيرها بما تملكه من أدوات منهجية ونظريات تحليلية، قادرة على اختراق الحقل الرمزي للمجتمعات التقليدية والمحلية والصحراوية والإثنية وغيرها من المجتمعات التي تؤلفها الأساطير والطقوس والاحتفالات والفنون فتقوم بتتبع دلالاتها وتفكيك رموزها عبر الكشف عما تحتزنه الذاكرة الجماعية من روايات وحكايات وأساطير"<sup>1</sup>، فالأنثروبولوجيا علم يهتم بدراسة سلوك الإنسان في مختلف جوانبه: الدينية، الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية وغيرها من السلوكات والممارسات والنشاطات، وهي أيضا كذلك تسعى لتفكيك الأشكال والصور والرموز والطقوس التي يمارسها أفراد المجتمع في تعبيراتهم الجسدية والرمزية وفي طقوسهم الإحتفالية من رقص، غناء، لعب، شعائر،.... وغيرها من الممارسات التي يتداخل فيها الديني بالدنيوي والمادي باللامادي والأسطوري بالواقعي، فالأنثروبولوجيا بما تملكه من مناهج ونظريات وأدوات هي الأقدر على دراسة هذه الظواهر، وبالتالي الوصول إلى نتائج تمكّن من الاستفادة من هكذا مواضيع في الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع.

<sup>1</sup> - محمد الهادي الجويلي، مرجع سابق، ص: 13

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

ولكون الممارسات الإحتفالية ظاهرة طقسية واثروبولوجية بامتياز، فقد بدأت الأثروبولوجيا أبحاثها من دراسة أساطير وطقوس ما يسمى بالمجتمعات "البدائية"، فقد بدأ الأثروبولوجيون الأوائل أبحاثهم على هذا النوع من الظواهر والموضوعات، غير أنهم لم يفرّدوا لها بحثا خاصا، وإنما كانوا يدرسون هذه المجتمعات دراسة شاملة من حيث سلوكها الديني والاجتماعي والاقتصادي بشكل متداخل، إلا أن موضوع الطقوس الإحتفالية كان يأخذ الحصّة الأكبر من غيرها من المواضيع في تلك الدراسات باعتبارها كانت من الظواهر المركزية في تلك المجتمعات، وتتطور علم الأثروبولوجيا وظهور فروعها المختلفة، إستحدثت ميادين جديدة للبحث فانتقلت مجالات الأبحاث الأثروبولوجية من دراسة المجتمعات "البدائية" إلى دراسة المجتمعات المحلية ومن الدراسة الشاملة للمجتمع إلى دراسة الموضوعات وبذلك أصبح موضوع التراث الشعبي والموروث الثقافي وقضايا العادات والتقاليد والتي من بينها الطقوس الإحتفالية من صلب إهتمام الأبحاث والدراسات الأثروبولوجية.

### ثانيا: العائلة الجزائرية بين الأمس واليوم

تحظى العائلة باهتمام كبير كموضوع للبحث العلمي والدراسة الحقلية باعتبارها الوحدة البنائية الأساسية التي تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية، فهي التي تقوم بالدور الرئيس في بناء صرح المجتمع وتدعيم وحدته وتوجيه سلوكه وتنظيم علاقاته، كما تعتبر نقطة البدء في تنشئة العنصر الإنساني، إضافة إلى ما تحتله من مكانة في إطار العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، وما تؤدّيه من وظائف وأبعاد، وذلك بما تستند عليه من موروث ثقافي وحضاري اكتسبته على مر العصور.

### 1- مفهوم العائلة :

في اللغة العربية: "الفظ العائلة مشتقة من فعل: عال، يعول، والعائل هو من كدّ وتعب ليقوم بتأمين ضرورات الحياة لمجموعة من أفراد تربطه بهم رابطة الدم، منحدرين من صلب رجل واحد وهو العائل، والأشخاص المعولين هم زوجته وأولاده ذكورا وإناثا وهم حصيلة زواج شرعي"<sup>1</sup>، وقد ورد في الموسوعة البريطانية أن "العائلة تتميز بالمقر المشترك والتعاون الاقتصادي والتزاوج والتناسل بين راشدين من ذكر وأنثى، تقوم بينهما علاقات جنسية مقبولة اجتماعيا، وتقوم العائلة بتلبية حاجات أساسية: كالحياة الجنسية، التوالد، الضرورة المعيشية، الهوية الشخصية والاجتماعية، تربية وتعليم الأولاد"<sup>2</sup>، فالتعريف يركز على مجموعة الخصائص التي يجب أن تتوفر في العائلة، إضافة إلى مجموعة الوظائف التي يجب أن تؤديها لتحقيق الترابط بين أفرادها.

أما من حيث الإصطلاح فهي: "مُنظّمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية وروحية"<sup>3</sup>، وهنا تم التركيز على مجموعة الروابط الاجتماعية التي من شأنها تجعل العائلة تتمتع بأنظمة وعلاقات وممارسات تساهم في تحقيق الأهداف التي ينشدها أفراد العائلة، هذه النظرة للعائلة نجدها أيضا عند قدماء الفلاسفة "أقر الفلاسفة منذ القدم أن الإنسان اجتماعي بالطبع وهو يميل دائما إلى الاجتماع ولايستطيع العيش منعزلا عن الآخرين، وأنه يسعى دوما لإيجاد الروابط والتفاعلات مع أبناء جنسه فيكون بذلك حلقات وجماعات اجتماعية ومتداخلة أبسطها حلقة العائلة وأوسعها حلقة الإنسانية الشاملة والمتنوعة"<sup>4</sup>، ويحدد الباحث الانثروبولوجي (كلود ليفي ستروس) العائلة بأنها جماعة اجتماعية

<sup>1</sup> - علي عبدالله الجباوي، علم خصائص الشعوب، دار التكوين للطباعة والنشر والترجمة، سوريا، 2007، ص 17

<sup>2</sup> - بياربونت وميشال إيزار، مرجع سابق، ص: 27

<sup>3</sup> - محمد الحسن إحسان، دراسة تحليلية في تغير العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة بيروت، ط2، 1985، ص: 85

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص: 91

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

لها ثلاث خصائص: " أنها تتكون أساسا عن طريق الزواج، أنها تتكون من زوج وزوجة وأبناء كما تحمل وجود أقارب آخرين، وهؤلاء الأعضاء يرتبطون معا بعدة روابط قانونية وشرعية، وجميعها حقوق والتزامات دينية واقتصادية"<sup>1</sup>، وهكذا تتكامل مختلف التعريفات المتعلقة بالعائلة باعتبارها من الموضوعات العابرة للتخصصات.

### 2 - أشكال العائلة الجزائرية:

بالنظر لوظيفة العائلة وتركيبتها البشرية وتحولاتها التاريخية " نُميّز نوعين من العائلات البشرية هما العائلة النووية والممتدة، ويكون التحوّل دائما من العائلة الممتدة إلى العائلة النووية"<sup>2</sup>. والعائلة بشكلها البسيط تتكون "من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين، ويطلق على هذا الشكل العائلة النواة لأنها تتكون من جيلين فقط، وقد تتكون العائلة من جيل واحد في حالة العقم أو عدم الرغبة في الإنجاب"<sup>3</sup>.

فالعائلة النووية: عائلة صغيرة الحجم إذ تتكون فقط من الزوج والزوجة وعدد قليل من الأطفال، أما العائلة الممتدة فهي عائلة كبيرة الحجم تتكون من الزوج والزوجة وعدد كبير من الأبناء وأطفال هؤلاء الأبناء والأقارب الذين يسكنون مع العائلة الأصلية في بيت واحد. أما مناطق إنتشار كل نوع، فالعائلة الممتدة " تتواجد في المجتمعات الزراعية الريفية وفي المجتمعات المحلية والعشائرية والقبلية، كما تنتشر في البيئات الاجتماعية الفلاحية والعمالية، بينما العائلة النووية فإنها تنتشر في الأقاليم الصناعية والحضرية كما تتواجد في الأوساط المهنية"<sup>4</sup> ومن حيث مميزات كل نوع فإن العائلة النووية تتميز "بسيطرة جو الحرية وذلك لتساوي منزلة

<sup>1</sup> - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأسرة والمجتمع: دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، ص 24

<sup>2</sup> - محمد الحسن إحسان، مرجع سابق، ص: 98

<sup>3</sup> - محمد القصاص مهدي، علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب جامعة المنصورة، عامر للطباعة والنشر، 2008، ص 5

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص: 99، بتصرف

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

الزوج مع منزلة زوجته، بينما يخيّم الجو التسلّط على العائلة الممتدة، إذ أن الأب يحتل منزلة اجتماعية أعلى بكثير من منزلة الأم حيث ينفرد بالرأي في اتخاذ الإجراءات والقرارات التي تتعلق بمستقبل الأطفال العائلة عموماً<sup>1</sup>، ومما يزيد من جو الحرية والحوار داخل العائلة النووية عدم تعرض الزوج إلى القيود التي تفرضها عليه سلطة الأقارب كسلطة الجد أو الأخوة وخاصة الأخ الأكبر، هذه السلطة التي كانت تقرر مصير ومستقبل العائلة الممتدة سابقاً، كما أن الزوجة في العائلة النووية لا تُحكّم من طرف (حماتها) أي والدة زوجها ولا تخضع لإرادتها كما هو الحال في العائلة الممتدة، كما أن علاقة الزوج مع زوجته في العائلة النووية أقوى بكثير من علاقة الزوج بزوجه في العائلة الممتدة.

أما في ما يتعلق بموضوع الأطفال ومسؤولية تنشئتهم "ففي العائلة النووية يتولى الأبوان رعايتهم والعناية بهم، والأقارب نادراً ما يساهمون في تولى مسؤولية تربية الأطفال، بينما في العائلة الممتدة يشارك كل من الوالدين مع الأقارب وخاصة الجد والعم والحال وكذا الجدّة والعمّة والحالة في تربية ورعاية الأطفال"<sup>2</sup>؛ من جهة أخرى تتعرض العائلة النووية إلى فقدان التقاليد والعادات والقيم التي كانت تلعب الدور الأساسي في وحدة وتماسك العائلة الممتدة ولهذا تكون علاقاتها الاجتماعية والقرابية ضعيفة ومفككة.

### ثالثاً: الجذور التاريخية للطقوس الإحتفالية

إنّ نشأة الإحتفالات والأعياد ليست مرتبطة بنشوء الدول والمؤسسات، بل تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ومنذ نشأة الإنسان، إلا أنه من الصعوبة معرفة تفاصيل هذه الأعياد والإحتفاليات ومظاهرها في تلك الفترات السحيقة في القدم لأن الإنسان لم يسجل ولم يدوّن

<sup>1</sup> - محمد القصاص مهدي، مرجع نفسه، ص: 100، بتصرف.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص: 101 بتصرف.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

لنا خلالها شؤون حياته بالكتابة التي لم تظهر إلا في " منتصف الألف الرابع قبل الميلاد " <sup>1</sup>، ومن ثم فإن أفضل طريقة لمعرفة طقوس الأعياد في حياة الإنسان في العصور ما قبل التاريخ معرفة تقريبية هي معرفة عادات الشعوب " البدائية" وتقاليدها واحتفالياتها إذ أنّ نمط حياتها يشبه إلى حد بعيد حياة الإنسان الأول في تلك الأحقاب التاريخية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، " فالشعوب البدائية لم تعرف بناء البيوت ولا الأكواخ ولم تعرف زراعة الأرض ولم يمارسوا تدجين الحيوانات وتربيتها ولا صناعة الأواني الفخارية بل كانوا يعتمدون في عيشهم على جمع القوت وصيد الحيوانات كما كان الإنسان في العصر الحجري القديم " <sup>2</sup>، كما أنّ المخلفات التي تركها إنسان هذه الفترات التاريخية السحيقة يمكن للباحث المختص الاستفادة منها لمعرفة بعض مظاهر الحياة القديمة وعاداتها وتقاليدها ونمط عيشها.

### 1- الطقوس الإحتفالية في المجتمعات البدائية: البدايات الأولى

إن الطقوس الإحتفالية لهذه المجتمعات سواء المفرحة منها أو المحزنة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعبوداتها التي تمثلها " الطواطم " \* المختلفة، ويدور محور هذه الإحتفاليات حول عملية ذبح الطواطم وأكله في المناسبات على نحو مشترك بين أفراد هذا المجتمع المحلي أو الجماعة أو القبيلة، إذ أن عملية الأكل المشترك وخاصة أكل اللحم كانت الوسيلة الوحيدة التي يستعملها الإنسان القديم من أجل توليد الإخاء والتضامن وشدة الرابطة الاجتماعية بين أفراد المجموعة الواحدة، وأن أكل اللحم على نحو مشترك لم تكن تحدث إلا في المناسبات، ولهذا السبب فإن أي

<sup>1</sup> - عباس النعيمي، الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص 7

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 8، بتصرف.

\* - الطواطم: هو تقديس حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية كالماء والمطر باعتباره الأصل الذي انحدرت منه القبيلة، فالطواطم هو الأب والروح الحامية للعشيرة والرمز المقدس لها، لذلك يمنع على العشيرة قتل طوطمها أو أكله إلا في بعض المناسبات من أجل اكتساب صفاته وخصائصه، وللتوسع أكثر حول هذا الموضوع يمكن الإطلاع على كتاب الطواطم والحرام، سيغموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، د ت.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الاحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

مناسبة تتطلب تقديم الأضاحي والقربان، وكانت تلك الأضاحي تجلب عيداً معها، وليس لهم عيد من دون أضحية، ومن ثم فإن: "الإنسان القديم كان يستغل مناسباته المتمثلة بنجاحه في حملة صيد أو ابتهاجه بوفرة نبات في موسم من المواسم أو تحقيق انتصار على جماعة معادية، يستغلها من أجل أكل اللحم على نحو مشترك، ومن ثم فإن من أبرز الشعائر في هذه المجتمعات هي تقديم القربان"<sup>1</sup>.

من جهة أخرى " يأخذ الغناء الديني والرقص التنكري شكلاً آخر من أشكال الطقوس الاحتفالية في هذه المجتمعات"<sup>2</sup>، فالرقص والغناء من الحاجات الضرورية الملازمة للأفراح والأعياد، فعندما يشعر الإنسان بالفرح فإنه يعبر عن ذلك بالغناء والرقص والضحك، خاصة إذا كان ذلك يُمارس بشكل جماعي.

### 2 - الطقوس الاحتفالية مظهر عند الشعوب والمجتمعات:

إنّ احتفاليات الشعوب على اختلافها تؤيد هذا الافتراض وربما تزيد عنه لأن الفرح عند الإنسان من الناحية السيكلوجية يتولد منها داخل الجسم طاقة يجب التنفيس عنها ولا يكون ذلك إلا بالغناء والرقص والضحك، مثلما يكون البكاء من أفضل ما ينفس به الإنسان حالة الحزن التي يعيشها ويحياها.

لذلك لم يخل أي عصر من العصور ولا مكان من الأمكنة ولا مجتمع من المجتمعات من طقوس وشعائر يأخذ الناس أنفسهم بأحكامها وممارساتها تجاه معبوداتها ودياناتها، ومن ثمّ يمكن القول أن المجتمع دائم الحاجة إلى ممارسات يقوم بها أفرادها لتنظيم أحوالهم والتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، فيكررون القيام بها حتى تترسخ جذورها في المجتمع وتصبح عادات تتوارثها الأجيال، ويصبح لها دور في الضبط الاجتماعي فتمارس بذلك سلطة رمزية على أفراد العائلة

<sup>1</sup> - عباس النعيمي، مرجع سابق، ص: 10

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص: 11

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

والمجتمع فتكون بمثابة دستور اجتماعي ينبغي التقيد به وإتباع أحكامه لأن ذلك في اعتقادهم مظهر من مظاهر الانتماء للعائلة والقبيلة والمجتمع بعد ذلك.

### 3- جذور الممارسات الإحتفالية في المجتمع الجزائري:

إذا أردنا البحث في الجذور التاريخية للظاهرة الإحتفالية في المجتمع الجزائري، فبحكم انتمائه إلى مجتمعات منطقة شمال إفريقيا، فإن هذه المنطقة تتميز بموقعها الاستراتيجي من العالم، حيث تُعد مركز القارات الخمس، أوروبا شمالاً وبقية إفريقيا جنوباً، ثم آسيا شرقاً والأمريكيتين غرباً، الأمر الذي جعلها محط أطماع مختلف الحضارات والمستعمرين منذ عصور ما قبل التاريخ، "حيث تعاقبت على المنطقة مجموعة من الحضارات الوافدة، قدموا من الشرق والغرب حاملين معهم دياناتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبفعل احتكاك ذلك مع ثقافة السكان المحليين بما تتضمنه من عادات وتقاليد وأعراف وطقوس إحتفالية مختلفة"<sup>1</sup>، كل ذلك جعل هذه المنطقة تزخر بأنماط وأشكال من الثقافات الشعبية التي تتمظهر في السلوك الاجتماعي لمختلف المناسبات الإحتفالية والمواسم والأعياد.

من جهة أخرى فإنّ "التنوع الجغرافي الذي تتسم به منطقة شمال إفريقيا من بحار ومحيطات (البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي والبحر الأحمر) وما يمتد حولها من تجمعات سكانية يتطلب نمط حياتها أشكالاً من الاختلاط والحركة، ومن جبال ومرتفعات وما يعيش على جنباتها من قرى وأرياف وقبائل، ومن سهول ومنخفضات (بما تمثله من مناطق فلاحية وزراعية بامتياز) ومن صحاري واسعة (وما تمثله من مناطق للتبادل التجاري والاحتكاك بالكثير من المجتمعات والشعوب) وما يعيش حولها من تجمعات سكنية وقبائل"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبدالكريم بركة، طقوس الإحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال إفريقيا، مجلة الثقافة الشعبية، السنة الخامسة، العدد: 19، خريف 2012، ص: 91

<sup>2</sup> - الحسين آيت باحسين، ظاهرة الإحتفال عند المغاربة، الحوار المتمدن، [www.ahewar.org](http://www.ahewar.org)، نشر بتاريخ 26 / 12 / 2012، زيارة بتاريخ: 20 / 02 / 2017، على الساعة 11: 15.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

من جهة أخرى فإنّ " تاريخ شمال إفريقيا من خلال ما تركه المؤرخون في احتكاكهم مع الأفرقة جنوب الصحراء ومع الحضارات الوافدة"<sup>1</sup> ابتداءً بحضارات ما قبل التاريخ والتمثلة في الحضارة العاترية والقفصية ثم حضارات كل من الفينيقيين والبونيين والنوميديين والرومان، مروراً بالوندال ثم البيزنطيين، وبعد ذلك العرب والمسلمين الفاتحين بما نقلوه من تعاليم الدين الإسلامي وممارساته في مختلف جوانب الحياة ونمط العيش، ثم الفرنسيين المستعمرين وما تركوه من لغة وثقافة فرنسية وديانة مسيحية من شأنها أن تؤثر على ثقافة السكان الأصليين وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم.

كما أن لمختلف الأنظمة والتجارب السياسية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والعمرائية التي أنشأتها تلك الحضارات على مدار تاريخها الطويل زد على ذلك مختلف الديانات التي اعتنقها سكان شمال إفريقيا ومارسوا طقوسها من وثنية حين سادت الوثنية، ويهودية ثم مسيحية ثم بعد ذلك الديانة الإسلامية مع المسلمين الفاتحين، كل ذلك دون شك سترك بصماته في السكان المحليين، ثم ينتقل بعد ذلك من جيل إلى آخر.

"إنه باستحضار تلك الأبعاد خلال دراسة الظاهرة الإحتفالية، لا يمكن إلا الإقرار على عراقية منطقة شمال إفريقيا الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ"<sup>2</sup>، وبما أن منطقة تبسة تقع في الجهة الشرقية للجزائر التي تنتمي جغرافياً لمنطقة شمال إفريقيا فإن طقوسها الإحتفالية والممارسات المرتبطة بها تستمد جذورها من هذه الأبعاد كذلك حتى وإن تعرّضت في كثير من مظاهرها لعوامل التغيّر على مر السنين والأزمنة الطويلة، ولكن بقيت بعض المظاهر الدالة عن تلك الثقافات والفترات الزمنية القديمة وهو ما سنقف عليه عندنا لرصدنا للطقوس والعادات الإحتفالية في المجتمع التبسي، في ما سيأتي من فصول هذه الدراسة.

<sup>1</sup> - الحسين آيت باحسين، مرجع نفسه بتصرف

<sup>2</sup> - مرجع نفسه.

### رابعاً: أنواع الاحتفاليات في المجتمع التبسي

تنوع الأعياد والمناسبات الاحتفالية بتنوع المجتمعات والشعوب بما تملكه من ثقافات وديانات، ومنطقة تبسة بانتمائها للمجتمع الجزائري الذي ينتمي بدوره إلى المجتمعات العربية والإسلامية، فإننا نُميّز فيها الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية التالية:

#### 1 - الاحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة:

تشمل دورة الحياة على عدة مناسبات يحتفي بها الفرد في وسطه الاجتماعي وعلى مدار السنة، باعتبارها جزء لا يتجزأ من حياته الاجتماعية والاقتصادية، وتشكّل محطات رئيسة في رحلة الإنسان عبر الحياة، ويحتفل المجتمع التبسي باحتفاليات دورة الحياة التي تشمل احتفالية الميلاد، الختان، الزواج والوفاة؛ فالاحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة حياة الفرد هي تلك السلوكات الاحتفالية الجمعيّة، والممارسات الحياتية المتعلقة بميلاد الفرد وزواجه ثم وفاته بعد ذلك، بما تتضمنه هذه الممارسات من عادات وتقاليد وشعائر وطقوس تؤكّد على طبيعة الاحتفال وترسخ مفهومه بين أفراد المجتمع وبالتالي تساهم في إنتقاله من جيل إلى آخر على مرّ الأيام والسنين باعتبارها انعكاساً للمقومات الدينية والاجتماعية والاقتصادية للبناء الاجتماعي السائد في المجتمع.

#### 2 - الاحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية:

يحتفل المجتمع التبسي بمناسبات دينية يتم إحيائها في مواعيد سنوية محددة، تأخذ طابع ديني وتتجلى مكانتها في حاضر وذاكرة سكان المنطقة؛ ومن أهم تلك الاحتفاليات نجد عيد الفطر المبارك ( العيد الصغير)، وكذلك عيد الأضحى ( العيد الكبير)، حيث نُضحّي كما ضحّى خليل الله إبراهيم، وفي هذا اليوم يفرح الفقراء بعطايا الأغنياء وتظهر مظاهر التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع، كما توجد بعض المناسبات الأخرى التي تستدعي التذكّر والتفكّر مثل يوم عاشوراء، وذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، ورأس السنه الهجرية والميلادية،

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجدور التاريخية

وشهر رمضان المعظم، وليلة القدر، ومواسم الحج والعمرة، وغيرها من المناسبات والأعياد التي سنحاول الوقوف على بعض أبعادها الإجتماعية ومعانيها ومظاهرها الإحتفالية والدينية في ظل مقارنة أنثروبولوجية تحاول كشف المخفي منها والبحث في دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية ومظاهر التغير الحاصلة فيها.

إن الإحتفالات والمناسبات الدينية في صورتها العامة تمثل تقليدا رسميا وشعبيا تتجلى فيها مظاهر الفرح والابتهاج من جهة وتظهر فيها ممارسات يختلط فيها الديني بالاجتماعي والمقدس بالديني والروحي بالمادي، كما أنها تمثل فُرصاً عظيمة لتوديع الهموم والأحزان، والترويح عن النفس المجهدة من مشاق الحياة، وهي مناسبات من شأنها أن تساعد على تقوية أواصر التراحم والتواصل الاجتماعي المادي والمعنوي بين الأقارب والعائلات، مما يزيد من تماسك المجتمع وتقوية بنيانه وتعزيز العلاقات الاجتماعية بين أفراد.

### 3- الإحتفالات المرتبطة بالمناسبات الإجماعية:

يحتفل سكان منطقة تبسة بالعديد من المناسبات ذات الطابع الاجتماعي، التي تمثل أبرز الأحداث في حياة الأفراد الشخصية والعائلية، ومن أبرزها:

- الإحتفال بنجاحات الأبناء في الإمتحانات المدرسية: مثل إمتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي ( شهادة التعليم الإبتدائي)، إمتحان نهاية مرحلة التعليم المتوسط (شهادة التعليم المتوسط)، إمتحان نهاية مرحلة التعليم الثانوي (شهادة البكالوريا)، وتتميز مظاهر الإحتفال بهذه المناسبات بإقامة الولائم التي يجتمع حولها الأهل والأقارب والجيران وغيرهم من المدعوين وخاصة من سلك المعلمين والأساتذة ممن ساهم في تدريس المعني بالنجاح، إضافة إلى زملاءه من الأولاد بالنسبة للولد الناجح أو البنات بالنسبة للبنات الناجحة، وذلك في جو من الإبتهاج والفرح بالنجاح والتفوق

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

كما تُقدّم هدايا للناجحين سواء من طرف أوليائهم أو المدعوين تعبيرا عن النّجاح وقطف ثمار الإجتهد والعمل تكريما وتشجيعا لهم على مواصلة المشوار على نفس النهج من البذل والعطاء والإجتهد.

- **الإحتفال بنجاحات الأبناء في الإمتحانات الجامعية:** مثل الحصول على شهادة الليسانس، الماستر والدكتوراه، وتتجلى مظاهر الإحتفال في هذه المناسبات بإقامة الولائم وتقديم أنواع مختلفة من الأطباق والحلويات وتقديم الهدايا والتهاني والتبريكات للناجحين، في أجواء عائلية من الفرح والإبتهاج.
- **الإحتفال بالنجاح في المسابقات المهنية:** حيث يُعتبر الحصول على وظيفة قارة حُلْم كل شاب وشابة، ومن ثم يكون النجاح في مثل هذه المسابقات مصحوب بمظاهر الفرح والإبتهاج والإحتفال، ويتجلى ذلك في إقامة الولائم التي تكون محدودة نوعا ما في بعض العائلات ومقتصرة على عائلة المعني بالنجاح وبعض المقربين منه.
- **الإحتفال ببناء سكن أو شرائه:** ويتجلى الإحتفال بهذه المناسبة بإقامة وليمة ( عشاء) يحضرها الأهل والأقارب يتم خلالها ذبح ديك يُسمّى في العرف المحلي بـ (سردوك) أي ( الدجاج العربي )، ذلك الذي يتم تربيته في البادية وليس ذلك الذي يتم شراؤه من الأسواق، أو مايسمى في العرف المحلي بـ (الدجاج الأبيض) تعبيرا الفرح بهذا السكن الجديد من ناحية وطرد أنواع الأذى من البيت الجديد، حيث يتم طهيه على طبق من الكسكس أو الشخشوخة أو التليتلي، في جوّ من البهجة والفرح، وبالتالي فالفرح بدخول مثل هذه السّكنات يمثل حدثا ذا قيمة كبيرة ويُصّف صاحبه بأنه قد أنجز عملا عظيما لأهله وأولاده، خاصة في ظل أزمة السّكن التي يعاني منها الكثير من الناس في هذا الوقت.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

● الإحتفال بشراء سيارة: يتجلى الإحتفال بهذه المناسبة بإقامة وليمة قد تكون ضيقة نسبيا من حيث المدعوين، تقتصر على صاحب السيارة وأهله وأولاده وإخوانه وذلك إحتفاءً بهذه المركبة الجديدة ، وتكون هذه الوليمة بمثابة حفظ لهذه السيارة من أن يصيبها أي أذى أو مكروه.

### ● الإحتفال بعيد ميلاد الطفل:

تحتفل الكثير من العائلات في منطقة تبسة بأعياد الميلاد، وهي إحتفالية عائلية تُمثّل الذكرى السنوية لميلاد الشخص، تتم في نفس تاريخ ميلاده، ويكثر القيام بهذه الإحتفالية في الغالب لدى الأطفال، ويحضرها أفراد العائلة وبعض الأقارب وبعض أقران الطفل المحتفل به، و تتمظهر مظاهر هذه الإحتفاليات في العديد من الطقوس والممارسات إلا أنّ أهم ما يميزها إعداد كعكة عيد الميلاد ذات الشكل الدائري التي ترمز إلى دورة الحياة، وما تنزيّن به من شُموع بعدد سنوات عمر الشخص المحتفل به، ومّا يُصاحب هذه الإحتفالية ترديد كلمات تلك الأغنية الشهيرة - باللغة الانجليزية - من طرف الحاضرين: " Happy Birthday To You " ومعناها "عيد ميلاد سعيد"، لتنتهي بإطفاء الشموع وسط أجواء من التصفيق الممزوج بالفرح والسرور والإبتهاج، وبعدها يتم تقسيم تلك الكعكة وتوزيعها على الحاضرين، كما يتم تقديم التهاني والهدايا للشخص المحتفل به مُتمنّين له سنة سعيدة مليئة بالنجاح والتفوق، وبذلك تُصبح أعياد الميلاد فرصة للآباء للتعبير عن مدى حبهم لأبنائهم والإهتمام بهم ومحاولة إسعادهم وإدخال البهجة والسرور عليهم ، ومن ثم فهي وسيلة من وسائل التنشئة الإجتماعية لغرس معاني الحب والتفاعل الإيجابي بين الأبناء، وهذا بغض النظر عن ذلك الجدل القائم في المجتمع عن مشروعية هذه الإحتفاليات.

هذه بعض الإحتفاليات ذات الطابع الاجتماعي التي يحتفل بها المجتمع التبسي لما لها من أهمية في تعزيز روح الانتماء للعائلة وترسيخ معاني الحب والتماسك العائلي والتضامن الإجتماعي.

### 4- الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الموسمية والفلاحية:

#### • التوزيع: ظاهرة اجتماعية في طي النسيان

تتنوع الإحتفاليات المرتبطة بالمواسم الفلاحية في المجتمع الجزائري عموما وفي منطقة تبسة خصوصا بتنوع العادات والتقاليد والطقوس الإحتفالية، فهناك إحتفاليات تتعلق بالبذر والحراث، وأخرى تتعلق بالحصاد وجني المحصول ولكل منها طقوسها وعاداتها بين السكان وخاصة على مستوى الأرياف والبوادي، ولذلك تتميز منطقة تبسة بزخم ثقافي وفني عريق في مختلف الفنون والثقافات الشعبية الشفوية منها والمادية، فضلا عن تلك العادات والتقاليد المرتبطة مباشرة بالنسيج الإجتماعي والمنظومة الاجتماعية، هذه العادات التي لا يزال بعضها متجذّر في أعماق المجتمع التبسي تعكس ارتباطه الوثيق بأرضه وحضارته، وبعضها الآخر إندثر وأصبح في طي النسيان كعادة "التوزيع" التي كانت تمثل "ظاهرة اجتماعية تعبّر عن حالة تضامنية موسمية بين أفراد المجتمع، تمثل: "تجمع مهني وفني، يشترك في إنجازه مجموعة من الأشخاص بطريقة تطوعية لفائدة أحد عناصر المجموعة، وتتشكل التوزيع حسب نظام دورة الحياة البدوية الريفية فتتواجد في كل المواسم الكبرى كالحراث والحصاد وإعداد الصُوف وجني الزيتون"<sup>1</sup>

يمكن للتوزيع أن تكون في شكل تجمّع نسائي في إعداد الصوف وقردشته وغزله ونسجه، كما يمكنها أن تكون في إعداد ما يُسمّى بـ "العولة" من خلال جملة المراحل التي تمرّ بها من رحي الحبوب وتحضير الكسكسي وحياكة النسيج والمنتوجات الصوفية، كما تكون في شكل تجمّع رجالي مثل عمليات حرث الأرض وحصاد القمح والشّعير وجرّ الأغنام، وفي بناء

<sup>1</sup> - الزاوية برقوقي، جدلية الفن والعمل في ظاهرة التوزيع بمنطقة سيدي بوزيد، مجلة الثقافة الشعبية، السنة 05، عدد 17، ربيع 2012، ص95.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

المساكن وحفر الآبار وشقّ الطرقات وغيرها ، وقد يشترك فيها كل من الرجال والنساء كما في عمليات جني المحصول كالزيتون والخضر والثمار والفواكه<sup>1</sup>.

### - من التوزيع إلى العمل التطوعي:

لقد كان لمبدأ التوزيع أثر كبير في توجيه بعض الممارسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية على مستوى المدن والمناطق الحضرية، ولكن بإسم جديد ومُعاصر ألا وهو " العمل التطوعي"، "لقد إستغلت المؤسّسات الرسمية هذه الممارسة وترجمتها وفق متطلبات الثقافة الحضرية الحالية، وطبقتها في عدد من المشاريع ذات المنفعة العامة كتنظيف الأحياء والشوارع والمقابر وحملات التشجير وغيرها من الأنشطة الجماعية ذات الطابع الخيري الذي تعود فوائده على المجتمع ككل، إنّ إستجابة سُكّان المدن بسرعة ودون تردّد لمثل هذه النداءات التطوعية يدل على أن الفرد المدني رغم أنّه يعيش في المدينة وفي ثقافة حضرية فإنه لم ينسلخ من عاداته وتقاليده الأصيلية التي تربّى عليها بأبعادها العقائدية والاجتماعية والثقافية والتي أخذت تظهراتها في أشكال العمل التضامني والتطوعي على مستوى المدن الكبرى والمناطق الحضرية"<sup>2</sup>.

وخلاصة القول حول هذه العادة التي لطالما كانت في الأمس القريب تضرب أروع صور التضامن والتكافل الاجتماعي وترسيخ قيم التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع على قضاء مختلف الحوائج مهما كانت صعوبتها ومشقّتها بين سُكّان المنطقة، وهي الآن أقلّ حضُورا لدى السيدات وربّات البيوت سواء في المناطق الريفية أو الحضرية، وهذا يعود إلى أسباب كثيرة من أهمّها التفكّك الأسري والتحوّل الاجتماعي من العائلة الكبيرة إلى الأسرة الصغيرة، ناهيك عن عوامل النزوح الريفي والتوسّع في المدن التي رافقتها تطورات البيئة الاقتصادية، خاصة من حيث التكنولوجيا الحديثة ودخول المكنّنة والمنتوجات الجاهزة وغيرها من التحوّلات الحاصلة على

<sup>1</sup> - الزازية برفوقي، مرجع نفسه، ص 96.

<sup>2</sup> - محمد سعدي، الانثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ص: 117-118.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجدور التاريخية

تختلف الأصعدة، الامر الذي جعلها تأخذ أشكالاً جديدة من مظاهر العمل التطوعي والتضامني على مستوى المدن والمناطق الحضرية.

### ● إحتفالية يناير: معتقدات وطقوس

تعتبر إحتفالية يناير من أبرز معالم التراث الثقافي الذي تشترك فيه بلدان شمال إفريقيا عموماً والمجتمع الجزائري خصوصاً، تستمد منه مكانتها بما تحمله في طياتها من معتقدات وطقوس وتكتسي أهميتها بما تحمله من دلالات ثقافية و وظائف إجتماعية وأبعاد رمزية، وهذا ما جعل الإحتفال بمناسبة " يناير " يُحظى بمكانة خاصة في مجتمعات شمال إفريقيا عموماً والمجتمع الجزائري وفي منطقة تبسة خصوصاً، باعتبارها من الإحتفالات القديمة قدم السُّكَّان الأصليين بما تتمثله من مظاهر التراث الثقافي الأمازيغي في هذه المجتمعات والمناطق، ولما تحمله من مظاهر التفاؤل بالعام الجديد من خلال مجموعة من الممارسات والطقوس ذات الدلالات الرمزية التفاؤلية بالخير ووفرة المحصول، وتختلف مظاهر الإحتفال بهذه المناسبة في هذه المناطق في بعض تفاصيلها وهو أمر يعكس التنوع والثراء الذي يُميّز الثقافة الجزائرية.

### أ- إحتفالية يناير بين المصطلح والمفهوم:

"يناير" (بتشديد النون) من حيث المصطلح هي كلمة أمازيغية مُركَّبة من كلمتين ( يَنْ : yan) وتعني واحد، و( أيور: ayur ) وتعني الشَّهر ، وبذلك يكون المعنى: أول الشهر، وهو ما يطلق عليه عند بعض القبائل إسم: رأس العام"<sup>1</sup>، كما يُطلق "يناير" بصيغ مختلفة: يناير، إناير، ينار،

<sup>1</sup> - أم الخير العقون، يناير حقيقة أم مغالطة تاريخية، أو الحقيقة بين الرواية الشفوية و الكتابة التاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد : 08، العدد: 01، جويلية 2019، جامعة وهران1، ص: 03.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

إنّار، وذلك حسب اختلاف المناطق وتعابير اللغة الامازيغية واللهجات العامية العربية<sup>1</sup>، ويوافق هذا التاريخ: اليوم الثاني عشر من شهر جانفي (يناير) من كل عام.

أما من حيث مفهومه ومضمونه فهو "إحتفال مرتبط بالزراعة وخصوبة الأرض ووفرة الغلال والمحاصيل، بمعنى أنه مرتبط بموسم الحرث والبذر، فهو بذلك إحتفال يُقام للتعبير عن التفاؤل بسنة جديدة ملؤها الخير على الفلاحين خاصة والناس بشكل عام مهما اختلفت أعراقهم"<sup>2</sup>، ومن ثمّ فإنّ "ينّاير هو الشهر الأول من السنة حسب التقويم الشمسي اليولياني، ممّا يجعل الإحتفال بقدومه تفاعلاً بقدوم الرخاء والخير ووفرة المحصول طيلة السنة الجديدة.

### ب- إحتفالية ينّاير والبعد الفلاحي:

إنّ إحتفالية تحمل معاني ودلالات رمزية ترتبط أساسا بالأرض وتقلّبات الطقس والمناخ فهي إحتفالية ترتبط بالنشاط الفلاحي وبالعبادات الفلاحية والمواسم الزراعية على اعتبار أن سُكّان البلاد الأصليين كانوا مرتبطين ارتباطا كبيرا بالأرض شأنهم في ذلك شأن المجتمعات الزراعية القديمة، إذ يُعتبر شهر "ينّاير" عندهم (رمز الفلاحة والخصوبة) من خلال كونه موسم نهاية الحرث ومنتصف موسم الأمطار والثلوج، وهو ما يجعل الناس يستبشرون خيرا بالعام الجديد فيحتفلون بقدومه تيمّنا وتفاعلاً بمجيء سنة فلاحيه خضراء، وذات محاصيل وفيرة على الفلاحين خصوصا وعلى مجموع السكان عموما.

فهي إذن إحتفالية مرتبطة بالأرض وبالموسم الفلاحي بامتياز، حيث تشير الطقوس إلى مدى ارتباط الإنسان الأمازيغي بأرضه ومدى اندماجه في الطبيعة من أجل العيش والحياة، كما

<sup>1</sup> - فارس كعوان، إحتفالات ينّاير بالجزائر، جذورها التاريخية، تظاهراتها ودلالاتها الرمزية، مقارنة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة التاريخ المتوسطي،

العدد الأول، ديسمبر 2019، ص: 23، بتصرف

<sup>2</sup> - أم الخير العقون، مرجع سابق، ص: 03.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

تتزامن الإحتفالية مع نفاذ المؤونة الغذائية التي كان يُحتفظ بها السّكان للشتاء والمعروفة في اللغة المحلية بـ "العولة"، لذا فهي مناسبة لتجديد القوى الروحية لديهم من خلال ممارسة بعض التعبيرات والطقوس التي يُرحى منها إبعاد شبح الجوع والتماس أسباب الخير والسّعادة التي لا تكون بالنسبة للإنسان الأمازيغي إلا بخصوبة الأرض وكثرة الغلال ووفرة المحصول.

وما يؤكد هذا المعنى أنّ موسم "يناير" تاريخ يفصل بين زمنين طبيعيين، زمن البرد من جهة و زمن الاعتدال من جهة أخرى، فهو الزمن الذي يصادف عادة بداية تجديد الطبيعة لدورتها الحياتية أو ما يعرف بخروج الليالي البيض ودخول الليالي السّود، حيث خلال الليالي البيض لا تكون التربة صالحة للزراعة ومع دخول الليالي السّود تصبح التربة صالحة للبذر، لهذا يبدأ الناس في تهيئة الحقول ومباشرة الأعمال الفلاحية التي من شأنها إذا بدأت في بداية الموسم ستكون المحصول وفيرا وبالتالي يعيش جميع السّكان في رغد من العيش وهو ما يجعل الممارسات الإحتفالية تصادف هذا اليوم من أجل التفاؤل بالعام الجديد وتمجيد الطبيعة والأرض والإكبار من شأنها والتماس الأسباب التي يعتقد أنها تجلب الخير والإنتاج الوفير.

وهكذا إذا عدنا إلى امتدادات الإحتفال بهذه المناسبة سنجدها "إحتفالية مدنية بامتياز" باعتبارها تُقام خارج فضاءات المعابد، من ضريح ومسجد وزاوية وغيرها من الفضاءات ذات الوظائف التعبّدية الدينية؛ وإنما هي إحتفالية ترتبط بالأرض والزراعة والمواسم الفلاحية.

### ج- إحتفالية يّناير والبعد الإحتفالي:

تختلف مظاهر الإحتفال بمناسبة "يّنّاير" في منطقة تبسة في بعض تفاصيلها عن تلك التي تتميز بها مناطق أخرى من المجتمع الجزائري، إلا أن هناك مجموعة من التقاطعات التي تجعل بعض الطقوس مشتركة بين الجميع، نذكر من أهمها:

- الحرص على تنظيف البيوت والمنازل و أواني الأكل، وإعادة طلاء البيت وتزيينه والتخلص من كل ما هو قديم، مما يجعل الأهالي تحرص على استقبال العام الفلاحي الجديد بألبسة جديدة وأفرشة وأواني جديدة.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

- تغيير حجارة الموقد والتي عادة ما تكون مُكونة من ثلاث أحجار بأخرى جديدة ودفن رماد الموقد القديم وهذا يندرج ضمن "مفهوم الخصوبة الواسع الذي يحمل رمز التجديد وإعادة الحياة"<sup>1</sup>، كما يرمز الرماد في الثقافات المسيحية والهندوسية إلى التواضع والتوبة<sup>2</sup>
- في صبيحة "ينّاير" يتم إعداد بعض الحلويات التقليدية مثل الشرشم والغرايف والرفيس والطمينة وغيرها، فهي بذلك تحمل دلالة الأصل والعطاء باعتبارها من منتوجات الأرض، كما تحمل معاني التفاؤل بعام جديد مليء بالخيرات والإنتاج الوفير وكثرة المحصول بما ينعكس على حياة السّكان ومعيشتهم.
- تكون هذه المناسبة فرصة لتبادل الزيارات العائلية وإنهاء الخُصُومات وإقامة الصّلح ومناسبة كذلك للتضامن الاجتماعي عبر تجميع الصدقات وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين.
- على المستوى الرسمي يتم تنظيم العديد من التظاهرات الثقافية والألعاب التقليدية والعروض المسرحية والفروسية وغيرها من النشاطات التي ترعاها السلطات المحلية وذلك على مستوى مديريات الثقافة ودور الشباب والرياضة والمؤسّسات التربوية.

في مساء يوم ينّاير يتم إقامة مايسمى في اللهجة المحلية بـ "أمّسي نيّنّاير" أي "عشاء ينّاير" ويتم تحضيره من مكونات وخيرات الأرض، وغالبا ما يتم ذبح ديك عن كل رجل ودجاجة عن كل امرأة، يكون الديك ذو لون أسود ويتم ذبحه وسط حقل زراعي أو أمام عتبة البيوت، وهي مُمارسة لطرد الأرواح الشريرة وإبعاد العين والأذى وجلب الخير والبركة والتقرب إلى الله،

<sup>1</sup> - حنان عقون، احتفالات ينّاير عند أمازيغ الجزائر بين الامس واليوم، دراسة في الأنساق الثقافية المضمرّة، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018، ص 179.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص: 179.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

ومما أورده فيليب سيرنج في رمزية الديك "أنه كان على الدوام طائراً شمسياً، رمز الكوكب والنور المتولد، والديك يصيح قبل شروق الشمس وبذلك فهو رمز الحيوية وصيَّاحه علامة تشتت الاشباح الطائفة أثناء الليل"<sup>1</sup>، ويتم طهي الديك على أحد مشتقات القمح مثل طبق الكسكسي أو ما يشبهه، كالشخشوخة التي تُطبخ ثم تُسقى بالمرق باستخدام سبعة أنواع من الخضار، ويُقدّم في قصعة من الطين أو الخشب، حيث تجتمع حوله جميع أفراد العائلة في جو من الإبتهاج والسرور، ومن العادات أن يأكل الجميع بشراهة إلى حدّ الشبع والتّخمة باعتباره عيداً مقدّساً، وإعتقاداً منهم أنّه مَنْ لم يشبع ليلة رأس العام فإنّ الجوع سيُطارده طيلة السنة الجديدة كلّها، وخاصة الأطفال فيتم حثّهم على الأكل وتخوينهم بـ "عجوزة يناير" التي ستأتي لمعاقبتهم إن لم يأكلوا.

— ومما يميّز عشاء "يناير" أنه لا يقتصر إستهلاكه على أفراد العائلة فقط، بل يكون فيه نصيب للطيور والحيوانات، إذ يلقي جزء منه على سقف المنازل حتى يتناوله كل من يمر بالقرب منه

— من جهة أخرى يرمز هذا الإجتماع حول مائدة الطعام إلى التفاهم والتصالح وترك النزاعات، إنّ ذبح الذبيحة في الحقول الزراعية رمزية لتقديم القرابين عن طريق الدم المسال، كقربان لله تعالى في التفاؤل بالعام الجديد وجلب الخير والبركة في المحصول، وهو بمثابة قربان يُقدم لقوى الطبيعة واسترضاء لها في معتقدات بعض الشعوب والثقافات الأخرى، "وهي من الطقوس المرتبطة بأساطير الخصوبة بهدف إستعادة دورة الحياة

<sup>1</sup> - حنان عقون، مرجع سابق، ص: 184، نقلاً عن فيليب سيرنج، الرموز في الفن - الأديان - الحياة، تر: عبدالمهدي عباس، دار دمشق، سورية، ط1، 1992، ص: 348.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

وإحياء الطبيعة النباتية والإنبعث بعد إنقضاء الشتاء ودفع دورة الفصول التي لاغنى

عنها للحياة الزراعية<sup>1</sup>

- والملاحظ في هذه المناسبة أنّ جل الأطعمة التي يتم تحضيرها تُكون من مكونات القمح

لما له من مكانة مقدّسة عند جميع الحضارات الإنسانية، كما يُعتبر عند الشعوب

علامة الرخاء وهو ما جعل السكان في البوادي يقومون "بتعليق حزمة من سنابل

القمح ( أول المحصول ) على أبواب المنازل كتعويذة لرد الشر وجلب الخير والبركة"<sup>2</sup>.

- ومن المعتقدات أنه إذا أمطرت السماء في هذه الليلة فهي علامة خير وبشارة بأن

يكون العام مليئاً بالخيرات ووفرة المحصول والإنتاج.

- من مظاهر الإحتفال في هذا اليوم ترتدي النسوة أجمل الثياب المزينة بالحلي التقليدية

التي تحمل أشكالاً هندسية متنوعة ورموزاً مختلفة تعكس هوية المرأة الأمازيغية وتقاليدها

الضاربة في أعماق التاريخ، كما ترمز إلى مدلولاتها النفعية والتربينية والتجميلية من جهة

ودفع الأذى والشور والحسد من جهة أخرى.

### د- إحتفالية يناير والبعد الأسطوري:

"يرى أصحاب نظرية الأصل الطقسي للأسطورة التي ظهرت لأول مرة في كتاب "دين

الساميين" لمؤلفه روبرتسون سميث، أن الطقوس القديمة تفقد بمرور الزمن معناها وغاياتها،

فتتحوّل إلى مجرد حركات لا معنى لها، وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه،

وتقدم تبريراً مقنعاً لتلك الإحتفالات التي تتناقلها الأجيال، وبالتالي فالأسطورة والطقس

مترابطان ومتلازمان، ولا بقاء لأحدهما دون الآخر، فالأسطورة بحاجة للطقس لضمان خلودها،

<sup>1</sup> - حنان عقون، مرجع نفسه، ص: 181

<sup>2</sup> - فيليب سيرنج، مرجع سابق، ص: 311.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

والطقس بحاجة للأسطورة لتبرير وجودها والحفاظ على فعاليتها"<sup>1</sup>، ومن هنا يرتبط الإحتفال بمناسبة "يناير" بمجموعة من الأساطير يأتي على رأسها أسطورة العجوزة التي استهانت بقوى الطبيعة واغترت بنفسها ونسبت صمودها ضد الشتاء القاسي إلى قوتها، وشتتت "يناير" قائلة: " لقد مرّت أيامك وكأنها ربيع، وها أنت ستُغادر ليحلّ فورار (شهر فبراير، أي فيفري) الذي لن يصيبني فيه البرد ولن تعرقني فيه الثلوج، تقول الأسطورة: فغضب "يناير" كثيرا من قولها وطلب من شهر " فورار أي فبراير" أن يُعيّره يوما وليلة كي ينتقم من العجوزة التي شتمته، فلبّى " فورار" رغبته وتنازل له عن يومين من عمره، وعند خروج العجوزة إلى حقلها ومعها قطيعها، وهي مُطمئنة بأن "يناير" رحل وانتهى، وهنا استدعى هذا الأخير البرد والثلوج والرياح القوية، فهلكت العجوزة وقطيعها"<sup>2</sup>، وانطلاقا من هذه الأسطورة، أصبح شهر "فبراير" أقصر شهر في السنة! هذه الأسطورة تتناول الروابط الموجودة بين الإنسان والطبيعة والأرض، فالأرض هي الأم الحاضنة ومنها تولد كل الخيرات، لهذا تحتل الأرض مساحة واسعة في الطقوس التي تُقام في إحتفالية "يناير"، تمجيدا لهذه الأم واعترافاً بخيراتها وطلباً للخصب والرخاء والغلال الوفيرة ومحاولة لتجنب غضبها الذي يأتي في شكل جفاف وجذب وأوبئة.

### هـ - إحتفالية يّناير والبعد السياسي:

لقد تم ترسيم الإحتفال بمناسبة "يناير" في الجزائر<sup>3</sup>، واعتباره عيداً وطنياً ورسمياً، وأنه يوم عطلة مدفوعة الأجر لكل عمال الوظيفة العمومية إعتبار من تاريخ 12 جانفي 2018، وذلك من خلال قرار إجتماع مجلس الوزراء المنعقد بتاريخ 27 ديسمبر 2017، وقد جاء هذا

<sup>1</sup> - ميروك بوطوقة، يناير الأمازيغ: طقوس وأساطير، السفير العربي، العدد: 129، نشر بتاريخ: 2015/01/21، موقع: arabic.assafir.com زيارة بتاريخ: 2020/07/25.

<sup>2</sup> - حنان عقون، مرجع سابق، ص: 179، بتصرف

<sup>3</sup> - الهاشمي عصاد، الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية، نقلا عن موقع وكالة الأنباء الجزائرية، 20-01-2018-52306-ar/regions/aps.dz/http://www، نشر بتاريخ: 02 جانفي 2018، 09:39.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

الترسيم بعد إعتراف الدستور الجزائري بالأمازيغية وترقيتها كلغة رسمية شأنها شأن اللغة العربية، ويبدو أنّ هذا الإجراء جاء على غرار كل الإجراءات التي إتخذتها الدولة الجزائرية لصالح الهوية الوطنية بمقوماتها الثلاث: الإسلام، العربية والأمازيغية، ومحاولة إبعاد هذه المقومات عن الممارسات السياسية والحزبية من جهة وتماشيا مع تحديات العصر والعولمة والظروف الإقليمية والدولية من جهة أخرى، بما يُحقّق الإستقرار وتعزيز أواصر الوحدة الوطنية بين مختلف فئات المجتمع الجزائري.

### 5 - الإحتفالات المرتبطة بمواسم الأولياء وموالد الصالحين:

يعرفها الشيخ أبي بكر جابر الجزائري فيقول: "الموالد جمع مولد، مدلولها لا يختلف بين إقليم إسلامي وآخر إلا أن كلمة مولد لا تستعمل في كل البلاد الإسلامية إذ أهل بلاد المغرب الأقصى (مراكش) يُسمّونها بالمواسم فيقال: موسم مولاي إدريس مثلا، وأهل المغرب الأوسط "الجزائر" يُسمونها بالزرد، جمع زرّة فيقال: زرّة سيدي أبي الحسن الشاذلي مثلا، وأهل مصر والشرق الأوسط عامة يُسمّونها الموالد فيقولون مولد السيدة زينب، أو مولد السيد البدوي"<sup>1</sup> ويبين أسباب تلك التسميات فيقول: "سمّاها أهل المغرب بالمواسم لأنهم يفعلونها موسميا أي في العام مرة، وسمّاها أهل الجزائر بالزرّة باعتبار ما يقع فيها من ازدراد الأطعمة التي تُطبخ على الذبائح التي تُذبح للولي، أو عليه بحسب نيات المتقربين، وسمّاها من سمّاها بالحضرة إما لحضور روح الولي فيها ولو بالعناية والبركة، أو لحضور المحتفلين لها وقيامهم عليها"<sup>2</sup>.

وهكذا تتعدّد التسميات والمصطلحات من منطقة إلى أخرى ولكن تتفق في المضمون تقريبا فهي " تسمى الزرّة أو النشرة في منطقة الشرق الجزائري مثل قسنطينة، وتسمى الوعدة أو الطعم

<sup>1</sup> - أبي بكر جابر الجزائري، الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، د ط، د ت، ص 23

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 23

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

في منطقة الغرب الجزائري مثل مستغانم ومعسكر وغيليزان، وتسمى المعروف في منطقتي عين الصفراء والبيض، وتسمى الزيارة في الجنوب الجزائري مثل أدرار كما هو الحال في المغرب، أما في مصر فيطلق عليها بالموالد<sup>1</sup>

إنه بغض النظر عن كيفية ورود هذه التسميات والألفاظ وتعددتها فهي تعبر عن ظاهرة احتفالية شعبية وموسمية ترتبط بما هو مقدس، تشارك جميعها في بعدها الديني ومظاهر الفرح والإبتهاج والفُرحة، فهي تمثل موروث ثقافي وديني، تزخر بالعديد من التعبيرات الفنية والأشكال الفرجوية التي ترسم جانبا أساسيا من هوية المجتمع خصوصا في جانبه الديني والاجتماعي.

أ - الوعدة: يطلق هذا الإسم بكثرة في مناطق عديدة من الغرب الجزائري كما يُستعمل في مناطق من الشرق الجزائري ومن بينها منطقة البحث والدراسة (تبسة)، والوعدة في اللغة: "تشتق من الفعل وعد، وتعني تعهد بشيء ما"<sup>2</sup>، وقد اعتاد المسلمون أن يقدموا نذرا لله تعهدوا به إذا تم قضاء حوائجهم، ونفس الشيء بالنسبة للمريدين من أتباع الولي أو الزوار الذين جاءوا بغرض الزيارة للوفاء بالوعد الذي أخذوه على أنفسهم إذا تحققت أمنياتهم وحوائجهم، وفي هذا المعنى يقول الباحث الجزائري نورالدين طوالي: " تكون عادة اعتراف بالجميل إذا تحققت إحدى أمنياته، قد يتعهد بإطعام مئة محتاج إذا وضعت زوجته الحامل صبيا طال انتظاره، فإذا تم له ما أراد، يكون عندئذ باحترام تعهده تحت عاقبة الكفارة أي النكث بالعهد"<sup>3</sup>، وهذا ما يتوافق وتمثلات مجتمع البحث في منطقة تبسة حيث يقول أحد المبحوثين: "الوعدة كائنة عندنا في المجتمع، يقول الواحد إذا جاني مزيود ذكر ولا إذا نجحلي

<sup>1</sup> - الصديق ثياقة، المقدس والقبيلة: الممارسات الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري، زيارة الرقاني نموذجاً، رسالة تخرج

لنيل شهادة الدكتوراه علوم، غير منشورة، في علم الاجتماع، 2013/2014، ص: 67

<sup>2</sup> - نور الدين طوالي، مرجع سابق، ص: 122

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص: 123

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

الطفل في الامتحان، ولأ إذا ارتاحلي الطفل من المرض، ولأ تقول المرا إذا جاء عريس لبنتي نصدق بكذا وكذا، ولازم نوقي بالشئ اللي وعدت بيه"<sup>1</sup>، وتكون الوعدة خاصة أثناء تعرض الشخص للمصائب والأمراض والكوارث؛ فالوعدة ظاهرة متعددة الاصطلاح ولكن يبقى معناها في الكثير من الأحيان متقارب، ويتفق ذلك مع تعريف "إميل دوركايم" على أنها: " طقس يقام على شرف الولي الصالح، لأجل إبعاد الشر وتحقيق الأماني والشفاء والنجاح"<sup>2</sup>.

**ب - الزردة:** حسب الباحث نور الدين طوالي فهي: " عبارة بربرية تستعمل في الشرق الجزائري للدلالة على نوعية الحفل الذي يلي حدثا سعيدا: ولادة، نجاح مهني، شفاء من مرض بعد طول علة، عودة من حج."<sup>3</sup>

وتختلف الزردة عن الوعدة عند نورالدين طوالي فهي عنده: " كل ممارسة تتضمن بعدا احتفاليا وقدسيا"<sup>4</sup>، ويتفق معه في هذا التعريف الباحث عبد الوهاب الشاريني حيث يقول عن الزردة: "بأنها ممارسة اجتماعية تتوفر فيها كل خصائص الحفل المختلفة كالمشاركة الجماعية والغليان الاجتماعي وتحرر الإنسان من اليومي والعادي"<sup>5</sup>

وتقام إحتفالية " الزردة " في منطقة تبسة بشكل كبير فهناك: "زردة سيدي عبيد"<sup>6</sup> بالنسبة لعرش أولاد سيدي عبيد، الذين يتمركزون بشكل كبير في الجهة الجنوبية الشرقية من الولاية

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 03

<sup>2</sup> - الهادي بوشمة، الوعدة التمثل والممارسة، دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار، مجلة إنسانيات: المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، الصادرة عن المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية CRASC، عدد 39 - 40، 2008، ص 85

<sup>3</sup> - نور الدين طوالي، مرجع سابق، ص: 122

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص: 122

<sup>5</sup> - الصديق ثياقة، مرجع سابق، ص: 78

<sup>6</sup> - المبحوث رقم: 04

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

و"زرده سيدي يحيى بن طالب"<sup>1</sup> بالنسبة لعرش أولاد يحيى، الذين يقطنون الجهة الشمالية من الولاية و"زرده موسى البهلول"<sup>2</sup> بالنسبة لعرش الزرامة خصوصا والنمامشة عموما، ويقطنون الجهة الجنوبية من الولاية. .... إلى غيرها من الزردات التي تشتهر بها المنطقة.

ويلخص الباحث الجزائري الهادي بووشمة أسباب لجوء المجتمع إلى إحياء مثل هذه المناسبات بقوله: "إن هذه القبائل والأعراش تحافظ على نفسها وتواصلها من خلال لجوئها إلى إحياء طقوس دورية ومنتظمة تُعيد من خلالها معالم هويتها وترسم أفاق إستمراريتها، ومن هذه الطقوس طقس الزردة أو الوعدة، الذي يُمثل عبر تاريخ هذه القبيلة المحطة التي يشحن من خلالها أبناء القبيلة على البقاء والتواصل والإرتباط بعالم الأجداد"<sup>3</sup>، وإذا كانت هذه من الأسباب فهي تمثل أيضا أهدافا تحققها الوعدة والزردة في المحتفلين بها خاصة من أبناء القبيلة الواحدة.

إن مصطلح " الزردة " يتوافق مع مصطلح " الزيارة " الذي يستعمل أيضا في منطقة تبسة وفي بعض مناطق الوطن الأخرى، والذي يتميز بتقديم القرابين وكثرة الطعام وممارسة بعض الطقوس حول الضريح في جو من الإنشاد الديني والفرح والفرجة وغيرها من الطقوس المرتبطة بهذه الإحتفالية الدينية والشعبية.

ج - الزيارة: "حفل ديني شعبي موسمي يقام في وقت محدد من السنة إحياء لذكرى الولي المضروح"<sup>4</sup>، فالزيارة تُقام بالقرب من الضريح فهو مركزها ومنطلقها الأساسي، يتم فيها طلاء

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 04

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 04

<sup>3</sup> - الهادي بووشمة، مرجع سابق، ص: 86

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص 69

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

الضريح وتقام فيها مختلف الطقوس الدينية من تلاوة القرآن وقراءة بعض الأذكار والمدائح الدينية والقصائد والأغاني الفولكلورية المصحوبة برقصات بمختلف الطبوع المحلية.

إن الزيارة بهذا المعنى تلتقي مع الوعدة وهي شائعة الاستعمال في بعض مناطق الوطن كالجنوب الجزائري، وتستعمل في منطقة تبسة أيضا، فيطلق على الركب المسافر لإقامة الزردة بالزيارة فيقال: "زيارة سيدي عبيد" أو "زيارة سيدي يحي" أو "زيارة موسى البهلول" . . . وهكذا.

**د - النشرة:** في الاشتقاق العربي للكلمة فهي مشتقة من: " فعل نشر، أي أشاع وأذاع، ويكثر استعمال هذا اللفظ في الشرق الجزائري مثل قسنطينة، وتنحصر وظيفتها في كونها طيبة سحرية، فهي معدة لشفاء الأمراض المتنوعة كالعقم أو العجز الجنسي، فالغرض منها هو طلب الشفاء"<sup>1</sup>.

**هـ - المعروف:** يستعمل هذا المفهوم في مناطق الغرب الجزائري ويطلق عند البعض للدلالة على الوعدة أو الزردة، ويطلق عند البعض على الدعاء الذي يتم في نهاية الإحتفال أي في نهاية الوعدة والزردة، ويطلق عند البعض الآخر للدلالة على الطعام والوليمة التي يقدمها أهل المتوفي ويتم تناولها قرب ضريح أحد الأولياء"<sup>2</sup>.

ويذهب الباحث نور الدين طوالي في التفصيل فيحدد أهم الفروقات بين هذه المصطلحات وذلك بتصنيفها إلى مستويين:

<sup>1</sup> - نور الدين طوالي، مرجع سابق، ص: 128

<sup>2</sup> - الصديق ثياقة، مرجع سابق، ص: 80

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

- على مستوى التسمية: الوعدة والنشرة تتمان خصوصا في تجمعات المدن الكبرى، حيث الوعدة في الجزائر العاصمة، والنشرة في قسنطينة، أما الزردة فهي من خصوصيات الأرياف.

- على مستوى الممارسة: فالغرض من الوعدة والنشرة الشفاء والتطهير، بينما غاية الزردة إلتماس ديني واضح<sup>1</sup>.

ومن ثم فإن هذه المصطلحات وإن اختلفت في بعض المعاني فإنها تشترك في كونها ظاهرة طقسية واحتفالية تتخذ من الضريح وقبور الأولياء مكان للإقامة، ومن الأضحى (الدم) قرابين، وذلك في مقابل قضاء الحاجات والقبول وتحقيق المرجوات التي يترجأها المختفلون.

**و- الموسم:** على وزن مفعّل، والكلمة من فعل وسم، وقد ورد في لسان العرب الحقل الدلالي الذي تسبح فيه مادة "وسم": الوسم أثر الكي، والسّمة والوسام، ما وسم به البعير، اتسم الرجل إذ جعل لنفسه سمة يعرف بها، والجمع مواسم ومياسي<sup>2</sup>، فالموسم له علاقة بالوسم وبمجموعة من السّمات والعلامات التي تدل عليه وتميزه، فموسم الحج، سمي موسما لأنه معلم يجتمع إليه الناس<sup>3</sup>، وإذا تتبعنا التقصي للكلمة نجدها تلتقي مع السّوق في الأصل اللغوي عند العرب، فالعرب كانوا يطلقون على تجمع الأسواق بالموسم "كانت المواسم أسواق العرب في الجاهلية"<sup>4</sup>، إلا أن المواسم أكبر وأضخم من الأسواق، فالمواسم تجمعات كبيرة مرتبطة بزمن ثابت لأغراض تجارية واقامة الاحتفالات الدينية وتقديم القرابين وإلقاء القصائد والأغاني الفولكلورية بما يحقق الفرحة والمتعة وقضاء الحاجات المادية والرمزية، في حين تكون الاسواق

<sup>1</sup> - نور الدين طوالي، مرجع سابق، ص: 122

<sup>2</sup> - ابن منظور الانصاري، مرجع سابق، مجلد 12، ص: 635

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، مجلد 12، ص: 636

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، مجلد 12، ص: 636.

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

تجمعات يغلب عليها طابع البيع والشراء واللعب والقمار، وهكذا يتقارب ويتداخل معنى المواسم بالأسواق بما يتحقق من إشباع الحاجات الروحية الدينية والحاجات المادية الدنيوية في مثل هذه الاحتفالات الموسمية التي تعتبر خزاناً للتقاليد والأعراف والمعتقدات، يتداخل فيها الديني بالأسطوري، والقيمي بالعربي، والواقعي بالسحري.

وقد كانت هذه المواسم عند العرب قديماً فُرصة لممارسة الجنس مع المومسات، اللواتي كُنَّ في مناسبات المواسم يضعن علامات على وجوههن تمييزاً لهن وللتعريف بانفسهن طلباً للزبائن، وفي هذا المعنى يقول أحد الباحثين المغاربة: "ومن هنا كان التداخل بين لفظ موسم ومومس، ففي هذه الاحتفالات حيث يمتزج المقدس بالمدنس، لاشك أن هناك اشتراك بين المواد الثلاث: وسم، سوم، ومس، فهي كلها تقترب في الدلالة والتأشير على مجموع عناصر كانت تعرفها الاحتفالات الموسمية عند العرب، تبدأ من المتاجرة، وتمتد عبر الطقوس الفرجوية والتمثيلية، وتصل إلى الممارسة الجنسية المقدسة"<sup>1</sup>.

وإذا عدنا إلى إستعمالات هذا المصطلح "الموسم" في مجتمع البحث في منطقة تبسة فإنه لا يُستعمل للدلالة على الاحتفاليات الشعبية الخاصة بالأولياء والأضرحة، وإنما "الموسم" في المجتمع التبسي يطلق على موسم الحرث والبذر، وموسم الحصاد وجني المحاصيل، وهي مواسم لها عاداتها وتقاليدها وطقوسها الخاصة بها "نحن مانسمّوش الزردة والوعدة بالموسم وإنما الموسم عندنا هو موسم الحرث والحصاد"<sup>2</sup>، وهذا ما يتوافق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين بقوله: "إن المواسم بهذه المعاني تبتعد عن الفضاء الديني والقدسي لتقترب من الفضاء الدنيوي حول ما يسمى بالدورة الطبيعية والإنتاجية زراعية كانت أم رعوية وهو الإتجاه الذي ذهب إليه

<sup>1</sup> - سعيد الناجي، الفرحة بين المسرح والأنثروبولوجيا، كتاب جماعي، منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية بتطوان، جامعة الملك

السعدي، المغرب، دار الثقافة والاعلام، الشارقة، 2002، ص ص: 73-91

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 08

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

بعض الانثروبولوجيين من أمثال: "فريزر" و"تايلور" عندما ربطوا بين الطقوس والطبيعة كشكل من أشكال التعامل الأسطوري مع الطبيعة<sup>1</sup>، ولذلك يكون معنى هذه المفاهيم متداخلا حتى أننا نجد موعد الزردة أو الوعدة أو الزيارة مرتبط بهذه المواسم الفلاحية وخاصة مواسم الحصاد وجني المحاصيل وهي مناسبة لتوفير السيولة المالية اللازمة لتلبية متطلبات هذه الإحتفاليات الشعبية من مأكولات ومواد غذائية ومشروبات وغيرها مما يجب تقديمه للمحتفلين.

ز - الموالد: يعرفها الكاتب المصري أحمد مصطفى فاروق في كتابه "الموالد" بأنها: الإحتفال بيوم ميلاد ولي من أولياء الله، لأنه في الحقيقة لكل ولي أيام كثيرة يحتفل فيها بذكره<sup>2</sup>؛ وهو مصطلح يُستعمل بكثرة في المجتمع المصري لما يتميز به من تركيبة بشرية ممتدة في أعماق التاريخ المصري من عهد الفراعنة مرورا بمختلف الحضارات التي تركت آثارها في المجتمع المصري، "وقد رصدها عالم الاجتماع المصري الراحل الدكتور سيد عويس في كتابه الشهير "موسوعة المجتمع المصري"، بحوالي 2850 مولدا للأولياء الصالحين، يحضرها أكثر من نصف سكان الدولة، حيث لا يتقيد أهالي كل قرية ومدينة بوليهم المحلي، وإنما أسقط المصريون حاجز المكان"<sup>3</sup>، والموالد بهذا المعنى في المجتمع المصري تتوافق مع مصطلح الوعدة والزردة المستعمل في بعض المناطق بشمال افريقيا، ولكنه غير مُستعمل في منطقة تبسة، وهو ما أكده أحد الباحثين بقوله: "المولد عندنا هو الإحتفال بالمولد النبوي الشريف"<sup>4</sup>، وهي على العموم مناسبات إحتفالية تتقاطع فيها الأبعاد الروحية والدينية بالعبادات الإجتماعية ويندمج فيها الديني بالديني وتحقق للمحتفلين بها الكثير من الغايات ويمارسون فيها العديد من الوظائف.

<sup>1</sup> - الصديق ثياقة، مرجع سابق، ص: 82

<sup>2</sup> - احمد مصطفى فاروق، مرجع سابق، ص: 3

<sup>3</sup> - جمال عرفة، الموالد والأضرحة في مصر، "بيزنس" وخرافات وشعوذة، موقع المسلم، <http://almoslim.net>، زيارة بتاريخ: 16 / 06 / 2017 على الساعة: 18 : 08.

<sup>4</sup> - المبحوث رقم: 09

## الفصل الأول: الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية: الماهية والجذور التاريخية

### خلاصة الفصل:

تُعتبر الأعياد والمناسبات الإحتفالية السنوية منها والموسمية من الظواهر المرتبطة بالإنسان منذ العصور الغابرة، فمنذ أن وُجد الإنسان وُجدت معه إحتفالياته المفرحة والحزينة في سياق تواصلها لا ينفصل عن سياق الدين والتاريخ والاجتماع الروحي عموماً، بل أكثر من ذلك فإن اجتماع هذه العناصر يؤرخ للفعل الإحتفالي في تطوراتهِ وتفاعلاتهِ وتجلياتهِ، وما تتميز به من طقوس وممارسات، إلا أن تماثلاتها وتمظهراتها تختلف من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، فالظاهرة الإحتفالية ظاهرة عامة وشاملة لكل الثقافات والحضارات والمجتمعات الإنسانية مهما تنوعت أشكالها وتعددت أسماؤها واختلفت طقوسها وممارساتها.

ومن هنا لم تكن دراستنا في هذا الفصل دراسة تفصيلية لكل الأعياد والمناسبات والطقوس الإحتفالية وإنما كان هدفنا تقديم فكرة عامة عن هذه الإحتفاليات في المجتمع الجزائري عموماً والتبسي خصوصاً، حيث تم عرض معاني الإحتفاليات ونشأة طقوسها وجذورها التاريخية ومراحل تطورها مع تطور المجتمعات والشعوب والثقافات، كما تم رصد مختلف الأعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية في المجتمع التبسي بكل تصنيفاتها وأنواعها، تمهيداً لدراسة إحتفالية الختان كنموذج عن الإحتفاليات المرتبطة بدورة الحياة، وإحتفالية المولد النبوي كنموذج عن الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية وذلك بشكل تفصيلي في الفصول القادمة من هذه الأطروحة، من خلال رصد طقوسها الإحتفالية وممارساتها الاجتماعية والبحث في دلالاتها الرمزية وأشكالها الفرجوية ومظاهر التغير التي مسّت بعض عاداتها بفعل تأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتحويلات السريعة في المجتمع.

# الفصل الثاني

## الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة الطقوس والممارسات

تمهيد الفصل

- أولاً: إحتفاليات الزواج
  - ثانياً: الموت والطقوس الجنائزية
  - ثالثاً: إحتفاليات إستقبال المولود
  - رابعاً: إحتفاليات الختان
- خلاصة الفصل

## الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

---

### تمهيد الفصل:

لكل مجتمع من المجتمعات تراثه الفكري وموروثه الثقافي، الذي يعتبر من العوامل الأساسية التي تميّزه عن غيره من الشعوب والمجتمعات، فالتعبير عن الحياة الإنسانية يشكّل إحدى المتطلبات الضرورية لتفاعل الإنسان مع بيئته والتعبير عن أفراحه وأحزانه وتصوّراته للواقع الذي يعيشه، فهي انعكاس لمشاعر الناس وأفكارهم وتصوراتهم ومختلف مظاهر نشاطات حياتهم، كما للعادات الشعبية والشعائر الدينية أهمية كبيرة في حياة كل مجتمع قصد الحفاظ على هويته وثقافته بين أفراده لبناء مستقبلهم وربط حاضرهم بماضيهم.

فالعادات الشعبية والإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة حياة الفرد هي تلك السلوكات الإحتفالية الجمعية والممارسات الحياتية المتعلقة بميلاد الفرد وختانه وزواجه ثم وفاته بعد ذلك، بما تتضمنه من عادات وتقاليد وشعائر وطقوس تؤكّد على طبيعة الإحتفال وترسخ مفهومه بين الناس فينتقل من جيل إلى آخر على مر الأيام والسنين والتي تعدّ انعكاساً للمقومات البيئية والاقتصادية والاجتماعية للبناء الاجتماعي السائد في المجتمع.

وفي هذا الإطار سنخصّص هذا الفصل لدراسة الإحتفاليات المتعلقة بدورة الحياة في المجتمع التبسي بما تشكّله من مناسبات يحتفي بها الفرد في وسطه الاجتماعي، باعتبارها جزء لا يتجزأ من حياته الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وبما تشكّله من محطات رئيسة في رحلة الإنسان الطويلة في هذه الحياة، تبدأ باستقبال المولود وما تحويه من عادات وطقوس منها ما يسبق الولادة أو بعدها ومنها ما يحدث أثناء الولادة، ثم تأتي الإحتفاليات الختان وما تتميز به من عادات اجتماعية وطقوس إحتفالية، ثم الزواج باعتباره من أهم الإحتفاليات العائلية في حياة الأفراد ذكورا وإناثا، لما يتضمنه من مراحل متناسقة تشكل كل منها بمثابة

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

إحتفالية قائمة بذاتها تبدأ بالخطبة ثم الفاتحة والعقد ثم الدُّخلة والصباحية والسَّابع، وما قد يكون بين هذه المحطات من مراحل أخرى تختلف في جزئياتها من منطقة إلى أخرى ومن عائلة إلى أخرى في المنطقة الواحدة، وفي الأخير تأتي لحظة الوفاة ومفارقة الأهل والأقارب والدنيا كلها وما تتضمنه من ممارسات وطقوس جنائزية.

إن هذه الإحتفاليات المختلفة المفرحة منها والحزينة وما تتضمنه من عادات اجتماعية وطقوس إحتفالية تُشكل حسب الباحث "فان جينيب" مرحلة هامة في حياة الأفراد، أطلق عليها "طقوس العبور"<sup>1</sup>، يتداخل فيها الديني بالإجتماعي والمقدس بالديني، سنحاول رصدها، والبحث في دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية وكشف أهم التغيرات الحاصلة فيها، أما إحتفالية الختان سنخصص لها فصلا كاملا بالدراسة والتحليل بعد ذلك.

### أولا: إحتفاليات الزواج

لقد اهتمت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة نظام الزواج كأحد النظم التي تشكل البناء الاجتماعي لكل مجتمع، والتعرف على طبيعة العلاقات الإجتماعية داخله، كما بحثت هذه المقاربة العلمية في القواعد التنظيمية لهذا النظام وقوانينه وعاداته وطقوسه المرتبطة بالزواج وظروف اختيار الزوجة، والعلاقات التي تجمع الزوجين وغيرها من المسائل المرتبطة بهذه النظام، "تعتبر طقوس الزواج من منظور الباحث الأنثروبولوجي الفرنسي "فان جينيب" شكلا من أشكال طقوس العبور أو المرور، فالتحوّل والانتقال من جماعة إلى أخرى ومن مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى يتطلب ممارسة بعض الطقوس والممارسات، التي تهدف إلى مساعدة الأفراد على عملية الانتقال من مرحلة العزوبة إلى مرحلة الزواج"<sup>2</sup>، هذا الانتقال

<sup>1</sup> - سنتطرق لنظرية طقوس العبور للباحث "فان جينيب" بالتفصيل في الفصل الثالث الخاص بإحتفالية الختان.

<sup>2</sup> - نعيمة رحمانى ونصيرة بكوش، دراسة سيميو- أنثروبولوجية لعادات وطقوس الزواج بتلمسان، مجلة الثقافة الشعبية، الصادرة بالبحرين، عدد: 36، السنة العاشرة، 2017، ص 87.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

الذي لا يتم إلا في جو من الاحتفال، الذي يعتبر جزء من النسق الاجتماعي لكل مجتمع وإن اختلفت صورته وأشكاله وعاداته وتقاليده من مجتمع إلى آخر، بل من منطقة إلى أخرى في المجتمع الواحد، وترتكز هذه الاختلافات على القيم السائدة التي تميز الطابع المحلي لكل مجتمع، وبالنظر للمجتمع الجزائري فإن عادات وتقاليد الأعراس الجزائرية تختلف باختلاف مناطقه، حيث تتميز كل منطقة بخصوصياتها التي تميزها عن غيرها، ابتداء من مرحلة الخطوبة ومرورا بالترتيبات المختلفة إلى غاية حفل الزفاف، ورغم أن مظاهر الحداثة والحياة العصرية قد غيرت في الكثير من هذه العادات، إلا أن احتفالية الزواج في المجتمع التَّبَسِّي لا يزال يحتفظ بأصالته ويحتزل الكثير من قيمه.

إنّ الزواج سنة من سنن الحياة البشرية، فالإنسان يميل بطبعه إلى إشباع غرائزه الجنسية والمحافظة على جنسه البشري، وللزواج تعريفات كثيرة ومختلفة باختلاف المقاربات العلمية التي تبحث فيه، فيُعرّفه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنه: "عقد يبيح للرجل والمرأة الاتصال كل منهما بالأخر اتصالا جنسيا وتكوين أسرة"<sup>1</sup>، فهو بذلك يُعتبر المدخل الأساسي لتكوين الأسرة والإنجاب، كما يعرفه إحسان محمد الحسن على أنه: "مؤسسة اجتماعية لها نصوصها وأحكامها وقوانينها وقيمها التي تختلف من حضارة إلى أخرى، فالزواج علاقة جنسية بين الرجل والمرأة يشرّعها ويبرّر وجودها المجتمع وتستمر لفترة طويلة من الزمن يستطيع من خلالها الشخصان المتزوجان البالغان إنجاب الأطفال وتربيتهم تربية اجتماعية وأخلاقية يقرها المجتمع ويعترف بوجودها وأهميتها"<sup>2</sup>، فالزواج بهذا المعنى الواسع هو تلك الرابطة المتينة التي تجمع بين الرجل والمرأة وتحكمها مجموعة من الأعراف والعادات والتقاليد وتتضمن مجموعة من الحقوق والواجبات، فهو بذلك نظام اجتماعي متكامل بما يملكه من خصائص وقوانين وبما يؤدّيه من وظائف.

<sup>1</sup> - إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص: 254

<sup>2</sup> - محمد الحسن احسان، مرجع سابق، ص: 15

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

وإذا ما نظرنا إلى المجتمع المحلي "التبسي" من خلال تتبعنا لمراحل الزواج ورصد بعض تفاصيله، فإن الزواج رابطة مقدسة يجمع بين الأفراد والعائلات يتم فيه الاحتفال على مدى مراحل وأيام قد تطول أو تقصر، وأول هذه المراحل: مرحلة "الخطبة" - بكسر الخاء - أو "الخطوبة"، والتي تعتبر مرحلة تمهيدية لعقد الزواج، حيث يلتقي أهل العريس ممثلين في وكيل العريس الذي يكون في أغلب الأحيان أب العريس وبعض أقاربه كالعم أو الخال إضافة إلى بعض النساء الكبيرات في السن كالأم والعمّة والخالة بأهل البنت المراد خطبتها وذلك في منزل البنت، يتم فيه التعرف على العائلتين، كما يتم فيه الاتفاق على تحديد قيمة المهر وباقي شروط الزواج، كما يتم فيه تحديد موعد الزفاف والذي غالبا ما يكون بعد سنة من الخطبة وقد يكون أقل من ذلك أو أكثر حسب الظروف، حيث يتم التحضير لهذه المناسبة على بعد ذلك من كلا الطرفين، ومن التغيرات التي ظهرت في السنوات الأخيرة أن مرحلة الخطبة تسبق بمرحلة يطلق عليها محليا بـ "التهنئة"\* حيث في أغلب الأحيان يتجه أب الولد وأمه وأخوته إلى بيت البنت بغرض رؤيتها والتعرف على أهلها، ويقتصر في هذا اللقاء على أفراد العائلتين فقط خوفا من الحسد والعين وفشل الخطبة، تقول إحدى المبحوثات " في التهنية نروحوا لأهل البنت وما ندوش معنا عدد كبير من الأقارب، نخافوا من العين والحسد"<sup>1</sup>، إن مسألة العين وما يحيط بها من المعتقدات الراسخة في المخيال الشعبي للكثير من العائلات تمثل تعبيرا عن بعض السلوكات الاجتماعية التي يكتسبها الفرد من محيطه الاجتماعي.

يقوم الاعتقاد بالعين الحاسدة في تراثنا الشعبي المحلي على تصور مفاده أن ما يحدث للإنسان من سوء وأضرار إنما يعود في أحيان كثيرة إلى تأثير العين الحاسدة والتي غالبا ما تكون عينا شريرة، مما تتولد عنه لدى الناس ممارسات وسلوكات تهدف لتجنّب آثار هذه

\* التهنية: هي إحدى مراحل إحتفالية الزواج، تسبق مرحلة الخطوبة- في المجتمع التبسي - تلتقي فيها العائلة الضيقة لأهل الزوج بالعائلة الضيقة لأهل البنت، يتم فيها رؤية البنت والتعارف بين العائلتين.

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 14

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

المعتقدات، فالعريس عند هذه الفئة من الناس لو يُصاب بمكروه خلال فترة زفافه فإن تفسير ذلك عندهم لا يمكن أن يكون إلا بسبب العين الحاسدة، والمرأة الحامل لو تصاب ويسقط حملها أو المرضعة التي يصاب رضيعها لكان نفس التفسير، والطفل المقبل على عمل ما ولم يتحقق له ذلك لكان ذلك بسبب العين الحاسدة أيضا.

عندما يحين موعد الزفاف، ففي اليوم الأول يذهب أهل العريس إلى أهل العروس ويأخذون معهم "الكبش" الذي يسمى في العرف المحلي "شاة الحلال" \* وكل لوازم مأدبة الغداء التي ستتم في اليوم الموالي عندما يتم عقد القران "عقد الجماعة" وليس العقد الإداري الذي يتم في مقر البلدية.

تعتبر شعيرة الأضحية التي تسمى في العرف المحلي - شاة الحلال - واحدة من أهم الشعائر الدينية التي عرفتها الديانات الإنسانية منذ القديم، وإذا كانت شعيرة الأضحية لها بالأساس بعد روحي، فإنها أيضا طقس له أبعاد أنثروبولوجية وثقافية، يعكس في مستويات عديدة فهم الإنسان للواقع والعالم بما يبعث فيه نوعا من الطمأنينة والسكينة، فهي عند المسلمين هدية يقدمها الإنسان تقربا لله تعالى، أما في غير ذلك من الديانات والثقافات فهي تقربا لمخلوقات خارقة تعرف بالآلهة تكريما لها، ومحاولة لجلب البركة وتحقيق الأمنيات أو تكفير الخطايا، وهكذا تتعدّد وظيفة "الأضحية" \*\* التي تختلف من مناسبة إلى أخرى ومن ثقافة إلى

---

\* - شاة الحلال: عبارة عن الكبش الذي يأخذه أهل العريس إلى أهل العروس وهو في العرف المحلي شرط لا بد منه ولا يمكن أن يتم عقد القران من دونه، ولذلك يطلق عليه تسمية: شاة الحلال.

\*\* - الأضحية: يشير الأنثروبولوجي المغربي عبد الله حمودي إلى أنّ الذبيحة والطقوس المصاحبة لها، هي نسق طقوسي شديد التعقيد وموغل في القدم يوجد بشكل متشابه جزئيا لدى حضارات متعددة، وفيه تتجلى الصلة الوثيقة بين الوسط الطبيعي والإنسان ومختلف أشكال التصورات والطقوس التي تميز حياته، أنظر عبد الله حمودي: الضحية وأقنعتها، بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، ترجمة عبد الكبير الشراوي، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، ص 10.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

أخرى ومن مجتمع إلى آخر وهذا ما أكده مارسيل موس وهنري هوبير " أن مناسبات تقدم الأضاحي متعددة، كما أن الأغراض الكامنة وراءها متعددة هي الأخرى والشيء نفسه يخص موادها والوسائل المعتمدة فيها"<sup>1</sup>، فهي ذات أشكال و وظائف عديدة تختلف من مناسبة لأخرى، ومن مجتمع لآخر.

أما في اليوم الموالي - اليوم الثاني - يكون العقد الشرعي وذلك بتنقل أهل العريس من الأب والأعمام والأخوال وكل الأقارب من رجال ونساء وكذلك بعض الجيران والأصدقاء بالإضافة إلى الإمام الذي سيتولى عقد القران، حيث يذهبون إلى بيت العروس على متن كوكبة من السيارات المزينة، وفي جو من الفرح والابتهاج فيتم استقبالهم من طرف أهل العروس أحسن استقبال وبعد الترحيب بأهل العريس يتولى الإمام مراسيم العقد الشرعي بخطبة دينية يبدأ فيها كلامه بذكر الله وحمده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقرأ من القرآن الكريم الآيات التي تحث على الزواج ثم يبين شروطه وأركانه ثم يشرف على الحوار الذي يتم بين وكيل العريس وولي العروس وهو ما يسمى في الشريعة الإسلامية بـ "الإيجاب والقبول"، فالإيجاب أن يطلب وكيل العريس البنت من ولي العروس إلى موكله، فيرد عليه ولي العروس بقوله " قبلت ورضيت " وهو ما يسمى بالقبول، ثم يذكر قيمة المهر والشروط المتفق عليها بين الطرفين على مسامح الحاضرين، وفي الأخير يقوم الإمام بقراءة الفاتحة والدعاء للزوجين واختتام مراسيم العقد الشرعي، وعندها يتبادل أهل العريس وأهل العروس التهاني والتبريكات في جو من الفرح وطلقات البارود وزغاريد النسوة ومن العادات في المجتمع التبسي أنه بعد اكتمال مراسيم العقد الشرعي يقدم أهل العريس مبلغ رمزي من المال إلى أم العروس كعربون وفاء على ما بذلته في تربية ابنتها - العروس - والمحافظة

<sup>1</sup> - مصطفى العوزي، نحو فهم أنثروبولوجي لشعيرة الأضحية: قراءة في دراسة مارسيل موس وهنري هوبير حول طبيعة الأضحية ووظيفتها، سلسلة ملفات بحثية ضمن كتاب جماعي، تنسيق وتقديم: يونس الوكيل، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، مركز مؤمنون بلا حدود، مارسيل موس، 2016، ص 79.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

عليها، ثم يقدم أهل العروس التمر والحليب وأنواع من الحلويات التقليدية لأهل العريس وكل الحاضرين ثم يتناولون وجبة الغداء على شرف أهل العريس.

في الفترة المسائية يعود أهل العريس مرة ثانية لبيت العروس ولكن في هذه المرة بوفد نسائي أكثر منه رجالي حيث يُقدّم للعروس ما يسمى بالكسوة والحناء وهي مجموعة من الألبسة والروائح إضافة إلى الحنّاء التي تعتبر إحدى الطقوس الإحتفالية التقليدية للزواج، بما تحمله من معانٍ ودلالات وبما تؤدّيه من وظائف تزيينية وحتى اجتماعية ونفسية تمسّ بشكل مباشر حياة العروسين قبل ليلة زواجهما، وهذا ما جعلها ترتبط ارتباطاً وثيقاً منذ القدم بالزواج وزينة العروس، وفي تأكيد هذا المعنى يقول الباحث المصري محمد الجوهري " تُعدّ الحنّاء أحد طقوس التزيين التي يحرص على أدائها كل من أُسرتي العروسين، ويُمثل الإحتفال بليلة الحنّاء الإحتفال الأساسي بالنسبة للعروسين"<sup>1</sup>، حيث تمثل تعبيراً حياً على الفرحة والبهجة، حتى أن هذه الليلة تعرف بليلة الحنّاء حيث تقول أحد المبحوثات: " تحنّي العروسة أيديها ورجليها وينقشوليها أشكال جميلة ويلبسوليها قطعة ذهب"<sup>2</sup> ومن العادات عند بعض عائلات المجتمع التبسي " العروس في ليلة الحنّاء يديرو ليها أهل العريس الحنّاء في يد واحدة ورجل واحدة وعندما يدوها في اليوم الموالي إلى بيت زوجها يديرو ليها أهل الزوج الحنّاء في يدها الأخرى ورجلها الأخرى"<sup>3</sup> وهذا إعتقاداً منهم بأن تبقى العروس بين بيت أهلها وبيت زوجها ولا يحدث لها الطلاق مستقبلاً، فالحنّاء في الزواج طقس عبور تنتقل من خلاله الفتاة من الحياة العزوبية إلى الحياة الزوجية بكل ماتطلبه المرحلة الجديدة من أعباء ومسؤوليات.

<sup>1</sup> - محمد الجوهري وآخرون، دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الطفل والتنشئة الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992، ص 285، وللتعرف أكثر على هذه العادة التي لها دلالاتها الاجتماعية والثقافية في حياة العرسين يمكن الإطلاع على دراسة الباحثة ثريا علي إبراهيم حول زينة المرأة البدوية، والموسومة ب: زينة المرأة عند بدو الساحل الشمالي الغربي وجوانها الاقتصادية والاجتماعية والجمالية والنفسية، رسالة دكتوراه غير منشورة، أكاديمية الفنون، المعهد العالي للفنون الشعبية، 1997.

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم: 17

<sup>3</sup> - المبحوثة رقم: 13

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

بعد انتهاء مراسيم الحناء وتناول وجبة العشاء يعود أهل العريس لتستكمل هناك احتفالية الحناء ولكن هذه المرة للعريس وأصحابه ورفاقه في جو من الغناء والفرح والابتهاج وزغاريد النسوة، حيث تتولى أم العريس أو عمّته أو خالته بوضع الحناء للعريس ورفاقه.

أما اليوم الثالث، يعرف في المجتمع التبسي بيوم "الدُّخلة" حيث في الفترة المسائية منه يُجهّز العروس من أجل الذهاب لبيت زوجها بعد تزيينها بلباس أبيض ويُغطّى رأسها "باللحاف"\* تستر به وجهها فلا يرى منها شيء رمزا للحشمة والحياء.

وبالمقابل يُجهّز أهل العريس موكبا من السيارات الفخمة باتجاه بيت العروس حيث تقوم أحد قريبات العريس باقتياد العروس نحو السيّارة المعدّة خصيصا لها وهي التي تكون في مقدمة الموكب، فتجلس العروس رفقة بنتين صغيرتين على جانبيها واحدة من أهل العريس كأن تكون أخته وأخرى من أهل العروس كأن تكون أختها ثم يتحرك الموكب الاحتفالي في جو من الفرح والابتهاج وطلقات البارود باتجاه بيت زوجها، وعند دخول بيت زوجها تجلس العروس تقابل بحفاوة وترحيب كبيرين، في جو من الغناء والرقص حيث يضعون في حجرها طفلا صغيرا رمزا للإنجاب والذرية.

إن من مميزات العرس التبسي لعب الخيل وإطلاق البارود الذي يعتبر من الطقوس الاحتفالية المهيبه والاستعراضات الفنية الجميلة ذات الدلالات الرمزية العميقة، بحيث يشكل تراثاً ثقافياً مميزاً وتقليداً شعبياً محبوباً، يلتف حوله الناس شيوخاً وشباباً ممارسين متحمسين أو متفرجين، في أجواء من الفرحة والنشوة، والفخر والمباهاة.

كما تكتسي هذه التظاهرة أهميته في إثبات الهوية الحضارية وتأجيج الروح الوطنية وإحياء التقاليد التراثية وتقوية الروابط المجتمعية ونشر القيم الثقافية من خلال تجميعه لأكبر عدد

\* - اللّحاف هو قطعة قماش بيضاء يغطي به رأس العروس عند خروجها من بيت والديها وانتقالها لبيت زوجها، له أهمية في ستر رأسها ووجهها، وهذا رمز للعفة والحشمة والحياء.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

ممكن من الأفراد ضمن طقس احتفالي ضخم يمتد لساعات من المرح والمتعة ويبقى حديث الناس لأيام قد يطول أو يقصر بعد ذلك.

أما في الليل يأخذ الزوج زوجته، وتسمى في المجتمع المحلي بـ: "ليلة الدخلة"، هذه الليلة التي تُحاط بهالة كبرى من المعتقدات والممارسات الشعبية، وتُعدّ من أهم طقوس العبور في احتفالية الزواج حيث ينتقل فيها الطرفان من عالم الشباب والعزوبية إلى عالم الأزواج والإنجاب عن طريق أول اتصال جنسي لهما يثبت فيها العريس رجولته من جهة وتثبت الفتاة خلالها عذريتها من جهة أخرى.

وفي صباح اليوم الموالي والذي يسمى في العرف المحلي "الصباحية"\* حيث يحضر أهل العروس إلى ابنتهم ومعهم فطور الصباح والمتمثل في حلويات تقليدية متنوعة منها ما يعرف في منطقة تبسة بـ "الطمينة\*\*"، ومن الطقوس المتعارف عليها في المجتمع التبسي في هذه "الصباحية" ما يسمى في العرف المحلي بـ "التحزيمه\*\*\*" وهي أن تجلس الفتاة في غرفة الاستقبال مرتدية أجمل ما لديها من ملابس تقليدية وحلي ذهبية، ثم يتقدم أخ زوجها أو أحد أقاربه بشدّ نطاقها وتحزيمها بحزام من ذهب، كما يُقدّم لها هدية تتمثل في الغالب مبلغ مالي محترم، رمزا للخير والبركة والسّعة في الرزق.

---

\* - الصباحية: وهي صبيحة اليوم الموالي من دخول العريس على عروسه أي صبيحة ليلة الدخلة، ولها طقوسها وعاداتها الخاصة.

\*\* - الطمينة: عبارة عن حلويات تقليدية في منطقة تبسة وبعض المناطق المجاورة يصنع من: السميد متوسط الحجم والعسل والزبدة إضافة إلى ماء الزهر وسكر رطب للتزيين، وهي حلويات تُقدّم في المناسبات الاحتفالية

\*\*\* - التحزيمه: وهي إحدى طقوس الزواج التي تتم في صبيحة اليوم الموالي لدخول العريس على زوجته حيث يقوم أخ العريس أو أحد أقاربه بتحزيم العروس بحزام من الذهب " محزمة ذهبية "، ويعطيها هدية تتمثل عادة في مبلغ مالي محترم، أو أي هدية أخرى ذات قيمة.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

### أعراس المنطقة تتفق على وثيقة ترشيد الأعراس:

من أهم المستجدات في احتفاليات الزواج في منطقة تبسة ما تمّ الإتفاق عليه بين أعراس المنطقة وخاصة في منطقة الشريعة بدوائرها الثلاثة: ( الشريعة، بئر مقدم، العقلة ) حول وثيقة تهدف إلى ترشيد نفقات الزواج وتيسيره على الشباب، أُطلق عليها " نصيحة للناس من أجل ترشيد الأعراس"<sup>1</sup>، حيث إلتقى مئات المواطنين من مختلف بلديات هذه الدوائر وبعض بلديات الولاية، بمسجد الإصلاح بمدينة الشريعة - ولاية تبسة، يوم السبت 07 شعبان 1437هـ الموافق 14 ماي 2016م، لمباركة هذا المشروع الذي أعدّه مجموعة من أئمة منطقة الشريعة وتمّت مُباركتها وتزكيتهما من طرف مُختصين ودكاترة من بعض جامعات الوطن إضافة إلى الشيخ الدكتور قابة عبد الحليم أحد أبناء المنطقة ويُدرّس بجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة، وبعد المداخلات التي تداول عليها الأئمة، وبعض المنتخبون المحليون ومدير الشؤون الدينية لولاية تبسة، تم طرح المشروع الذي يهدف إلى دعم فريضة الزواج وترشيد نفقاته، بسبب الغلاء الفاحش والمغالاة في قيمة المهر، إضافة إلى التبذير والإسراف الذي يرافق هذه الإحتفالية، وكذلك كثرة الشروط والالتزامات المادية، التي قد تصل في مجملها إلى 200 مليون سنتيم، وأحيانا أخرى قد تصل لدى بعض الأسر والعائلات الميسورة إلى نصف مليار سنتيم، مما ولّد عزوف الكثير من الشباب على فكرة الزواج، ولذلك جاءت هذه الوثيقة التي قرأها إمام مسجد الكوثر بالشريعة، بغرض تخفيف التكاليف وترشد النفقات وتيسير الأمر على الشباب وأوليائهم.

<sup>1</sup> - نصيحة للناس من أجل ترشيد الأعراس: عبارة عن مشروع أطلقه مجموعة من الأئمة وأعيان المنطقة وعدد من الفاعلين ونخبة من الأكاديميين في منطقة الشريعة التابعة لولاية تبسة ( الجزائر)، يهدف إلى ترشيد نفقات الزواج وتيسيره على الشباب، وقد أُطلق على الوثيقة بـ النصيحة: حتى لا تأخذ صيغة الإلزام لأنها ربما يكون فيها بعض القصور أو قد يطرأ عليها بعض التعديلات في المستقبل، ويمكن الإطلاع على محتوى الوثيقة وبعض الصور الخاصة بالتجمع الشعبي المنعقد بمسجد الإصلاح بالشريعة، أنظر تفاصيل المشروع في الملحق رقم: 05.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

وقد تضمنت الوثيقة<sup>1</sup> في البداية جملة الأهداف التي ترمي إليها وهي:

- 1 - تسهيل إقامة الأعراس و تيسير مؤونتها.
  - 2 - نبد الإسراف والتبذير.
  - 3 - تجنب أعراسنا الوقوع في المخالفات الشرعية والمحرمات.
  - 4 - العمل على الحدّ من تفاقم ظاهرتي العزوبية والعنوسة في أوساط الشباب والشابات .
- ثم أنتقلت الوثيقة إلى التفصيل في المقترحات والنصائح الموجهة لعموم الناس وهو المحتوى الرئيسي للوثيقة، وتتمثل هذه النصائح والمقترحات في الآتي:

1 - محاولة الإتفاق على المبلغ الذي يقدمه الزوج لزوجته لتغطية المطالب والشروط والذي يشمل الجهاز والكسوة والشاة والذهب والصفوف وغيرها من المطالب ... يكون وسطا بين الناس تُراعى في تحديده الفوارق الاجتماعية والكفاءة البيئية ويراعي فيه المقصد الأسمى الديني والذي يحض في مجموع نصوصه على التيسير وتقليل النفقة والبعد عن مظاهر الإسراف والمباهاة، والمقترح حسب ما استحسنه الكثير وكادت أن تجمع عليه آراء الغالبية ممن تواصلنا معهم هو مبلغ مئتا ألف دينار جزائري (عشرون مليون سنتيم) ثم من كان أكثر كرما وفضلا ومال إلى اليسر فخفض عن ذلك يُشكّر ويُشجّع ويُشاد بعمله في المحافل والمنابر إبرازا للقدوة وترغيبا في الخير .

2 - التواصي بإجراء عقد القران الشرعي في المسجد، هذا من شأنه تقليل نفقات العرس لجلب الخير والبركة ويكون مسبقا بالعقد الشرعي .

3 - تجنب أعراسنا مظاهر التبذير والإسراف والمباهاة وكل ما من شأنه الخروج بها عن تعاليم الدين الحنيف والعُرف السديد والتقاليد الراشدة وذلك تحقيقا لمرضاة الله تعالى .

<sup>1</sup> - أنظر نص وثيقة ترشيد الاعراس، في الملحق رقم 05.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

- 4 - الإكتفاء بالخِطبة الشَّرعية التي هي وعد بالزواج وترك ما صار يُعرف بالتهنئة والخاتم وما يُسمّى بحنة العريس، لما يرافق ذلك من مظاهر وتكاليف تثقل كاهل الطرفين.
- 5 - ننصح بعدم إلزام العريس بهدايا الأعياد والمناسبات والاقتصار على ما كان مُعتادا بين الناس والتميز بالبساطة والتيسير.
- 6 - نُهيب بالخيرين إشاعة عادة المساهمة في تجهيز بيت الزوجية [ بيت البناء ] من طرف الأقارب والأصدقاء بدل إتلاف الأموال في ظاهرة البارود والمواكب الفاخرة.
- 7 - عدم المبالغة في الجهاز والأثاث ونقله إلى بيت الزوجية في سِتر وفي غير موكب العرس بعيدا عن مظاهر المباهاة والمفاخرة.
- 8 - الإكتفاء أثناء العرس بوليمة واحدة - عشاء أو غداء - والاقتصار على عدد محدود من أنواع الأكل، والرجوع بذلك الى أصالة أُمَّتنا وتقاليدنا.
- 9 - التقليل من الحلويات والاكتفاء باليسير الذي يفى بالعرض.
- 10 - الإقتصار في موكب العرس على عدد محدود من السيَّارات لنقل العروس وأهلها.
- 11 - التزام آداب الطريق وعدم غلقه على المارة، أثناء مرور الموكب.
- 12 - ننصح بتواصي الخيرين والوجهاء ورؤوس الأعراس في كافة البلاد برفع التماسات وانشغالات للسلطات العليا في الولاية من أجل التدخّل للحدّ من الإستعمال الغير مدروس والفوضوي لإطلاق البارود وزجر ومعاينة من يُخالف ذلك من طرف السُّلطة المخولة قانونا
- 13 - إستغلال فُرصة الأعراس لتوطيد أواصر التآخي وصلة الرحم وتجنّب ما من شأنه أن يؤدي إلى القطيعة والخصومات والالتزام بالتقاليد النابعة من صميم ديننا وعمق أصالتنا كالحشمة والحياء والرجولة.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

وفي الأخير أختتمت الوثيقة نصائحها ومقترحاتها بالترجاء من كافة الحَيِّين والوُجَّهَاء والمتخصِّصين، ممن تملأ قلوبهم تقوى الله تعالى والغيرة على تعاليم ديننا الحنيف وحب هذا الوطن المفدى، نرجوا منهم المساهمة الفاعلة في ترشيد وتنقيح وتصويب هذه المقترحات ودراستها من كافة الجوانب وإقامة الورشات المتخصصة والندوات العلمية واللقاءات الجوارية والمناقشات التواصلية للوصول بها إلى أعلى درجات الإتقان والتفعيل، والله من وراء القصد "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".

ولتسليط الضوء أكثر على بُنود هذه الوثيقة كان لنا لقاء مع أحد الأئمة<sup>1</sup> الذين شاركوا في بلورة أفكار هذا المشروع وصياغة محتواه، حيث أوضح أن الوثيقة لم تأتي هكذا بين عشية وضحاها وإنما انبثقت بعد عدة جلسات وعقد سلسلة من المشاورات بين أئمة المنطقة وأعيانها وبعض المختصين في الشريعة من أبناء المنطقة ويُدرسون بالجامعات الجزائرية وحتى في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وتهدف إلى تسهيل الزواج ونبذ الإسراف والتبذير، وتجنيد الوقوع في المخالفات الشرعية والمحرمات، مع العمل على الحد من تفاقم ظاهرتي العزوبية والعنوسة في أوساط الشباب والشابات.

وبالعودة إلى تحليل بنود الوثيقة التي قدّمها أئمة المنطقة وأعيانها كنصائح ومقترحات لأنهم يرون فيها حلاً وعلاجاً لكثير من الأسباب التي أدت إلى تأخر سن الزواج بين الشباب وعزوف الكثيرين عنه، ولذلك فقد كان أول بند في هذا المشروع يعالج الجانب المالي حيث اقترحت الوثيقة قيمة للمبلغ المالي الذي يقدمه الزوج لزوجته لتغطية المطالب والشروط والذي يشمل الجهاز والكسوة والكبش والذهب والصُوف وغيرها من المطالب، ويكون وسطاً بين الناس تراعى فيه الفوارق الاجتماعية والكفاءة البيئية ويراعى فيه المقصد الأسمى الديني الذي يهدف إلى التيسير وتقليل النفقة والبعد عن مظاهر الإسراف والمباهاة، وقد كان المبلغ المقترح

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 10.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

حسب ما استحسنه الكثيرون وكادت أن تجمع عليه آراء الغالبية: مبلغ 20 مليون سنتيم، ومن أنقص عن ذلك يتم الإشادة بعمله في المحافل والمنابر، ليكون قدوة لغيره، كما أوصى الأئمة من خلال هذه الوثيقة، بإبرام عقد القران الشرعي في المسجد بدل البيوت والمنازل وقاعات الحفلات، وهذا للتقليل من النفقات من جهة وجلب الخير والبركة من جهة أخرى، ويكون مسبقا بالعقد الإداري لأنه فيه التوثيق الرسمي لعقد الزواج، كما أوصوا بتجّيب مظاهر التبذير والإسراف والمباهاة وكل ما من شأنه الخروج عن تعاليم الدين والعرف والتقاليد الراشدة، كما دعت الوثيقة المقبلين على الزواج إلى الإلتزام بالخطبة الشرعية التي هي وعد بالزواج وترك ما أصبح شائعا في العرف الاجتماعي المحلي بالتهنئة والخاتم وما يُسمّى بحنّاء العريس و العروس وما يرافق ذلك تكاليف ونفقات تثقل كاهل العائلتين المتصاهرتين، ومما أشارت إليه الوثيقة أيضا عدم إلزام العريس بهدايا الأعياد والمناسبات على طوال السنة والاققتصار فقط على ما كان معتادا بين الناس المتميز بالبساطة واليسير، ومما دعت إليه الوثيقة: الطلب من الخيّرين إلى نشر عادة المساهمة في تجهيز بيت الزوجية من طرف الأقارب والأصدقاء بدل إتلاف الأموال في ظاهرة البارود والمواكب الفاخرة، كما أوصى المشروع بعدم المبالغة في تجهيز العروس والأثاث المرافق لها على أن يتم نقله إلى بيت الزوجية في ستر، في غير موكب العروس، بعيدا عن مظاهر المباهاة والمفاخرة.

أما بالنسبة لحفل الزفاف فقد دعت الوثيقة إلى الاكتفاء بوليمة واحدة - عشاء أو غداء - والاققتصار على عدد محدود من أنواع الأكل، وكذا التقليل من الحلويات والاكتفاء باليسير الذي يفني بالغرض؛ وفي ما يتعلق بموكب نقل العروس فقد أوصى الأئمة في وثيقتهم إلى الاكتفاء بعدد محدود من السيارات لنقل العروس وأهلها مع الإلتزام بآداب الطريق وعدم غلقه على المارة أثناء مرور الموكب كما أوصى الأئمة من خلال ذات الوثيقة العقلاء والأعيان ورؤساء الأعراش إلى رفع التماساتهم إلى السلطات من أجل التدخل للحدّ من الاستعمال

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

المفرط وغير المدروس والفوضوي لإطلاق البارود ومعاقبة من يُخالف ذلك من طرف السلطة المخولة قانوناً، وفي الأخير أوصى الأئمة إلى السعي إلى اغتنام فرصة إحياء هذه المناسبات الإحتفالية لتوطيد أواصر التآخي وصلة الرحم بما يحقق مظاهر التواصل العائلي والتضامن والتماسك الاجتماعي وتجنّب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى القطيعة والخصومات والالتزام بالعبادات الحسنة والتعاليم النابعة من صميم ديننا وعمق أصالتنا، كما ناشد الأئمة - حسب محدثنا<sup>1</sup> - كافة الخيرين والمتخصّصين، للمساهمة في تنقيح وتصويب المقترحات المذكورة ودراستها من كافة الجوانب وإقامة الورشات المتخصصة والندوات العلمية واللقاءات الجوارية للوصول بها إلى أعلى درجات الإتقان وهذا ما جعلهم يطلقون عليها بالنصيحة حتى يتم تطويرها إلى الأحسن مع مرور الوقت.

وقد تجاوب الناس مع هذا المشروع بشكل مُلفت، ومنذ اليوم الأول من اللقاء بدأ الناس في الإستجابة للمشروع، وأعطى كثير من الرجال بناتهم بالمبالغ المقترحة وتركوا الكثير من العادات التي تَبْهت الوثيقة على تركها، وقد شهدت المنطقة كثيرا من الأعراس التي حصلت على تلك التوافقات، حيث شهدت بعض مساجد<sup>2</sup> المنطقة عموماً ومدينة الشريعة خصوصاً إجراء العديد من عقود الزواج على ضوء تلك التوافقات الواردة في هذا المشروع.

### ثانياً: الموت والطقوس الجنائزية

شغلت قضية الموت عقل الإنسان منذ القدم، وذلك لما تُثيره من خوف وغموض وتساؤلات، وقد عملت كل الثقافات والأديان على احتواء هذا الخوف بمجموعة من الطقوس والممارسات والشعائر بهدف تدبير هذا الحدث الحزين وإفراغ التوترات وتصريف الانفعالات الناتجة عنه، كما حاول الإنسان منذ القديم البحث في تفسير هذا الحدث ومعرفة

<sup>1</sup> - المبحوث رقم 10.

<sup>2</sup> - أنظر صُور الملحق 05، التي تُظهر إستجابة سكان المنطقة لهذا الإتفاق حيث شهدت مساجد منطقة الشريعة إبرام عقود الزواج بين بعض العائلات.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

حقيقته وكيفية تجنّبه، ومما توصل إليه الإنسان أن الموت ليس نهاية، وإنما لحظة انتقالية من مرحلة إلى أخرى، وأنّ الموت يتعلق بالجسد فقط بينما الروح تبقى حية بأشكال مختلفة، وهذا ما جعل الموت يُعتبر من القضايا الكبرى في تاريخ الوعي البشري، فهي تمثل تجربة تعانيتها الذات الإنسانية، أما من حيث رموزها ودلالاتها فهي تحتاج إلى بحث واستقصاء داخل مجموعة من التحليلات الميتافيزيقية والدينية والاجتماعية والأنثروبولوجية، وذلك قصد الوقوف على معرفة كنهها وحقيقتها والبحث في معانيها ومدلولاتها وأبعادها ووظائفها.

**1 - الطقوس الجنائزية في الخطاب الديني:** إن قضية الموت وشعائرها في الخطاب الديني لدى الديانات السماوية كلها تتفق في كونها انتقال إلى العالم الآخر، "وتبقى الاختلافات مرتبطة بأشكال التعبير عن ظاهرة الموت وهذا يعود إلى المرتكزات العقائدية لكل ديانة"<sup>1</sup>، فاليهودية تحاول أن تثبت من خلال طقوسها الدينية أفضلية الشعب اليهودي عن باقي الشعوب الأخرى، بينما تهدف الشعائر الإسلامية المتعلقة بالموت إلى غرس حقيقة الإيمان باليوم الآخر وترجمة ذلك في تعزيز العلاقة بين الإنسان وخالقه من خلال الإيمان والعمل الصالح ليكون من الفائزين في الآخرة، أما بالنسبة "للديانة المسيحية فإن طقوسها تحمل دلالة التشبّث بالدنيا ويتجلى ذلك في مظاهر التزيين باستعمال الأزهار والشموع واللباس الأبيض"<sup>2</sup>، أما فيما يخص الديانات الوضعية "فإنها تبقى متميزة بفهمها للموت وطقوسها باعتبارها ليس انتقالاً للعالم الآخر بقدر ماهي مرحلة من مراحل صيرورة التناسخ اللامتناهية للأرواح"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - موفق زازوي، الطقوس الجنائزية في منطقة تلمسان، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا غير منشورة، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2002/2001، ص31، بتصرف.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 31

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص: 31.

## **الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات**

**2 - الطقوس الجنائزية في الخطاب الانثروبولوجي:** تعتبر الطقوس الجنائزية فضاء يختلط فيه الديني بالديني، والمقدس بالسحري، كما يتداخل فيه النفسي والعاطفي والاجتماعي بالسياسي والاقتصادي وحتى بالثقافي، وهي عند معظم الانثروبولوجيين طقس مرور بامتياز ينتقل فيه الشخص المتوفى من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن عالم إلى آخر بغض النظر عن دينه ومعتقداته، والطقس الجنائزي بهذا المفهوم الانثروبولوجي ليس للأموات فحسب وإنما للأحياء كذلك، "فأثناء فترة الحداد يشكل الأحياء والأموات مجتمعا خاصا كما يقول - فان جينيب يتأرجح بين عالم الأحياء وعالم الأموات، هذا المجتمع الذي يغادره الأحياء بعد انقضاء فترة الحداد التي تطول أو تقصر حسب درجة قرابتهم بالميت"<sup>1</sup>، وهنا يمكن تمييز ثلاث مراحل متتالية داخل الطقس الجنائزي تبدأ بخروج الروح عن الجسد وبذلك فصل الميت عن عالم الأحياء، ثم تأتي مرحلة فترة الحداد، وأخيرا نهاية الحداد والعودة إلى الحياة العادية، وتتضمن كل واحدة من هذه المراحل مجموعة من الطقوس والممارسات يتداخل فيها الديني والاجتماعي والمقدس بالديني كما ذكرنا سابقا.

والملاحظ للطقوس الجنائزية عند الكثير من الشعوب والثقافات أنها تأخذ الطابع الحزين ويتجلى ذلك في الشعور بفقدان الميت وصعوبة تحمّل فراقه، إضافة إلى مظاهر البكاء والعويل وغيرها من الممارسات التي ترمز لسيادة أجواء الحزن والإقلاع عن كل مظاهر الفرح من استعمال الزينة وخاصة عند أقارب الميت، وبوجه أخص لدى زوجته احتراماً لروح الفقيد.

### **3 - تغسيل الميت وتكفينه: بين تعاون الأقارب وتضامن الجيران**

بالنظر إلى منطقة تبسة باعتبارها مجتمع بحثنا ودراستنا فقد لمسنا خلال حضورنا العديد من الجنائز وجود تضامن كبير مع أهل الميت سواء من طرف أقارب الفقيد بل حتى من طرف الجيران وأصدقائه ومعارفه في ما تعلق بتغسيل الميت وتكفينه وحفر القبر، وفي هذا

<sup>1</sup> - عبد الغني مندوب، مرجع سابق، ص: 158

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

يقول أحد المبحوثين مبرزاً بعض صور هذا التضامن: "الناس يتعاونوا عند الموت، كإين جماعة يتكفلوا بتغسيل الميت وآخرين يروحوا يحفروا القبر"<sup>1</sup>، ويقول آخر: كإين تعاون كبير بين الفاميليا في الجنازة، كإين اللّي يعاون بالمواد الغذائية، وكإين اللّي يجيب اللحم لأهل الميت باش يطبّبوا العشاء"<sup>2</sup>، وهكذا يقوم بعض الأقارب بتغسيل الميت بينما يقوم البعض الآخر بحفر القبر، كما يقوم آخرون بتوفير كل مايلزم هذه المناسبة من مواد غذائية ولحم من أجل توفير الطعام وكل هذا يكون دون مقابل مادي و دون طلب أي تعويض، وهنا يظهر مدى التضامن الاجتماعي والمشاركة الوجدانية بين أهل الميت وأقاربه، فضلاً عن الإيمان بأن القيام بهذه الأعمال سيعود عليهم بالأجر والثواب عند الله عز وجل في الآخرة.

### 4 - صلاة الجنازة والدفن والتعزية:

بعد تغسيل الميت وتكفينه تُقام عليه صلاة الجنازة حيث يتم نقله إلى مسجد الحي أو المسجد القريب من المقبرة المراد دفن الميت فيها وذلك في موكب مهيب تتقدمه سيارة الإسعاف التي تحمل الميت، ويسير خلفها موكب المشييعين من أقرباء الميت والجيران وأصدقاءه وغيرهم من الناس، وذلك بغرض الحصول على الثواب والأجر، وقد تتم الصلاة في المقبرة في بعض الأحيان، وهنا تتجلى المعاني الدينية لدى الناس تجاه الموت وطقوسها، أما في البادية فيتم نقل الميت إلى مقبرة العرش أو القبيلة محمولاً على الأكتاف حيث يتزاحم الناس على المشاركة في حمله إبتغاء الأجر والثواب في جو مهيب تسوده السكينة والهدوء والخشوع ثم تقام عليه صلاة الجنازة وبعدها يتم الدفن والترحم على الميت.

وتجدر الإشارة إلى أن موعد الدفن خاضع لحضور الأبناء والإخوة والأخوات وغيرهم من الأقارب وموعد وصولهم إذا كانوا غائبين أو مسافرين، حيث يتم انتظار وصول أبناء الميت وذويه ممن يتواجدون في أماكن بعيدة عن مقر إقامته ليُلْقُوا عليه النظرة الأخيرة وتوديعه، وهنا

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 07.

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 08.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

تظهر الوظيفة الاجتماعية للموت فتكون سببا في اجتماع شمل العائلة وإعادة الصلة لما انقطع من علاقات وصلات بين الأقارب الأحياء، لذلك فإن جمع الشمل هو الذي يُحدّد موعد دفن الميت، وبعد الدفن يعود المشيِّعون إلى بيت المتوفّي، حيث يتم تناول الطعام، وهم يعتقدون أن في ذلك ثواب يلحق الميت في قبره، يقول أحد المبحوثين: "بعد الدفينة يرجعوا الناس لدار الميت باش يعزّوا أهل الميت ويوكلوا الطعام، صداقة عليه"<sup>1</sup>، كما يضع أهل الميت أمام البيت مجموعة من الكراسي لاستقبال المعزّين وكذلك عدد من الموائد فوق بعضها التمر والحليب وعلى بعضها الآخر القهوة أو الشاي، ومما لوحظ كعادة مُستجدة أنّ بعض العائلات تُقدّم مع القهوة أو الشاي بعض الحلويات ممّا يعرف في المجتمع التبسي بـ "الشامية"\* وخاصة تونسية الصنع لجودتها وحسن مذاقها.

يتم تقديم واجب العزاء لأهل الميت في جو من السكينة والوقار، مع العلم أن مراسيم تقديم التعزية تبدأ في المقبرة بعد عملية الدفن مباشرة، يقول أحد المبحوثين "تبدأ تعزية أهل الميت في الجبّانة بعد الدفينة"<sup>2</sup>، ومما لاحظته وعاشته في كثير الجنائز أن المعزّين وفي محاولة منهم لتخفيف الألم على أهل الميت تجدهم يسألون أقارب الميت عن سبب وفاته وعن أنواع الأدوية التي كان يتناولها، وهل مات في البيت أو في المستشفى وماذا خلّف الميت وراءه من أبناء، إلى غير ذلك من الأسئلة التي ماهي في الحقيقة إلاّ أسلوبا للتخفيف على أهل الميت والتهوين من مصيبتهم، لأن الكل يعتقد على أنّ الموت حق وقدر محتوم لا يمكن تجنّبه أو الهروب منه، ومن ثمّ ليس هناك من أمر إلاّ التسليم بقضاء الله والرّضاء بحكمه.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 09.

\* - الشامية: من الحلويات التقليدية التونسية التي تباع في الأسواق المحلية بكثرة بحكم قرب ولاية تبسة من حدود الجمهورية التونسية، ويفضل شراءها لجودتها وحسن مذاقها على النوع الذي يصنّع في الجزائر، وتسمى أيضا بملوى الترك.

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 07، ويقصد "الجبّانة" في العرف المحلي بالمقبرة.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ حرص أفراد المجتمع على تقديم واجب العزاء ينبع من عدة بواعث لعل أهمها: الواجب الديني الذي يحث عليه الدين الإسلامي ويوصي به كمظهر من مظاهر التكافل والتضامن، كما أنّ للدافع الاجتماعي أهمية في التخفيف على أهل الميت ومواساتهم من خلال الحرص على مشاركتهم أحزانهم، حيث يعتبر الناس هذه المشاركة نوعاً من الواجب الذي تدعو إليه العادات الاجتماعية وقيمها، ولأن الموت يُعتبر من أكثر الظواهر دفعاً للمشاركة بوصفه الحدث الذي لا عوض فيه لعائلة الميت عن فقدائها لفرد من أفرادها، من هنا تتجلى حتمية المشاركة الوجدانية والاجتماعية والدينية، كما أنّ من البواعث المستجدة التي تجدر الإشارة إليها نجد الباعث السياسي والحزبي، فكثير من السياسيين والمنتخبين لا يفوتون مثل هذه الفرص لتقديم العزاء لأهل الميت مبرزين بذلك تضامنهم ومشاركتهم آلامهم وأحزانهم، وتتجلى هذه الظاهرة بقوة عندما يتزامن ذلك مع المواعيد الانتخابية، وهنا لا يمكن تجاهل الغرض الانتخابي من مثل هذه الممارسات وإن كان كامناً وغير ظاهر، وهكذا يمتزج الديني بالاجتماعي والسياسي في هذه المناسبات الجنائزية.

ومما يحدث في صبيحة اليوم الموالي للدفن يذهب نساء أهل المتوفى للمقبرة لزيارة ميّتهم والترحم عليه، وهذا ما يُعرف في المصطلح الشعبي المحلي بـ "مصابحة الميت\*" حيث يأخذن معهن بعض الصدقات للتصدق بها على الفقراء والمساكين الذين يقفون على أبواب المقبرة.

### 5 - بين ذكرى اليوم الثالث وذكرى اليوم الأربعين:

في ذكرى الثالث\*\* أي بعد مرور ثلاثة أيام من الوفاة يقوم أهل الميت بإقامة الصدقة على روحه فيجتمع أهل الميت وأقاربه والجيران في بيت المتوفى لإقامة "الصدقة" عليه،

\* - مصابحة الميت: يقصد بها صبيحة اليوم الموالي للدفن حيث يزور نساء أهل الميت فقيدهم في المقبرة مصحوبين ببعض الصدقات يتصدقن بها على الفقراء ممن يجدونهم أمام أبواب المقبرة.

\*\* - ذكرى الثالث: وهو اليوم الثالث من وفاة الميت حيث يتم إقامة وليمة يحضرها أقارب الميت وأصدقاؤه وجيرانه كصدقة على الميت والترحم عليه، ليلحقه ثوابها في قبره.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

والتي تُسمّى في العرف المحلي بـ " عشاء الميت\*" من خلال إقامة وليمة يتم فيها ذبح شاة أو أكثر حسب الحاجة والإمكانات المتاحة، كما يقوم بعض الأهل والأقارب ميسوري الحال بمساعدة أهل الميت بإحضار اللحم والمواد الغذائية اللازمة لمثل هكذا مناسبات، وهنا تبرز مسألة التضامن والتكافل الاجتماعي مرة أخرى في مثل هذه المناسبات.

ومما يتم تقديمه في عشاء الميت مجموعة من الأطباق\*\* التقليدية المحلية مثل طبق "شربة الفريك" و"الكسكس"، وعند بعض العائلات ميسوري الحال يتم تقديم أطباق أخرى مثل طبق "الكفتة" بل ذهب البعض إلى تقديم طبق " المرقّة الحلوة" التي تقام في المناسبات المفرحة مثل الزواج والختان؛ إن هذه الشعائر الدينية والعادات الإجتماعية بصفة عامة تهدف إلى التصدّق على الميت والإنفاق على روحه وإحياء ذكراه والدعاء له والترحم عليه، كما يعتبر إحياء هذه المناسبة بمثابة إبراز مكانة أهل المتوفى الاجتماعية من خلال ما يقدمونه من طعام وما يبذلونه من أموال في سبيل إنجاح هذه الذكرى، ومن ثم إبراز مكانة الميت وعائلته في المجتمع الذي يعيش فيه.

---

\* - عشاء الميت: وهي وليمة يقيمها أهل الميت على ميتهم بعد مرور ثلاثة أيام من موته، وآخرون يعيدون القيام بها بعد مرور أسبوع ولكن تحت تسمية الصدقة على الميت وآخرون يعيدون القيام بهذه الصدقة بعد مرور أربعين يوما.

\*\* - تتمثل هذه الأطباق التقليدية المحلية في:

- شربة الفريك: طبق غذائي محلي يصنع من القمح الأخضر، ويعرف أيضا في الشرق الجزائري بصفة عامة، ويسمى أيضا ب"الجارى"
- الكسكس: طبق غذائي معروف في الجزائر وشمال إفريقيا، يصنع من طحين القمح الذي يضاف إليه الماء ثم يفرك للحصول على حبيبات صغيرة، ويتم طهيها على البخار ويضاف له المرق بالحمص والزبيب ولحم الخروف ونحوه.
- الكفتة: عبارة عن طبق يُصنع من اللحم الذي يقطع ويدقُّ ويضاف إليه التوابل والبصل، ويعمل على هيئة أصابع أو أقراص ثم يتم طهيها مع قليل من الزيتون.
- المرقّة الحلوة: عبارة عن طبق محلي، يتكوّن أساسا من الفاكهة المجفّفة مثل المشمش والزبيب وغيرها من المكسرات.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

" في ذكرى الأربعين\* " أي بعد مرور أربعين يوماً من وفاة الميت، تُقام وليمة كبيرة يحضرها أهل الميت وأقاربه والجيران ويتم فيها التصديق على الميت والدعاء له والترحم عليه، ولا تختلف هذه المناسبات من حيث الإجراءات عن ذكرى اليوم الثالث؛ وبالتالي يمكن القول أنه من وظائف الطقوس الجنائزية أنها لا تُقام من أجل الميت بقدر ما تُقام من أجل الأحياء لأنها تساعدهم على تجاوز الحدث التي يعيشونه والتفكير في الحياة وفي المستقبل، فهذه الطقوس وإن كانت في مظهرها توديع للميت فهي في حقيقتها تثبيت للأحياء ومحاولة إعادتهم للحياة الاجتماعية من جديد، ومن جهة أخرى فإن كل ما يقوم به الأحياء تجاه فقيدهم من صدقات ودعاء وترحم، له وظيفة محددة وهي رجاء قبوله في مصاف الصالحين، فضلاً عن محاولة إظهار المكانة الاجتماعية للميت وعائلته وتعزيز التضامن العائلي والتكافل الاجتماعي، والشعور بذوبان شخصية الفرد في الجماعة وخاصةً في ما يتعلق بالتعبير عن الحزن أمام الآخرين، وتقديم أقصى ما يمكن تقديمه من تكريم وحسن الاستضافة والضيافة للمعزين وكأنه تكريم للميت نفسه وتعبير عن مكانته، من هنا فإن شعائر الموت وعاداته وتقاليد استمدت مشروعيتها من الدين الإسلامي من جهة ومن المحيط الاجتماعي من خلال التعبير عن المشاركة الجماعية لأهل الميت بتقديم العزاء لهم، وتشجيعه والصلاة عليه والترحم على روحه والدعاء له، وتقديم العون المادي لهم قصد التخفيف من أعباء وتكاليف الوفاة وإرساء معاني التواصل العائلي والتضامن والتماسك الاجتماعي.

\* - ذكرى الأربعين: وهو اليوم الرابعون من وفاة الميت، تُقام فيه وليمة كبيرة يحضرها الأهل والأقارب والجيران بغرض تذكّر الميت والتصديق عليه والترحم على روحه.

### ثالثا: إحتفاليات إستقبال المولود

تكتسي الولادة واستقبال المولود أهمية في حياة الشعوب، فهي السبيل للحفاظ على النوع الإنساني، وحوها تشكّلت معظم رموز الحبّ والخصوبة والنماء في كلّ الثقافات الإنسانية على اختلافها وتنوعها، ولم يشكّل العرب استثناء في تمجيد الولادة ومدحها والتغني بها في أشعارهم سواء تعلق الأمر بالأمّ الولود وإيلائها مكانة هامة في حياتهم وفي معتقداتهم أو في عاداتهم وتقاليدهم نحوها، ويكف أن يغوص المرء في الاساطير والحكايات الشعبيّة وينقر فيها بالبحث والتنقيب ليدرك أنّ الولادة قد احتلّت الحيز الأهمّ في المتخيّل الشعبي العربي، فلا تكاد تخلو حكاية من الموروث الشفوي النسوي على وجه الخصوص من التطرّق إلى الولادة ومُعاناتها من جهة وتقديسها من جهة أخرى، فالجتمعات العربيّة التقليدية تحطّ من قيمة المرأة العاقر، حتّى إذا لم تلد بسبب عقم زوجها، وعلى العكس من ذلك نجدها تُعلي من قيمة المرأة الولود، خاصة ولادة الذكور وتحيطها بالرعاية أثناء الحمل وعند الولادة وأثناء الرضاعة وبعد ذلك.

إنّ مناسبة الإحتفال بالمولود في المجتمع الجزائري من المناسبات الراسخة والضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، والتي لم يستطع الزمن رغم التطورات الكثيرة التي عرفها المجتمع من إزالتها، حيث لا تزال أغلب العائلات الجزائرية، إن لم نقل كلها، تحتفل بمواليدها الجدد كل حسب طريقته وعاداته وتقاليده وظروفه الاجتماعية والمادية.

### 1- الإحتفال بقدوم المولود:

تتعدّد طقوس الإحتفال بقدوم المولود الجديد بتعدّد وتنوع الموروث الذي ترتكز عليه أعراف وتقاليدهم كل منطقة وكل عائلة، لتعكس تنوعا وتعددا متميزا، حيث يتداخل فيها الديني والمقدس بالعادات الاجتماعية والدينيّة، بل في كثير من الأحيان يتم إخراجها من جانبها الديني، وتحويلها إلى وسيلة للتباهي والتفاخر بين العائلات.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

تبدأ الاستعدادات باستقبال المولود الجديد في المجتمع الجزائري عموماً وفي منطقة تبسة خصوصاً منذ الأشهر الأولى للحمل، حيث تُحظى المرأة الحامل برعاية خاصة من قبل المحيطين بها، حيث تتناوب أمها وأخواتها وحتى خالاتها إضافة إلى أهل الزوج على رعايتها والاهتمام بتغذيتها غذاء صحياً وإبعادها عن كل مجهود ومنعها عن حمل الأشياء الثقيلة ضماناً لقضاء فترة حمل آمنة، وعدم تعرض المولود لأي مخاطر قد تؤدي به إلى السقوط والإجهاض.

### 2- معتقدات الوحم وطقوسه:

من الظواهر المرتبطة بفترة الحمل، ظاهرة "الوحم"\*، تقول إحدى المبحوثات "الوحم كايّن منّا"<sup>1</sup>، والتي لها معتقدات في المخيال الشعبي مفاده أنّ المرأة الحامل في الأشهر الثلاثة الأولى من حملها إذا اشتتهت تناول شيء ما، من الفواكه أو الخضروات وغيرها، مثل عنقود عنب مثلاً، ولم تتمكّن من الحصول عليه فإنّ صورة ذلك العنقود سترتسم على جسد المولود في عضو من أعضاء جسمه، ولذلك يحرص الزوج على تلبية طلباتها مهما كلفه الأمر، وفي هذا المعنى تقول إحدى المبحوثات "واش تطلب الحامل يجيبوا ليها باش مايجيش المولود مشوّه"<sup>2</sup>.

### 3- الاستعداد لاسقبال المولود:

من الاستعدادات التي تسبق قدوم المولود الجديد تحضير وشراء كل ما قد يحتاجه المولود الصغير من ملابس وأغطية، وتختلف هذه الملابس والأغطية والأفرشة من حيث نماذجها

---

\* - الوحم: وهي حالة نفسية تأتي للمرأة الحامل في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل، حيث تشتتهي أكل بعض الفواكه أو الخضروات أوحقّى بعض الأشياء الأخرى مثل الطين أو الفحم وغيرها، وما على الزوج إلا أن يلبي لها رغبتها ويحضر لها ما تشتتهيه، ومفادُ هذا المعتقد الشعبي أنه إذا لم يتم تلبية رغبتها فإن صورة ذلك الشيء المرغوب فيه سترتسم على عضو من أعضاء جسد المولود، وتظهر على شكل تشوهات خلقية في جسمه.

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 13

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم: 15

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

ونوعيتها وعددها تبعاً للحالة المادية للعائلة، تقول إحدى المبحوثات: "قبل ما تولد المرأة تحضّر كل مايلزم المولود حسب المقدرة"<sup>1</sup>، كما تشارك قريبات الأم الحامل أو الزوج في توفير ذلك فرحا بقدوم المولود ومساعدة للأبوين في تخفيف بعض الأعباء والتكاليف.

### 4- يوم ولادة المولود:

يُعتبر يوم الولادة اللحظة المنتظرة عند الجميع وخاصة الأبوين، هذه اللحظة التي ينتظرها جميع أفراد العائلة والأهل، ويترقبها الأبوين بكل شوق وابتهاج، وتتم عملية الولادة إما في المستشفى إذا كانت الأم تقطن على مستوى المدن والمناطق الحضرية، أما في الريف والبادية حيث يصعب التنقل إلى المستشفيات العمومية والعيادات الخاصة فإنها تتم في البيت وتحت إشراف إحدى العجائز التي لها دراية واسعة بعمليات التوليد سواء كانت من القريبات للأم أو من الجيران، وتسمى في العرف المحلي بـ " القابلة\* "، وما إن تتم الولادة وينظّف المولود جيداً ويتم الاطمئنان على صحته وصحة الأم حتى يتم تسليمه إلى أمه، وهي بدورها تُسلمه إلى أبيه أو جده الذي يؤدّن في أذنه اليمنى ويكبّر ثلاث تكبيرات في أذنه اليسرى باعتبارها من السنّة النبوية من جهة، ورغبة من الوالدين في أن يكون هذا المولود صالحاً ومُستقيماً في أخلاقه ومُتمسكاً بتعاليم دينه من جهة أخرى، وهذه الطقوس من الممارسات الحديثة ذات المعتقد الديني التي انتشرت في المجتمع الجزائري عموماً والتبسي خصوصاً خلال العقود الأخيرة نتيجة انتشار الصحوة الإسلامية والوعي الديني في المجتمع، يقول أحد المبحوثين: " بكري بعد الولادة يعطوا الصّغير لأتموا وضرك يعطوه لأبوه أو جدّوا باش يؤدّن في أذنوا اليمنى ويكبّر في

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 13

\* - القابلة: وهي امرأة كبيرة في السن لها دراية بعمليات التوليد، تقوم بتوليد النساء في البادية والريف حيث يصعب تنقل المرأة للولادة في المستشفيات.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

أُذِنوا اليُسرى، باش يجي الولد صالح"<sup>1</sup>، فهذا بعد ديني مقدس يمتزج مع بقية العادات الاجتماعية من حفاوة الاستقبال وتقديم الطعام وغيرها في هذه الاحتفالية.

### 5 - تسمية المولود:

بعد الولادة يتم تسمية المولود، هذه التسمية التي يكون النقاش حولها مفتوحا بين الأبوين خصوصا وكذلك بتدخل الجد والجدة أيضا أثناء فترة الحمل وقبل الولادة، وهذا عند بعض العائلات على مستوى المدن والمناطق الحضرية، أما على مستوى البوادي والأرياف فإن الأب أو الجد هو الذي يتولى تسمية المولود، إن موضوع الإسم والتسمية من المواضيع التي يتداخل فيها البعد الهوياتي بالبعد التراثي في الفضاء الاجتماعي، فهو موضوع " مشحون بالعديد من الدلالات التي تُعبّر عن الثقافة المحلية الموروثة، وتكشف عن الهوية الثقافية والوطنية والشخصية الجماعية"<sup>2</sup>.

وبالنظر إلى أسماء المواليد في المجتمع التبسي نجدها لا تختلف كثيرا عن بقية مناطق الوطن من حيث أبعادها الاجتماعية والدينية ودلالاتها الرمزية، ويمكن تصنيف الأسماء المتداولة في مختلف العائلات التبسية إلى عدة مجموعات<sup>3</sup> من أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

- أسماء مليئة بإيحاءات دينية: مثل أسماء الأنبياء والرسل وعلى رأسهم إسم: محمد فلاتخلوا عائلة من إسم محمد أو أحمد أو محمود، كما نجد أسماء كل من: إبراهيم، يوسف، هارون، آدم، سليمان وغيرهم، كما هناك انتشار كبير لأسماء الصحابة مثل: بوبكر، عمر، علي، حسن، الحسين، عثمان، حذيفة، الزبير، كما نجد الأسماء المرتبطة بأسماء الله عز وجل وصفاته مثل: عبد العزيز، عبد الحميد، عبد القادر، عبد

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 5

<sup>2</sup> - هدى جباس، الإسم: هوية وتراث، مقارنة أنثروبولوجية لدلالة الأسماء في قسنطينة (1901-2001)، مجلة إنسانيات الصادرة عن مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، الكراسك، عدد 30/29، سنة 2005، ص: 144.

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص: 163-165، بتصرف

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

الكريم،... وعند الإناث نجد أسماء الصحابييات الجليلات مثل: عائشة، زينب،

فاطمة، مريم، حفصية، خولة، صفية... الخ

● أسماء عكست ارتباطا قويا مع الطبيعة وبعض مظاهرها: وهذا النوع من الأسماء نجد

انتشاره عند الإناث أكثر مما عند الذكور، مثل : وردة، وريدة، ياسمينة، زهرة، فلة،

نسرين، نسيمه، نرجس، عبير، العطرء، سوسن، ريم، قمره، ثلجة، نجمة، أما عند

الذكور نجد: هيثم، أسامة، شاهين... الخ

● أسماء مبتكرة عبّرت عن التطور التاريخي في أشكال التعبير عن التسمية، فنجد في كل

مرة انشار أنواع معينة من التسميات، فقد تميّزت فترة أواخر الثمانينيات مثلا بنسج

الكثير من النماذج التسموية التي لم يسبق انتقاؤها من قبل، كالأسماء ذات الصبغة

الدينية مما ورد ذكرها في القرآن الكريم من ألفاظ التنزيل ( آية، إسرائ، دُعاء، مُنذر،

آلاء..)، وأسماء الجتّة وأنهارها وأبوابها وبعض أهلها ( سلسبيل، ريان، فردوس، ..)،

وفواتح بعض السور وأسماءها ( ياسين، كوثر، طه..) وتركيبات تسموية جديدة

( فتح الإسلام، نور الإسلام، إسلام..)، أو تلك التي اقتضت بتوظيف بعض أسماء

الله الحسنی مثل: ( آية الرحمان، هبة الرحمان، هبة الله، تقي الدين، ضياء الدين...).

● أسماء دالة على الجمال: من قبيل: ( بدیعة، جميلة، بهیة، ضریفة) ثم بروز أشكالا

أخرى أكثر ليونة، حملت قيما جمالية جديدة، مثل: ( لميس، فاتن، ميسون، هيفاء،

رنا، دلال، دارين...).

● أسماء مركبة: جسّدت عدّة أذواق في نسج الاسم الواحد والتي عكست جدلية

[قديم/حديث]، وقد قامت على احترام القيم الموروثة عن الآباء والأجداد، والتطلع

في نفس الوقت إلى مُسايرة مُوضة برزت في فترة من الفترات مثل: ( تاج الملاك، تاج

الملك، نوال سيرين، دورصاف، قطر الندى، هديل، ميسون، نور اليقين، محمد

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

إسلام، أحمد رامي، بدر الزمان، وسيم تاج الملوك، محمد رسيم، وسيم محمد العربي،  
وصال نجم الدين...).

● أسماء ذات دلالات أجنبية: عكست رغبة كبيرة في التماهي مع الآخر ومحاكاة نماذجه، على الرغم من أنّها لم تتوافق في معظم صورها مع النماذج الثقافية الأصلية، والقيّم الاجتماعية والنفسية للمجتمع: ( جيهان، دارين، دورصاف، رنيم، روزا، ميار، لينا، رسلان، رستم، سامر، سكندر...)

● أسماء ذات دلالة وطنية وثورية: نتيجة تأثير العوامل الاجتماعية والتاريخية على التمثيلات الذهنية، من خلال محاكاة أسماء الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين والعسكريين الذين برزوا على ساحة الأحداث على الصعيد الوطني والدولي، ونجحوا في اكتساب مكانة اجتماعية سواء كانت دائمة أو مؤقتة أو اكتسبوا تعاطف وتأييد اجتماعي، ومن بين هذه الأسماء نجد: هواري بومدين، بن بلّة، بوضياف، خيثر، جمال عبد الناصر، أنور السادات، طارق عزيز، صدام حسين.. أمّا عند الإناث فقد ارتّخت لفرحة الاستقلال بأسماء ملئت بالكثير من دلائل النصر وبشائر الحرية مثل: نصيرة، حورية، انتصار، الناصر.... الخ

● أسماء عكست أيام الأسبوع والأشهر والفصول والألوان وأسماء البلدان مثل: الجموعي، السبت، خميسة، الخامسة، حدّة، رمضان، شعبان، رجب، خريّف، الربيع، الربيعي، خضراء، لخضر، الوردي، لسود، تونس، دزاير..

● أسماء عكست البعد الشاوي (الأمازيغي) للمنطقة مثل أمقران بمعنى الكبير، أمزيان بمعنى الصغير وغيرها مثل: بوزيد، غيلاس، ماسينيسا، ومن الإناث نجد: كنزة، بيّة،..

● أسماء عكست أسماء النباتات والفواكه مثل: تفاحة، رمان، خوخة، إلى غير ذلك من الأسماء التي اتخذت أشكالا كثيرة وأبعادا عديدة ودلالات رمزية مختلفة.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

وخلاصة القول أنّ اختيار الإسم والتسمية في منطقة تبسة على غرار الكثير من مناطق الوطن يتأثر بالعديد من المحددات والمرجعيات وله الكثير من الدلالات وهو ما يتوافق مع ما ذهبت إليه الباحثة الجزائرية "هدى جبّاس" بقولها: "ليس فعلا اعتباطيا، وإنما هو فعلٌ مُعَبَّءٌ بالكثير من الدلالات وشاهد على العديد من الخلفيات والمرجعيات ذلك أنّ لكلّ إسم ظرفه أو واقعه الخاص المتسبّب في بُروزه أو انبعائه"<sup>1</sup> وعليه فإنّ وظيفة التسمية قد تعدّت الجانب التعريفي لتتداخل مع جوانب تعبيرية أخرى تعكس مُختلف تصنيفاته الدلالية وأبعاده السوسيوولوجية والعقائدية والتاريخية والوطنية والثورية وحتى القبليّة، كما رسخت انتشارا ثقافياً بين فضاءات متعددة، كما أنّها تعتبر مرآة عاكسة للمخيال التسموي الشعبي للفضاء السوسيوولوجي الذي ينتمي إليه صاحب الاسم أو من مارس فعل التسمية.

### 6 - الطقوس الإحتفالية بعد الولادة:

بالرجوع إلى رصد الأجواء الإحتفالية المتعلقة بالمولود من جهة والاعتناء بالأم من جهة أخرى من أجل توفير الظروف المريحة والملائمة لها، فإنّ الأم التي يُطلق عليها اسم النّفساء، حيث تُقيم معها أمها أو أختها لكي تعني بها وبمولودها، فتحضّر لها ما يلزم من المأكولات، التي من شأنها أن تساعد على استرجاع عافيتها بسرعة وعلى در حليب الثدي، الذي يبقى أساسيا لتغذية المولود في هذه المرحلة من حياته، وهنا تبرز الأطباق المحلية والمأكولات المفضلة في مثل هذه المناسبات، فنجد من الأطباق المشهورة في المجتمع التبسي: طبق "البركوكش\*" الذي يتم تحضيره خصيصا باستعمال الكثير من الأعشاب المحلية التي لها فوائد طبية وغذائية تعود بالفائدة على المرأة النفساء، والتي تسمى في العرف المحلي "النافس".

<sup>1</sup> - هدى جبّاس، مرجع نفسه، ص: 166.

\* - البركوكش: من الاكلات الشعبية مثل الكسكس إلا أن حبيباته أكثر سمكا وحجما، وله طريقته الخاصة في الطهي ويسمى في مناطق أخرى من الوطن بـ البروتوس.

## الفصل الثاني: الإحتفالات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

وبعد الولادة و انتشار الخبر وشيوعه، تتوافد النسوة من الأهل والأقارب والجيران لمباركة المولود الجديد والاطمئنان على صحة الأم، إذ يحملن في الغالب بعض الهدايا أو النقود وذلك حسب الحالة الاجتماعية لكل عائلة مبرزين بذلك حالة التعاون والتضامن الاجتماعي بين العائلات، كما أنّ المولود أيضاً يُحظى في هذه الفترة برعاية خاصة من خلال الاهتمام بنظافته، حيث تساعد بعض النسوة المحيطات بالأم في تنظيف المولود حيث يعمدن إلى لّقه بقطعة من القماش الأبيض تسمى في المصطلح الشعبي المحلي بـ (التقميط\*) مما يسهّل حمله ويضمن له نوماً هائئاً، يحدث هذا رغم ما يثيره هذا الأمر من حفيظة بعض النساء العصريات اللاتي يرفضن مثل هذه الطريقة.

من المعتقدات الشعبية التي تصاحب هذه المرحلة من حياة المولود وهي أن تعمد الأم أو الجدّة إلى وضع مصحف صغير عند رأس المولود تبرّكا بكتاب الله تعالى وحماية له من الأذى وأي مكروه، وقد تعمد الأم أو الجدّة أو العمّة إلى غرز ما يسمى في المصطلح الشعبي بالـ "حرز\*\*" ويوضع في قطعة قماش بيضاء ويتم لّقه في اللباس الذي يلبسه المولود ( القمّاطة ) درءاً للعين والحسد وإبعادا لكل أذى يُمكن أن يصيب المولود، ويسمى عند آخرين بـ "الحجاب" أي حجابا للمولود وحماية له من كل أذى أو مكروه.

### 7- ختان المولود:

ويعتبر ختان المولود الذكر أو ما يسمى في المنطقة " الطّهور\*\*\*" طقساً مقدساً من طقوس الاحتفال بالمولود الجديد حيث يتم استدعاء الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء

\* - التقميط: وهي لفّ المولود في قطعة من القماش الأبيض مما يسهّل حمله ويضمن له نوماً هادئاً.

\*\* - الحرز: عبارة عن ورقة صغيرة مكتوب عليها آيات قرآنية في حالة كتابتها من طرف أحد الشيوخ أو الأئمة، وقد تتضمن هذه الورقة بعض الخطوط والأشكال والعبارات غير المفهومة إذا كانت مكتوبة من طرف أحد المشعوذين، ويستعمل في المعتقد الشعبي المحلي لحماية المولود من العين والحسد ومن كل مكروه، ويطلق عليه البعض إسم الحجاب، لأنه - حسب معتقدهم - يحجب المولود ويحميه من الأذى ومن أي مكروه.

\*\*\* - الطّهور: عبارة عن مصطلح شعبي محلي ويقصد به الختان.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

لحضور الاحتفال بهذه المناسبة حيث يُؤخذ المولود في اليوم السابع أو بعده حسب كل عائلة إلى الطبيب من أجل ختانه، وذلك بعد أن يتم تحضير كل متطلبات هذه الاحتفالية والتي سنفردها بدراسة مفصلة في الفصل الثالث من هذه الأطروحة نرصد من خلاله طقوس هذه الاحتفالية والممارسات المرتبطة بها، كما سنحاول كشف دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية وأهم التغيرات التي طرأت عليها في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية السريعة التي يشهدها المجتمع.

وعموماً تتمظهر الطقوس الاحتفالية التي تصاحب مناسبة الولادة وتباين في بعض جوانبها وتنوّع حسب إمكانيات كل عائلة وظروفها الاجتماعية والاقتصادية، وإن كانت جميعها تجعل من هذا الحدث فرصة للتعبير عن الفرح والسّرور من خلال الغناء وإقامة الولائم يتم فيها دعوة الأهل والأصدقاء وتقديم الحلويات على المدعوين من الأهل والجيران والأقارب والأصدقاء وغيرهم، ويُعدّ طبق " الزرير " \* التقليدي، والذي يُسمّى في العُرف المحلي عند البعض بـ " الطّمينة"، هذا الطبق الذي تُحضّره أغلب العائلات الجزائرية عموماً والعائلات التبسية خصوصاً احتفالاً بالمولود الجديد والذي يُعدّ من أشهر الأطباق المرتبطة بهذه المناسبة الاحتفالية والذي يُقدم لكل من يزور المرأة النَّفساء ومولودها، تقول أحد المبحوثات في تأكيد هذا الممارسة: " اللي يجي يبارك نحطّولوا الزرير " <sup>1</sup>.

---

\* - الزرير: نوع من الحلويات التقليدية الجزائرية، وتختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى، تصنع بالسميد والعسل والزبدة، وتقدم في المناسبات والأعياد وخاصة عند الاحتفال بالمولود الجديد، وتسمى عند البعض في المناطق من الوطن بـ " الطّمينة".

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 15

**8 - السَّبُوع واحتفالية العقيقة بين الممارسات الدينية والعادات الإجتماعية:**

شرع الله سبحانه وتعالى بعضاً من السنن التي يقوم بها الآباء إذا ما زُرِقوا بمولود، وذلك شكراً لله عز وجلّ على ما أنعم به، وحفظاً للمولود، والتزاماً بشرع الله تعالى وتعاليم الدين، ومن تلك السنن: حلق شعر رأس المولود، والتصدّق بقيمة وزنه من الفضة، ومنها ختان المولود، وذبح الذبائح عنه كنوع من إظهار الفرح بقدمه وشكر الله تعالى على ما أنعم به، وفي هذا المعنى روى الإمام البغوي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح: "مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى"<sup>1</sup>، كما قال صلى الله عليه وسلم أيضاً في حديث آخر: "الغلامُ مُرْتَهَنٌ بعقيقته يُذبح عنه يوم السابع، ويُسَمَّى، ويُحَلَّقُ رأسه"<sup>2</sup>، فالعقيقة تُمثّل ما يُذبح عن المولود ذكراً كان أو أنثى في اليوم السابع من ولادته بنية شكر الله تعالى على ما وهبه وأنعم به، وهي بذلك تعبير عن فرح وسعادة المسلم بقدم المولود، الأمر الذي يستحق من العبد تقديم الشكر لله تعالى الواهب والمعطي، كما تُفيد العقيقة بحماية المولود من الأذى ومن سيطرة الشيطان ووساوسه، كما أن من أبعادها زيادة روابط التعاون والتكافل الاجتماعي، وذلك بذبح العقيقة وتوزيعها على الفقراء وإطعام المساكين والمحتاجين من الأهل والأصدقاء، مما يُساهم في نشر المحبة والمودة بين الناس.

لا تزال العقيقة متداولة في أوساط المجتمع الجزائري باعتبارها مما أوصى به الدين الإسلامي، وسمّيت بهذا الاسم لأن العرب اعتادوا حلق شعر المولود يوم السابع من ميلاده، وهي سنة مؤكدة فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكون ذلك في اليوم السابع أو اليوم الرابع عشر، أو في الحادي والعشرين وهكذا، فإذا لم يتيسر للوالد القيام بها، فبإمكانه أن

<sup>1</sup> - الحسين البغوي، في شرح السنة، عن سلمان بن عامر الضبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج6، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1983، ص 53.

<sup>2</sup> - محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، حديث رقم: 1522، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ص: 482.

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

يذبح في أي وقت بعد ذلك ولكن الأفضل الإسراع بها، وفي حال عدم قيام الوالد بها، فإن المولود يمكنه أن يذبح عن نفسه عند كبره وفي أي وقت، للحديث الذي رواه الترمذي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيْقَتِهِ، تُذْبِحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُخْلَقُ رَأْسُهُ"<sup>1</sup>، لذلك، يقوم كل مسلم رزقه الله تعالى بولد بالعقيقة عنه سواء كان ميسور الحال أو غير ميسور وذلك إقتداء بسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وتقام على شرف هؤلاء المواليد الجدد، أنواع من الموائد والولائم فرحا وابتهاجا بقدمهم إلى حضن الأسرة والعائلة الكبيرة، غير أن هذه الشعيرة قد عرفت عزوفا كبيرا في فترة من الفترات، ويعود ذلك لكون المجتمع الجزائري بعد الاستقلال عرف تغييرا جذريا في العائلة يمكن إرجاعه إلى عدة عوامل اقتصادية بالدرجة الأولى انعكست على الجانب الاجتماعي ومن أبرزها تشتت العائلة الجزائرية الكبيرة وبروز السلطة الأبوية ونظرا لما وقع في المجتمع الجزائري من تغيرات في بنيتها الداخلية والنزوح الريفي نحو المدن الكبرى، انعكس ذلك على تفكير العائلة ونمط عيشها وعلى أسلوب تعاملها مع الأسرة والعادات المتخذة نحو الأولاد بالخصوص مما جعل شعيرة العقيقة أوعادة "السبوع" عند الكثير من العائلات الجزائرية غائبة عن الممارسة ويمكن إرجاعها إضافة إلى الظروف الاقتصادية للأسرة الجزائرية، فالأب أو رب العائلة ليس في مقدوره تغطية تكاليف هذه الإحتفالية، فأصبح عزوف الناس عنها بشكل واضح وملحوس في فترة من الفترات.

أما في السنوات الأخيرة فقد أصبحت العائلة الجزائرية أيا كانت تقطن الريف أو المدينة، تحيي هذه الإحتفالية، بل أصبحت مقدسة عند الكثير منهم، وذلك لعدة عوامل وأسباب من أهمها التغير الحاصل في نمط التفكير وأسلوب حياة العائلة الجزائرية بالأساس، ويرجع ذلك إلى الوعي الديني المرغّب في إحياء هذه السنة النبوية لما فيها من فائدة على المولود والأسرة

<sup>1</sup> - محمد بن عيسى الترمذي، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الاثير الجزري، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، حديث رقم: 5607

ج7، نشر وتوزيع: مطبعة الملاح، 1981، ص: 497

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

ببركاتهما وأفضالهما، كما كان للإعلام دورا كبيرا في بث الوعي، كما كان للمساجد دورها في نشر الوعي الديني، فكل ذلك من العوامل المتشابكة التي لعبت دورا هاما في إحياء هذه السنّة النبوية والترغيب في ممارستها لدى العائلات الجزائرية عموما والتبسية خصوصا .

ومما يلاحظ اليوم في منطقة تبسة أن بعض العائلات أخرجت هذه الإحتفالية عن نطاقها الديني، وحوّلتها إلى مسرح للتباهي والتفاخر بالقدرات المادية لكل عائلة، وذلك بالإكثار من ذبح الكباش والتفنّن في إقامة اللوائم وتقديم أشهى الأطباق والمأكولات، بل ابتدع البعض إرفاقها بحفل كبير يشبه في مظهره حفلات الزفاف والأعراس وأصبح البعض يقيمها في قاعات الحفلات بدل البيوت، بل تعدى ذلك إلى أن الموضة مسّت أيضا موائد الإحتفال بالمولود الجديد واستقبال الضيوف، حيث أخذت الحلويات والصّحون أشكالاً متعددة وألوانا زاهية وأصبح شكل الحلوى يأخذ شكل طفل رضيع أو وجوه الرسوم المتحركة المفضلة من طرف الأطفال وغيرها من الأشكال المحبّبة لدى الطفل الصغير، كل ذلك من التغيرات التي أحدثتها التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع الجزائري عموما والتبسي خصوصا.

### رابعا: احتفاليات الختان ( الطّهور ):

يُعتبر الختان من الشرائع التي شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده وكَمَل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة، فهو مُكَمَل للفطرة التي فطرهم عليها، فهو أحد المحطات الحاسمة في رحلة الإنسان عبر الحياة والتي تُعبّر عن انتقاله من مرحلة إلى أخرى ومن وضع إلى آخر.

ومنطقة تبسة كغيرها من مناطق الوطن تُعطي لهذه المناسبة الإحتفالية أهميتها وقدسيّتها حيث يتداخل فيها الاجتماعي بالديني وتصل فيها مظاهر الإحتفال والبهجة والفرجة عند بعض العائلات مثل ما يحدث في احتفاليات الزواج.

## **الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات**

إن ممارسة احتفالية الختان أو الطهور هي " بمثابة انتقال أو تأهيل إلى مرحلة الرشد من خلال المرور ببعض الطقوس والممارسات الشعائرية المصاحبة لها، وممارسة الختان التي بمقتضاها يصبح الأطفال قادرين على تقلد أدوار البالغين أو الراشدين"<sup>1</sup>، بمعنى أنه من الطقوس التي تعبر عن انتقال الطفل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ، ومن ثمّ الاستعداد لتحمل المسؤولية في المجتمع الذي يعيش فيه.

إننا سنخصّص لهذه الاحتفالية فصلاً كاملاً، بالدراسة والتحليل كنموذج عن احتفاليات دورة الحياة في المجتمع التبسي، لما تتضمنه من طقوس وممارسات دينية وعادات اجتماعية يتميز بها المجتمع التبسي، ومن ثمّ سنقوم برصد عاداتها والممارسات المرتبطة بها والبحث في دلالاتها الرمزية وكشف وظائفها الاجتماعية والوقوف على أهم التغيرات الحاصلة فيها في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع.

<sup>1</sup> - محمد عباس ابراهيم، الثقافة الشعبية الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2009، ص 115

## الفصل الثاني: الإحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة الحياة: الطقوس والممارسات

### خلاصة الفصل:

تعتبر المناسبات الاحتفالية المرتبطة بدورة الحياة المفرحة منها والحزينة من أهم الاحتفاليات التي تنبثق من ثقافة المجتمع وتراثه، وتؤسس للفعل الاحتفالي في تطوراتهِ وتفاعلاتهِ وتجلياته بما تمثله من طقوس وما تتميز به من ممارسات وأشكال تعبيرية متنوعة بتنوع المجتمعات والثقافات، باعتبار أن لكل مجتمع تراثه الشعبي وموروثه الثقافي وعاداته وتقاليده ينفرد بها ويتميز بها عن غيره من المجتمعات، فيرسم عبر تاريخه دستوراً ثقافياً وإجتماعياً يلخص تجاربه وتفاعلها مع الظروف الحياتية تُحترم مواده من جميع أفرادهِ.

هذه الاحتفاليات التي تبدأ باستقبال المولود وما تحويه من عادات وطقوس، ثم تأتي احتفاليات الختان التي تمثل طقس عبور بامتياز، ثم إحتفاليات الزواج الذي يعتبر من أهم الاحتفاليات العائلية في حياة الأفراد ذكورا وإناثا، لما فيه من مراحل متناسقة يمكن أن تكون كل منها بمثابة إحتفالية قائمة بذاتها تبدأ بالخطبة ثم الفاتحة والعقد ثم الدخلة والصباحية والسابع، وما قد يكون بين هذه المحطات من مراحل أخرى تختلف في جزئياتها من منطقة إلى أخرى ومن عائلة إلى أخرى وفي الأخير تأتي لحظة الوفاة ومفارقة الأهل والأقارب وما تتضمنه من أحكام شرعية وعادات إجتماعية وممارسات حزينة.

أن دراسة كل هذه المناسبات الاحتفالية – المفرحة منها والحزينة – جاء ليكشف تلك الطقوس الاحتفالية والعادات الاجتماعية ودلالاتها الرمزية ومعتقداتها الشعبية التي ترتبط بالنظام الثقافي الذي يتأسس عليه المجتمع والنابع عن رؤية المجتمع لتلك العادات والتقاليد والممارسات الإحتفالية التي ترسخت في المخيال الإجتماعي المحلي.

# الفصل الثالث

## الختان: الطقوس الإحتفاليّة والممارسات الإجتماعيّة والدلالات الرّمزيّة

تمهيد الفصل

أولاً: مفهوم الختان

ثانياً: الإجراءات التحضيرية لإحتفالية الختان

ثالثاً: الممارسات والطقوس الإحتفالية للختان

رابعاً: الدلالات الرّمزية والوظائف الإجتماعية

والمظاهر الفرجوية للختان

خلاصة الفصل

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية

### والدلالات الرمزية

#### تمهيد الفصل:

يعد الختان إحدى الإحتفاليات التي تمارسها الكثير من المجتمعات الإنسانية عموماً والمجتمعات العربية والإسلامية خصوصاً تتوارثه جيلاً بعد جيل وتتنوع طقوسه وعاداته وتقاليده بتنوع المجتمعات والثقافات، كما تختلف المعتقدات والتمثّلات لموضوع الختان في بعض جوانبه من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى بل من منطقة إلى أخرى في البلد الواحد ومن قبيلة إلى أخرى في المجتمع الواحد.

كما تعتبر إحتفالية الختان في المجتمع التبسي من الممارسات التي لا تزال حية ومستمرة في مناسبات زمانية ومكانية مختلفة حيث سنقتحم فضاءاتها المختلفة عبر عدد من التساؤلات أردناها أن تكون محطات معرفية ومنهجية وموضوعاتية.

فالختان من حيث كونه إحدى سنن الفطرة التي حثّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانب نطف الإبط وتقليم الأظافر وحلق العانة، فهو نموذج للعديد من الطقوس ومظاهر السلوك الإجتماعي التي يتداخل فيها المقدس بالدنيوي ويحجب فيها الموروث الثقافي البعد الديني لعملية كان معمولاً بها في مجتمعات ما قبل الإسلام قبل أن ترسخها السنة النبوية. فأصبح شهادة انتماء للعقيدة الإسلامية يوقعها المختون بدمه وصراخه.

هذه الثنائية - المقدس والدنيوي - تحكم طقوس الختان في الجزائر عموماً وفي منطقة تبسة خصوصاً بصيغ تختلف في تفاصيلها الدقيقة، لكنها تتوحد في تمظهراتها العامة، كما أن عامل الزمن وإن كان أفقدها بعضاً من خصوصيات القداسة، فإنه لم يؤثر كثيراً على طابعها الإحتفالي بل أعطاها حُللاً جديدة تتماشى مع العصر وتغيرات الواقع المجتمعي.

من جهة أخرى تعتبر طقوس الختان من بين طقوس الانتقال " rites de passage " وفقاً لرؤية: "أرنولد فان جنيب"، مثلها مثل ( الزواج، الولادة، والوفاة... الخ ) وذلك لارتباطها بتجدد الحياة والخصوبة والنمو، والانتقال من دور اجتماعي إلى آخر، ومن مرحلة عمرية إلى أخرى، كما أنها تعتبر طقس تطهيري يهدف إلى تطهير الفرد من الدنس، ولذا يسمى في بعض المجتمعات المحلية بالطهارة أو الطهور.

إن الممارسات الطقسية للختان قد تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى، وذلك لما لها من خصوصيات تعود للظروف التاريخية والتنوع الثقافي والعادات والتقاليد، ومن ثمّ ماذا نعني بالختان؟ وماهي طقوسه الإحتفالية وممارساته الاجتماعية في المجتمع التبسي؟ وفي ماذا تتمثل دلالاته الرمزية؟ ووظائفه الاجتماعية؟ وأبعاده الفرجوية؟ وماهي أهم التغيرات التي مست عاداته وممارساته في ظل التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري عموماً والتبسي خصوصاً؟ هذا ما سنحاول التطرّق إليه في هذا الفصل وذلك بنقل الصورة من واقع مجتمع منطقة تبسه الذي لا يزال يحتفظ بأصالته وطابعه العشائري لاسيما في المناطق الريفية، ومحاولين إبراز أهم الممارسات الطقسية والاحتفالية عن ختان الذكور تحديداً، والعادات الدينية والاجتماعية المرافقة له، ومحاولين الكشف عن دلالاته الرمزية ووظائفه الاجتماعية وأبعاده الفرجوية المختلفة.

### أولاً: مفهوم الختان

تعتبر عملية توضيح المفاهيم من المسائل التي تُحدّد للباحث موضوع بحثه ودراسته، كما تعطي للقارئ توضيحات حول مقصود الباحث من بحثه، ولذلك قبل عرض الطقوس الإحتفالية للختان في المجتمع التبسي نعرض أهم المفاهيم لإحتفالية الختان.

## 1 - المدلول اللغوي للختان:

ورد في لسان العرب: "ختن الغلام والجارية يَخْتِنُهُمَا خَتْنَا وَأَصْلُ الْخَتْنِ: الْقَطْعُ"<sup>1</sup>، وجاء في القاموس المحيط: "أصل الختن: القطع، والإسم من الختن، والختان موضع قطع القلفة والجلدة التي تغطي الحشفة من الذكر"<sup>2</sup>، وهكذا يتفق التعريفين في أصل الختن وهو القطع.

## 2 - المدلول الاصطلاحي للختان:

أورد ابن القيم أن: "ختان الذكر هو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة"<sup>3</sup>، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني موضحاً معنى الختان: "قطع بعض مخصوص، من عضو مخصوص"<sup>4</sup>، وقال النووي: الختان: "قطع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى تنكشف جميع الحشفة"<sup>5</sup>، ويتبين من كل هذه التعريفات التقارب الكبير لمفهوم الختان بين معناه اللغوي ومعناه الاصطلاحي، فكلاهما يحمل معنى: القطع.

## 3 - المدلول الطبي للختان:

الختان عبارة عن "الاستئصال الجراحي للطبقة الجلدية التي تغطي قمة العضو الذكري"<sup>6</sup>، أي إزالة الجزء الزائد عن السطح من الأنسجة.

## 4 - المدلول الأنثروبولوجي للختان:

يعتبر الختان: "ممارسة تقليدية موروثية يمثل طقس عبور من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ"<sup>1</sup>، فالختان بهذا المعنى ممارسة تجعل المختون يُنظر إليه من طرف عائلته ومجتمعه على

<sup>1</sup> - ابن منظور الأنصاري، مرجع سابق، ج13، ص137

<sup>2</sup> - محمد مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995، ص298

<sup>3</sup> - ابن قيم الجوزية، تحفة المودود في أحكام المولود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995، ص138

<sup>4</sup> - أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 10، دار المعرفة، بيروت، ص 340

<sup>5</sup> - يحيى محي الدين النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج 10، ط3، المكتب الاسلامي، بيروت، 1991، ص 180

<sup>6</sup> - محمد لطفى صفوت وآخرون، Female Circumcision Procedure، بحث مقدم للمجلة المصرية للجمعية المصرية لأمراض النساء والتوليد، القاهرة، العدد 22، أكتوبر 1996، ص11

أنه انتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة تؤهله للرجولة وتحمل المسؤولية، فهي ذلك العبور المؤلم بين عالم الطفولة البريئة إلى عالم الرجولة، يقول أحد المبحوثين في تأكيد هذا المعنى " كإين عند بعض الناس الطفل يظل يرقد عند أمّوا وكى يطهر يعود يرقد وحدوا"<sup>2</sup> فالختان بهذا المعنى يعبر على خروج المختون من دائرة الأطفال إلى دائرة أخرى أكبر في نظر العائلة والمجتمع.

**5 - المدلول الإجرائي للختان:** هو قطع الجلدة التي تغطي قمة العضو الذكري ويمارس ذلك في جو احتفالي عائلي يسوده الفرح والابتهاج والفرحة. مليئ بالعبادات الاجتماعية والطقوس الإحتفالية.

**ثانيا: الإجراءات التحضيرية لإحتفالية الختان**

**1- الإعلان عن تاريخ الإحتفال ودعوة الضيوف:**

يعد الختان في منطقة تبسة من أهم الممارسات الإحتفالية التي لا تقل شأنًا عن الزواج واستقبال المولود، فالختان يمكن اعتباره ممارسة رمزية تهيئ الطفل لمرحلة الزواج لذلك فإن التحضير للاحتفالات يتم في وقت مبكر وبأسبوع على الأقل قبل الختان حيث يتم الإعلان عن موعد الإحتفال من طرف والد الطفل بدعوة الأقارب والجيران والأصدقاء وزملاء العمل، وذلك بالاتصال المباشر بالمدعويين أو عن طريق بعض الناس وحتى عن طريق الهاتف. ووسائل التواصل الحديثة إلى غير ذلك من وسائل التبليغ، يقول أحد المبحوثين: " في عاداتنا أب الطفل هو اللي يحدّد وقت الطهارة، ويعرض الناس، يبدأ بالأقارب والفاميليا والجيران"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد فياض، البتر التناسلي للإناث. ختان البنات، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص 132.

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 09

<sup>3</sup> - المبحوث رقم: 03.

ويقول آخر: " نبدو نعرضوا الناس قبل ياسبوع أو أسبوعين " <sup>1</sup>، ويبيّن آخر متانة العلاقة التي كانت سائدة بين الأقارب وخاصة في البوادي والأرياف والتي بدأت تتلاشى نوعاً ما "بكري كان أبو الطفل يمشي بنفسوا ويعرض الناس والآن ولاّ التليفون يكفّي " <sup>2</sup>. وهذا يؤكّد أنه في المناطق الريفية يتم التبليغ عن طريق أب الطفل كما قد ينوب عنه شيخ العشيرة أو ما يسمى (كبير الدّوار) لوجهته ومكانته في العشيرة والقبيلة، فيتم تناقل الخبر إلى كل أفراد العشيرة والأصدقاء بعد ذلك، فالحضور والمشاركة في مثل هذه الاحتفالات يعتبر واجب على الجميع، كما أن الأم تقوم من جهتها بدعوة مثيلاتها من القريبات والجيران وصديقاتها، وخاصة في المدينة والمناطق الحضرية، وهو ما أكدته إحدى المبحوثات بقولها: "حتّى أم الطفل تعرض النساء من الفاميليا ونساء الجيران " <sup>3</sup>؛ وهكذا فقد تطورت وسائل دعوة الأهل والأقارب والجيران وزملاء العمل وغيرهم من المدعوين لحضور احتفالات الختان وذلك من الاتصال المباشر إلى استعمال الهاتف الثابت والنقل ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة (الانترنت) إضافة إلى استعمال بطاقات الدعوات الخاصة والتي لها أشكال عديدة جذابة، وهو ما يعكس التطورات والتحوّلات الحاصلة في المجتمع، وفي هذا يقول أحد المبحوثين " كل شئى أطور ما عا دس الواحد يمشي لخواه كاين البورطابل يقضي كل شئى " <sup>4</sup>.

### 2- التركيب: وبداية الاحتفال

تبدأ التحضيرات الأولية بتنظيف البيوت وتزيينها وإعداد لوازم الاحتفالات من حلويات وأواني الطهي والأفرشة وتحضير كل ما يلزم لإجراء الاحتفال وإتمامه، تقول إحدى

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 02.

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 08.

<sup>3</sup> - المبحوثة رقم: 17.

<sup>4</sup> - المبحوث رقم: 04.

المبحوثات: "نرغبوا الطهور قبل ما نظهروا الصبي بيوم أو إثنين"<sup>1</sup>، وتقول أخرى: "بكري كنا نتلموا ونفرشوا لحصاير ونصبوا فيها القمح ونرغبوا الرحي ونرحوه ونغربلوه ونكسكسوه ونديروا منوا الكسرة والكسكي ونظلوا نغثوا مع بعضانا غنى الطهارة"<sup>2</sup>:

سَبَقْنَا مُحَمَّدٌ وَالشَّيْطَانُ غَابٌ..... فَرَشْنَا الحَصِيرَةَ وَغَرَبَلْنَا التُّرَابَ<sup>3</sup>

ومن الأغاني الفولكلورية المحلية المتعلقة باحتفالية الختان التي ذكرتها أحد المبحوثات:

طَهَّرْ يَا لَمْطَهَّرْ صَحَّ لَيْدِيكَ..... لَا تَوْجَعِ الغَالِي لَا نَغْضَبْ عَلَيْكَ

طَهَّرْ يَا لَمْطَهَّرْ أَسْعُوذُ أَيَامِي..... الخَيْلُ تَلْعَبُ والنَّبِي قُدَامِي

طَهَّرْ يَا لَمْطَهَّرْ طَهَّرْ بِمَقْصِ النَحَاسِ..... يَرْتَاخُ وَلَيْدِي وَيَرْجَعُ لَبَاسِ<sup>4</sup>

إذن تبدأ المراسيم الاحتفالية بصفة رسمية يوم قبل الختان أو يومين، ففي الأرياف حيث مازلت تطغى العائلة الممتدة، يتم في الغالب فرش حصيرة أمام البيت، وتُنصب ثلاث رحي حجرية متقابلة وتأتي نساء العشيرة وكل واحدة معها كمية من القمح ويتم إفراغها على الحصيرة ثم تبدأ عملية الطحن قصد تحضير ما يلزم من طعام الوليمة التي ستقام بهذه المناسبة، فلا تسمع إلا جعجعة الرحي تتخللها الزغاريد والأغاني الفولكلورية الشعبية، ويكون هذا بمثابة الإعلان الرسمي على بداية وانطلاق مراسيم الاحتفال، وتسمى هذه الخطوة في العرف المحلي بالتركيب\*، وهي ممارسة رمزية تعبر عن إعادة تركيب وبناء الكينونة الاجتماعية للعائلة والعشيرة، حيث تصبح أسرة المختون بمثابة قطب الرحي، فهي الأساس ومحور العلاقة القرابية

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 14

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم: 15

<sup>3</sup> - من الأغاني الفولكلورية المحلية في المجتمع التبسي حول الختان.

<sup>4</sup> - المبحوثة رقم 16

\*- التركيب: ويقصد به بداية التحضير الفعلي لاحتفالية الختان والذي يسبق عملية الختان بيوم او يومين اوحى ثلاثة أيام وذلك باختلاف المناطق والعائلات في المجتمع التبسي.

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

التي تعمل على تماسك وإذكاء روح التعاون بين أفرادها، فهي بذلك عودة إلى البدايات الأولى ووسيلة لبناء الذاكرة الجماعية، وبذلك يكون الحفل الطقوسي عنصراً أساسياً يعمل على إعادة إنتاج وصيانة الذاكرة ويربط المجتمع ببداية تأسيسه محافظاً بذلك على الماضي ومقاومة النسيان وكذا إحياء وتدعيم الإحساس الجماعي الذي يضمن سيرورة الجماعة واستمرارها.

أما بالنسبة لبقية النساء فينشغلن بشؤون البيت والطهي وتحضير لوازم الطعام والفظور في ذلك الصباح، وعادة ما يكون عبارة عن (الطَمِينَة أو الرَفِيس)\*.

أما اليوم وخاصة في المدينة والمناطق الحضرية فقد تلاشت الكثير من العادات التي كانت تمارس في البوادي والأرياف وهذا نتيجة التحوّلات الاقتصادية، فكل ما يلزم هذه المناسبة يُشترى من الأسواق والمحلات التجارية، وحتى الطهي في كثير من الأحيان يقوم به رجال أونساء متخصصون، ويزاولون نشاطهم هذا بمقابل مادي حيث يتم الاتفاق معهم مسبقاً.

ومن جهة أخرى "تعتبر الأم المحور الأساسي في هذا الإحتفال فهي صاحبة الأمر والنهي، فهي أمُّ السلطان الصغير كما يقال، فتكون عادة منشغلة باستقبال الضيوف من النساء الوافدات وهن يرتدين أفخر الملابس والحلي بكل حفاوة تتمظهر في الابتسامة المعبّرة عن الفرحة والبهجة وهن يزغردن ويباركن لها، كما أنها تتولى تقسيم الأعمال على النسوة مثل التنظيف وطهي الطعام وتقديم القهوة وإعداد الأفرشة وغير ذلك مما يلزم في مثل هذه المناسبات، وهذا ما تؤكّده إحدى المبحوثات بقولها: " أمّ الصبي هي كلّ شيء، تستقبل النساء

\*- (الطمينة أو الرفيس): عبارة عن أكلة شعبية تصنع من التمر والسمن والدقيق المحمص وتقدم مع الشاي أو القهوة للضيوف، كما يعطى منها للطفل المراد ختانه.

وتوقف على اللّي يطبّوا وينظّفوا ويفرّشوا"<sup>1</sup>، وتقول أخرى: " كيما أبّ الصّبي يوقف خارج الدار مع ضيافوا، أمّ الصّبي توقف في الداخل مع ضيافها من النساء"<sup>2</sup>.

ومن جهة أخرى يكون الأب والمقربين من أفراد العائلة في استقبال الضيوف من أفراد العشيرة وهم يجلبون معهم الهبات والهدايا التي تتمثل أساسا في رؤوس من الأغنام أو الماعز كل على حسب إمكانياته، وبعضهم يقدم مبلغ من المال وغيره، يقول أحد المبحوثين: " أب الصّبي يكون خارج الدار يستقبل الضيوف واللّي جاينين يباركوا ويفرحوا معاه"<sup>3</sup>.

ويقول آخر: " في عاداتنا اللّي يجي يجيب معاه الباروك باش يعاون به مول العرس، يجيب واش قدر نعجة ولاّ خروف ولاّ معزة ولاّ دراهم، كل قدير وقدروا"<sup>4</sup>، وهذا ما يسمّى في العرف المحلي ب: ( الفال أو الباروك)\* وهو شكل من أشكال التعاون والتضامن الاجتماعي.

إن هذه الهبات والهدايا تعتبر مساهمات من طرف أفراد العشيرة لها دلالات اجتماعية واقتصادية، وقد لاتأخذ شكل الإلزام غير أنّه على الموهوب أن يردها في مناسبة أخرى وبقيمة أكبر، " فهي نوع من التضحية تعمل على إرساء العلاقات على العطاء"<sup>5</sup>. وهذا ما يتضح من خلال المثل الشعبي "خير الناس عدّو ولاّ ردّو"<sup>6</sup>، فهذه الهبات مثل الذبائح التي ستقدم كطعام مع الكسكس أثناء هذه الإحتفالات من شأنها تخفيف العبء المالي على عائلة المختون، اعتبارا أن هذا الطفل هو ابن العشيرة الذي تنتظر منه الكثير

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 16.

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم: 15

<sup>3</sup> - المبحوث رقم: 11

<sup>4</sup> - المبحوث رقم: 08

\* - الفال أو الباروك: عبارة عن مبلغ مالي يهدى ويعطى للمختون تعبيرا عن الفرح والابتهاج معه، وهو شكل من أشكال التعاون والتضامن الاجتماعي.

<sup>5</sup> - مارسيل موس، علم الاجتماع الانثروبولوجي، بحث في الهدايا الملزمة، ترجمة محمد طلعت عيسى، مكتبة القاهرة الحديثة، د ت، ص: 137

<sup>6</sup> - مثل شعبي معناه: أن الذي فعل معك خيرا ومعروفا عليك أن ترده إليه وتعيده إليه، وإن لم تستطع فاذكره بخير أمام الناس.

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

مستقبلا، وبعد الاحتفال ما يبقى منها يصبح ملكا للمختون، ويسمى بـ (العزولة)\*  
ومن هنا يتضح أن التظاهرات الموضوعية لهذه الممارسات تكشف لنا بامتياز البعد  
الاجتماعي والاقتصادي وقوة الضمير الجمعي في المجتمع الريفي، غير أن التغيرات الاجتماعية  
والثقافية في الجزائر ما زالت بعيدة عن كونها أصابت المجتمعات الريفية لا سيما النائية، والتي  
مازلت متجذرة بشدة في التقاليد وهذا على عكس الأوساط الحضرية التي طالها التغيير  
الاجتماعي والثقافي<sup>1</sup>، حيث تكون مظاهر التعاون والتكافل الاجتماعي أقل كثافة مما هو  
عليه في الأرياف والبوادي، وهو ما لمسناه على مستوى - منطقة تبسة - حيث بعض هذه  
الممارسات قد اختفت، مثل استعمال الرحى الحجرية، حيث يتم شراء الكسكس جاهزا من  
السوق وكذلك بالنسبة للكثير من المواد الغذائية اللازمة للاحتفال حيث أصبح عمل النسوة  
ليس إعداد وتحضير هذه المواد وإنما طهيها وتقديم ما لذ وطاب من أنواع المأكولات  
والحلويات والأطباق.

ومن المستجدات لجوء بعض العائلات إلى كراء فريق من الطبّاحين لتولي مهمّة الطهي  
وعندها يصبح عمل النسوة يقتصر على تقديم المأكولات للنساء المدعوات والتفرغ لاستقبال  
الوافدات والجلوس معهن، فتُصبح هذه الاحتفالات فرصة لتلاقي النسوة ولبس أجمل الألبسة  
وأفخم الحلبي والمجوهرات والرقص والغناء، وفي هذا المجال يتم إستعمال الأجهزة السمعية  
والأقراص المضغوطة - الإلكترونية - وذلك لسماع أغاني الفنّانين والفنّانات، وخاصّة الفن  
القبائلي، الشاوي، الفولكلوري، الأندلسي، الرّاي، الشرقي، الغربي إلى غير ذلك من الطبوع  
المختلفة والمتنوعة.

\*- العزولة: هي رأس مال يُهدى للمختون ك مبلغ مالي أو نعيمة يعمل أهل المختون على تربيتها والاكتثار منها، لتكون مصدر رزق  
مستقبلي للمختون يخصصه لبداية حياته ويحفره على العمل والإنتاج.

<sup>1</sup> - نورالدين طوالي، مرجع سابق، ص 143.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في المدينة تكون مصاريف الاحتفال على عاتق والد أو ولي الصبي المختون، وهذا ما يثقل كاهله، مما يجعله يلجأ في الكثير من الأحيان إلى الإقتراض من أجل إتمام مختلف لوازم الاحتفال وهذا لتراجع قيمة التضامن الاجتماعي والتكافل العضوي والترابط الأسري على مستوى المدن والمناطق الحضرية، وهذا ما جعل بعض العائلات غير ميسورة الحال تلجأ إلى إغتنام بعض المناسبات الدينية مثل ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان والتي عادة ما تنظّم فيها بعض المؤسسات الخيرية وجمعيات المجتمع المدني ما يسمّى بالختان الجماعي - الجّاني - لأبناء المعوزين والفقراء وذوي الحاجة حيث تقوم أسرة المختون باحتفال بسيط ومتواضع بعيداً عن التفاخر والأُبّهة، وفي هذا المعنى يقول أحد الباحثين: " اليوم اللّي ما عندوش، يقدر يطهّر ولدوا ليلة سبع وعشرين من رمضان، لأنها ليلة كلّها بركة، وما فيهاش تكاليف مادية كبيرة"<sup>1</sup>، أما بالنسبة للعائلات الثرية والميسورة الحال فإن مناسباتها الإحتفالية تتميز بكثير من مظاهر التفاخر والسّمة والتباهي لإبراز المكانة الاجتماعية فيلجأ بعضهم إلى إستئجار سكن واسع وفسيح يتسع للعدد الكبير من المدعوين أو إجراء الإحتفالات في القاعات الخاصة المعدة للحفلات، كما تقوم بالإكثار من الذبائح وتقديم أنواع الأطعمة والمأكولات وأطباق الحلويات، والتنافس على إطلاق البارود، وإحضار فرق موسيقية عصرية وتنظيم سهرات إحتفالية غنائية يغلب عليها طابع التباهي والتفاخر، يقول أحد الباحثين: " اليوم الوقت تبدّل والعلاقات بين الناس كبرت ولازم الإنسان يكون في المستوى، نديروا الفرح في دار كبيرة ولاّ نكروا قاعة الحفلات، ونعرضوا الناس القريب والبعيد، ونذبوحوا الذبايح ونوكلوا ونعملوا اللازم"<sup>2</sup>، وفي ذلك إبراز للمكانة الاجتماعية للفرد بما يحقق الدور الاجتماعي سواء بين أفراد القبيلة أو في المجتمع، ومن الممارسات التي لمسناها بشكل كبير

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 07

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 09

في احتفاليات الختان في المجتمع التبسي وكان لها دور في توطيد العلاقات الاجتماعية بين العائلات وتعزيز أواصر المحبة بين أفراد العائلة مسألة الهدية ومكانتها الاجتماعية.

### أ - الهدية: رمز التضامن العائلي والتكافل الاجتماعي

غالباً ما ترتبط الهدايا بالمواسم والأعياد وغيرها من المناسبات فالهدية تعتبر في نظر المهدي والمهدى إليه ديناً واجب الوفاء، ولا يقتصر دورها على النواحي المادية فقط بل يمتد أثرها إلى الترابط والتواصل الاجتماعي حيث أن تكرار المناسبات ومواسم الهدايا سواء من حيث الأخذ أو العطاء يُقوّي العلاقات الأسرية والعشائرية والاجتماعية عموماً، كما أنّ صفة الإلزام التي صاحبها في العرف الاجتماعي جعلتها واجبة الأداء وتضفي عليها هالة من الإلزام والقداسة، ومن ثمّ يمكن اعتبار الهدايا شكل من أشكال التبادل بين العائلات والجماعات القرابية وإن كانت لها أبعاد اقتصادية يتم بمقتضاها انتقال المواد والخدمات بين الأفراد فهي بذلك عملية يمتزج فيها الاجتماعي بالاقتصادي، والمادي بالمعنوي، ففي المواسم والمناسبات الهامة كالزفاف والختان وغيرها من المناسبات الاجتماعية قد يلتمس الشخص المساعدة من الأقارب والأصدقاء والجيران وقد تتخذ هذه المساعدات شكل النقود أو المواد الغذائية أو رؤوس الأغنام وغيرها، حيث يتوقع المعطي في بعض المجتمعات أن تردّ إليه هذه الهدايا في مناسبة تالية عندما يحتاج إلى المساعدة ولا يستطيع القيام بالتزامات معينة بمفرده وهذا من باب المقابلة بالمثل والتعامل بالمثل.

وفي تحليل هذه الظاهرة نجد ظهور بعض المدارس التي تهتم بالتبادل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ومنها مدرسة التبادل الاجتماعي<sup>1</sup> للمفكرين: "فريدريك بارث وسيريل بيلشو"، وتركز نظرية التبادل الاجتماعي على فكرة التبادل في دراسة المجتمع فيرى "بيلشو" مثلاً أن: "كل تفاعل بين الناس يربطهم اعتماد متبادل يمكن النظر إليه على أنه

<sup>1</sup> - عبد الله غانم، علم الاجتماع الاقتصادي في دراسات المسلمين، المكتب الجامعي الحديث، 1993، ص 218

تبادل اجتماعي وأن جميع الوظائف التي تُنسب إلى العائلة من التناسل والإشباع الجنسي والتنشئة الاجتماعية وغيرها من الوظائف الهامة التي تقوم بها الأسرة لا تمنع العائلة من التفكك والتشتت، ولكن ما يحافظ عليها ويمنعها من التفكك هي حالة المبادلة التي تتم بين أفراد الأسرة، وينتج من عملية التبادل نوعين من السلع هي سلع مادية و سلع اجتماعية فالجانب المادي يشتمل على النقود والسلع، أما الجانب الاجتماعي فيشتمل على الخدمات والمراكز والتعاون والمحبة التي تربط بين الأفراد"<sup>1</sup>

ويرى الكثير من أنصار هذه النظرية التمييز بين المبادلات الاجتماعية والمبادلات الاقتصادية ويُعتبر العالم مالفينوسكي أول من أشار إلى هذا التقسيم وقد اعتبر الباحث الأنثروبولوجي مالفينوسكي أن الدوافع الاقتصادية ليست لها قيمة في مجال التبادل الاجتماعي وأوضح أن قيمة السلعة المتضمنة في مجال التبادل الاجتماعي سواء كانت أساور أو عُقود هي قيمة رمزية ومادية حين تدور هذه النظرية حول ما تمثله بين الماضي والمستقبل وليست ما تستحقه السلعة في ذاتها، ومن هنا فإن مالفينوسكي ينكر قيمة الدوافع الاقتصادية في مجال التبادل الاجتماعي، حيث يرى أن سلع التبادل الاجتماعي ذات قيمة رمزية فقط، وأن وظيفتها تتمثل في إيجاد التعاون والتساند والتضامن الاجتماعي بين الأفراد والجماعات المشتركة في عمليات التبادل الاجتماعي"<sup>2</sup>، ومن ثمّ يمكن اعتبار " التبادل والتزاور والمساعدة في وقت الحاجة عوامل تعمل على تقوية التماسك الاجتماعي بين الجماعات، فنظام التبادل يتخلل البناء الاجتماعي ويمكن بذلك اعتباره شبكة اجتماعية تشدّ أجزاء المجتمع بعضها إلى بعض وتجعلها في حالة رائعة من التعاون والتساند"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الله غانم، مرجع نفسه، ص: 219.

<sup>2</sup> - أحمد أبوزيد، البناء الاجتماعي، ج2، المكتب الجامعي الحديث، ص 24.

<sup>3</sup> - عبد الله غانم، مرجع سابق، ص: 215.

ب - مارسيل موس وتحليل نظام التبادل القائم على الهدايا:

إذا رجعنا إلى نظرية العالم " مارسيل موس " التي تسعى إلى تحليل نظام التبادل القائم على الهدايا من منظور ثقافي مميز حاول فيه دراسة الظاهرة الاجتماعية ككل، وبالرغم من أهمية الكثير من أفكار " موس " التي تتضمن تصورات وإسهاماته في علم الاجتماع الاقتصادي إلا أنه أشار أيضاً خلال تحليلاته إلى انتقادات عديدة للمداخل الفردية والنفعية في النظرية الاقتصادية؛ وتعد فكرته عن البناء الاجتماعي للهدايا أحد الأفكار الهامة حيث رفض الفكرة القائلة بأن الهدايا ببساطة مجرد رمز يدل على الكرم وأكد أن " لها ثلاث سمات رئيسية من الالتزامات وهي:

1. الالتزام بتقديم الهدايا.
2. الالتزام بتسليم الهدايا.
3. الالتزام بإعادة دفع أو تقديم الهدايا<sup>1</sup>

كما تعكس فكرة " مارسيل موس " عن الهدايا بعض التحليلات النظرية والفروض الهامة التي تقوم عليها الظاهرة الاقتصادية حيث تشير إلى الكرم ودفع الدين والمصالح والرعاية الاجتماعية والاستهلاك والتعاقد الاجتماعي، ومن ثم فإن تصوراته عن الهدايا توضح مجموعة متداخلة من النظم الاجتماعية التي لها أبعاد في دراسة البناء الاجتماعي ككل.

ومن ناحية أخرى سعى " مارسيل موس " لتحليل العلاقة المتبادلة بين تلك النظم الاجتماعية وخاصة عند تركيزه على الدور الاجتماعي والاقتصادي لنظم التبادل عن طريق

<sup>1</sup> - عبدالله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية، 2005، ص ص: 220-221

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

الهدايا وهذا ما يتمثل على سبيل المثال في تصوره لفكرة دفع الدين حيث تشير عملية إعادة دفع الهدايا إلى الدائن كنوع من الالتزام للدفع وتسليم الهدايا إلى أصحابها في المستقبل، وهذه الظاهرة ترتبط بالكثير من المظاهر والبناءات الاجتماعية المختلفة.

من هذا المنطلق لا تبدو عملية تفسير سبل وكيفية تقديم وتسليم الهدايا في المستقبل شيئاً بسيطاً واعتبارها مجرد نظام معين يدل على العلاقة بين الأفراد بقدر ما تحمل الكثير من المعاني والعلاقات الاجتماعية ودرجة القرابة علاوة على ذلك أن نظام تبادل الهدايا يعكس مرحلة تاريخية واجتماعية لتطور المجتمعات والعلاقات الاجتماعية وتختلف صور تقديم الهدايا حسب طبيعة المجتمع ونوعية العلاقة وأهدافها، وهذا ما يجعل تحليلات النظرية الاقتصادية بعيدة تماماً عن دراسة الأبعاد الاجتماعية الحقيقية للظواهر والنظم الاقتصادية مثل نظام الهدايا التي أشار إليها "مارسيل موس" في تصوراته عن الهدايا ونظام الالتزام المتعدد الجوانب في المجتمع وطبيعة القوانين العرفية والعادات والتقاليد التي ظهر فيها هذا النظام وأدى إلى تطوره في صورته الحديثة في الوقت الحاضر.

إنّ "مارسيل موس" لا ينظر إلى تبادل الهدايا على أنّها ظاهرة اقتصادية وإنما ينظر لها من زاوية أخرى، فهو يرى أن ظاهرة التبادل كما هو الحال في قبائل "الكولا" و"البوتلاتش"، وفي اللوائم والأعياد وغيرها من المناسبات "ترجع إلى مبدأ كامن في قرار العقل البشري، وهو مبدأ الأخذ والعطاء، وهذا المبدأ يمثل الأساس في علاقات التماسك بين الأفراد والجماعات"<sup>1</sup>، إن تحليلات "مارسيل موس" لنظام الهدايا توضح الأبعاد المتعددة لواقع النظم والأنشطة الاقتصادية وتطورها خلال المراحل المختلفة للمجتمعات البشرية، كما تكشف

<sup>1</sup> - يوسف بن موسى، أنثروبولوجيا الهدية وأنساق التبادل، سلسلة ملفات بحثية ضمن كتاب جماعي : تنسيق وتقديم : يونس الوكيل، تراث الاثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، مركز مؤمنون بلا حدود، 2016، ص:66 بتصرف

أيضاً عن نوعية إسهامات " موس " في علم الاجتماع الاقتصادي ومدى الاستفادة من المداخل السوسولوجية في دراسة الظواهر والمشكلات الاقتصادية كما تعكس هذه التحليلات طبيعة العلاقة بين علم الاجتماع الاقتصادي وغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى ولا سيما علم الأنثروبولوجيا .

### 3- الكسوة: الزي الرسمي للاحتفال

تُعدّ الكسوة ( لباس المختون ) من الخطوات الرمزية الأساسية التي لها دلالاتها الثقافية والاجتماعية في مثل هذه الاحتفاليات، لما لها من أهمية من حيث الشكل والمضمون؛ ففي المجتمع الريفي يذهب الأب رفقة مجموعة من الأقارب إلى سوق المدينة لاقتناء اللباس الخاص بالطفل، ويتمثل هذا اللباس\* التقليدي أساساً في "قندورة" أو "قدوارة" بيضاء وقميص أبيض و"بليغة" بيضاء، وبرنوس أحمر أو أبيض، وطربوش أحمر مرصّع بالسّمسم، وعقد يُعرف في العرف المحلي بـ "السّخاب"، إضافة إلى شراء كمية من الحناء وبعض العطور ومناديل خضراء تُستعمل لربط الحناء، كما يتم شراء قطع متنوعة من القماش لتقديمه كهدايا للنساء في نهاية الاحتفال كرد للجميل ورد للهدايا التي قدموها بدورهم للمختون، تقول الوالدة<sup>1</sup> والتي يفوق عمرها الثمانين سنة وقد اعتمدتُ عليها كإحدى المبحوثات قصد تجاوز الصعوبات التي وجدتها في اقتحام الفضاء النسوي: " بكري يخرج أب الصبي مع اعماموا أو أخوالوا للسوق في

\* - يتمثل لباس الطفل المختون في:

1- القندورة: بمعنى الجبة، وتطلق في بعض الأحيان عند الاستعمال من طرف النساء.

- القدوارة: عبارة عن جبة بيضاء واسعة يلبسها المختون حتى لا يتأثر الجرح الناتج عن عملية الختن في حالة لبسه للسروال.

- البليغة: وهي حذاء خفيف الوزن مصنوع من الجلد.

- السّخاب: وهو عقد من الخمي ويصنع من نبات طيب الرائحة يسمى القمحة والمرجان والمسك ويتم تشكيله كعقد بلون بني قائم تعبق منه أجمل الروائح الطيبة من مسك وعنبر، يوضع في عنق الطفل يوم الختان، وهومن الموروث الثقافي الذي ترخر به الجزائر في كثير من مناطقها مثل مناطق القبائل والشاوية وبني ميزاب وغيرها.

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 18، وتقصد في كلامها "بالعشوة" أي في الفترة المسائية.

المدينة ويشرولوا الكسوة، اللي هي: قدوارة بيضاء وبلغعة وبرنوس أبيض وكبوس أحمر، والحناء<sup>1</sup>، إن هذه القطع الخاصة بلباس المختون لاتزال تُستعمل في منطقة تبسة لحد اليوم، ولكن بفعل التطورات الحاصلة في المجتمع، وخاصة تلك المتعلقة بالجانب التجاري فقد أدخلت عليها بعض التحسينات التي تتطلبها عمليات التسويق التجارية، وتعلق تلك التحسينات من حيث نوع القماش والألوان الزاهية والنقوش، ليزداد اللباس جمالا وبهاء وجاذبية؛ ومن العادات الاجتماعية أن لباس المختون يُعرض في الفترة المسائية في حفل بهيج بين النسوة، إلا أنه بأقل درجة من عرض لباس العروس في احتفالية الزواج، وهذا ما أكدته إحدى النسوة المبحوثات بقولها "في العشوة يتلمّوا النساء ويجبدوا الكسوة ويشوفوها، وهوما يغنّوا ويزغرتوا"<sup>2</sup>، وتقول أخرى "في العشوة يجبدوا الكسوة، يشوفوها ويباركوا لأم الصبي"<sup>3</sup>، فهذه الالبسة أوما يسمى بـ "الكسوة" تعتبر بمثابة الزي الرسمي للإحتفال، والذي يميز الطفل المختون عن بقية الاطفال، كما أنه يُضفي على الإحتفال صبغته الرسمية ويبرز مركز الطفل ومكانته في هذه الاحتفالية؛ وهكذا يمكننا القول أن هذا اللباس التقليدي وحضور هذه الألوان كأغطية للجسد الطقوسي وما يميزه داخل الحفل الطقوسي، فيحاكي بذلك الجسد الأصلي الذي يضعنا في البدايات التي قد تتشابه فيها الكثير من المجتمعات في طقوسها الاحتفالية.

#### 4- طقس الحناء: رمز الزينة والتميز الإحتفالي

وردت كلمة الحناء في معاجم اللغة العربية للإشارة إلى: "شجر ورقه كورق الرمان، له زهر أبيض كالعناقيد يتخذ من ورقه خضاب أحمر، ونقصد بالحناء أو تحناً أي تحضّب"<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم 18

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم: 19

<sup>3</sup> - المبحوثة رقم: 20

<sup>4</sup> - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص: 251

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

ومن ثم فإن مصدر الحناء عبارة عن: "مسحوق لنبات عشبي من شجرة، تشبه في أوراقها شكل ورق نبات الزيتون إلا أنها أكثر منها طولاً، وهي من النباتات ذات الرائحة المميزة"<sup>1</sup> فهي بذلك " مادة تلوينية قديمة تعرف تاريخياً عند الفراعنة بهذا الاسم، وقد شاع استعمالها في العصر الجاهلي عند العرب، والعصر الإسلامي أيضاً، وساعد على انتشارها نشاط التجار العرب الذين كانوا يستوردونها من بلاد الهند على شكل صبغة نباتية ذات لون أحمر أو أسود"<sup>2</sup>؛ إنه في ضوء هذه التعريفات يتبين أن الحناء كما وردت في المصادر المتاحة هي شجرة لها خصائص مميزة من حيث الطول والأوراق، وتستخدم أوراقها في التخضيب والزينة، وهي تعريفات لا تختلف كثيراً من أنها من مصدر نباتي عن قول إحدى المبحوثات بقولها " البعض يجيب أوراق الحنّة ويهرّسها ويخلطها بماء الزّهر ويستعملها"<sup>3</sup>، وتقول أخرى: "في الوقت الحاضر نشروا الحنّة محضّرة وساجيّة\*، نخلطوها بماء الزّهر ونستعملها"<sup>4</sup>

تأتي إذن أهمية دراسة الحنّاء من كونها إحدى الطقوس الإحتفالية، وهذا بما تحمله من رموز ومعاني، وبما تؤدّيه من وظائف تزيينية واجتماعية وحتى نفسية تمسّ بشكل مباشر حياة الطفل المختون في احتفالية الختن أو العروسين في احتفالية الزواج، أو غير ذلك ممن يستعملها من النسوة والفتيات أو الأطفال في الإحتفاليات العائلية المختلفة، كما يرتبط استعمال الحنّاء ببعض المناسبات الدينية أو الاجتماعية الأخرى، وبذلك تكون " الحناء رفيقة النساء في كل وقت وحين، خاصة في المناسبات الاجتماعية والعائلية، وأيضاً لتزيين الجسد ونضارة الجلد،

<sup>1</sup> - المأثورات الشعبية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الاردن، عمان، ط 10، 1996، ص 105

<sup>2</sup> - كامل عمران وآخرون، الحنة ووظائفها وطقوسها الاجتماعية، دراسة أنثروبولوجية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مجلد: 33، عدد: 1، سنة 2011.

<sup>3</sup> - المبحوثة رقم: 15

\* - ساجيّة: بمعنى جاهزة للاستعمال مباشرة.

<sup>4</sup> - المبحوثة رقم: 16.

فهي صديقة المرأة التي لا تكاد تتخلى عنها، وهي الأصل الذي تعود إليه بالرغم من تقدّم وسائل الزينة والتجميل<sup>1</sup>، وهكذا يبرز حضور الحناء أكثر في المجتمع الجزائري عموماً وفي المجتمع التبسي خصوصاً في المناسبات الاجتماعية والدينية، فهي من الطقوس الإحتفالية الحاضرة دوماً، حيث لا تكاد تمر مناسبة الزواج أو الختان أو العقيقة مثلاً دون أن تكون الحناء حاضرة تزيّن أيادي وأرجل العروس وأحياناً كثيرة يد العريس أيضاً، أو أيدي المولود الجديد، أو الطفل المختون، بل وتتعدّى ذلك للحاضرين والحاضرات في هذه المناسبات الإحتفالية، وحتى في المناسبات الدينية مثل عيد الأضحى، حيث تحضر الحناء بقوة عند العائلات التبسيّة، فتلجأ العديد من النساء إلى تخضيب مقدمة رأس كبش العيد بالحناء تفاؤلاً وتبركاً به، وأيضاً في عيد الفطر يتم تخضيب أيدي النساء والفتيات والأطفال بالحناء، كما يتم رسم على أيديهن أشكالاً مميزة من الحناء باستعمال النقوش التي يشتريها معها، وبنفس الممارسات والعادات يتم في إحتفالية ليلة المولد النبوي وغيرها من هذه الإحتفاليات. إذن يعتبر طقس الحناء ذروة الإحتفال في هذا اليوم، ولكن قبل الحناء لا بد من استحمام الطفل من طرف إحدى قريباته كالعمّة أو الخالة في جوّ من البهجة تملؤه الزغاريد والأغاني الفولكلورية، وفي هذا تقول إحدى المبحوثات: " الصّبي قبل الحناء، تحمّموا خالتوا ولاّ عمثوا وهوما يغنّوا ويزغرتوا"<sup>2</sup>، وبعد استحمامه يُحمل إلى فراش تم تخصيصه له، ثم تحاط به النسوة من كل جانب وسط الأهازيج الغنائية والرقص.

ثم تأتي إحدى النسوة وهي تحمل " سينيّة" \* كبيرة تحتوي على الشمع والحناء وأخرى مملوءة بالحلويات، وتتقدم إحدى النساء من أقارب الطفل الذي سيختن ثم تقوم بتخضيب

<sup>1</sup> - نورالدين الزاهي، المقدس الإسلامي، مرجع سابق. ص 61

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم: 17

\* - السّينيّة: صحن كبير مصنوع من النحاس أو الألمنيوم يوضع به الشمع والحلويات والحناء من أجل تخضيب أيدي وأرجل الطفل.

يديه ورجليه بالحناء في جو من الفرح والابتهاج والأغاني والزغاريد كما يكون للعمبر وحرق البخور طقوس تضيفي جوا مميزا له نكهته الخاصة، تقول إحدى المبحوثات: "الطفل تحيّلوا أمّوا أو خالّتوا أو عمّتوا، تحنّي ايديه ورجليه، والتساء يغنّوا ويزغرتوا ويرقصوا"<sup>1</sup>، وهكذا تحرص الأمهات على تخضيب أيدي وأرجل أطفالهن بالحناء في حفلات الختان تبركا بهذه النبتة وطلبا للسعادة وأملا في إطالة العمر لمشاهدة أطفالهن أزواجا بعد ذلك، فالحناء لون موشم على الجسد كما يقول الخطيبي "أنها وشم مؤقت وطابعها المؤقت هذا يمنحها تميّزها عن الوشم من جهة وعن باقي الألوان من جهة أخرى"<sup>2</sup>، فالحناء لون دون هوية، لذلك تكتسب الحناء كل الألوان الطقوسية فهي تحمل اللون الأخضر كلون أصلي، وهي تميل نحو الأحمر حينما تتم معاودة نقشها على اليد، ثم تنتقل نحو الأسود حينما تتم مضاعفة المعاودة، وتنتهي إلى الأصفر حينما تبتدئ نقوشها في الذبول، إنه بفضل هذا التنوع اللوني تسمح الحناء للجسد الطقوسي بأن يرتدي جميع الألوان" كما أن الحناء هي رمز الخصوبة، فالبخور كعشب غير منتج للون، لكن بفضل رائحته يوسع دائرة الفضاء الطقوسي ويمد جسوره على المستوى الأفقي والعمودي"<sup>3</sup>، فإذا كانت للحناء مكانتها ورمزيتها في هذه الطقوس الاحتفالية فإنّ للبخور ورائحة العنبر دوره الجذّاب، وهو ما أشار إليه الباحث نورالدين الزاهي بقوله: "أما أفقيا حيثما حضرت رائحة البخور فثمّة جسد طقوسي سواء كان فاعلا أو منفعلا، حاضرا أم غائبا، وفي جميع الحالات يشكل البخور شكلا تواصليا للجسد الطقوسي مع محيطه، أما عموديا فإنّ البخور يعتر شكلا تواصليا مع الكائنات القدسية التي تشارك الجسد الطقوسي مجاله، وفي كثير من الحالات تقتسم معه ذاته"<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 19

<sup>2</sup> - نورالدين الزاهي، المقدس الإسلامي، مرجع سابق، ص 58

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص 59.

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص 60.

فطقس الحناء طقس نسوي بامتياز يمتزج فيه الشعور بالرهبة والخوف من إحساسات الطفل المختون من جهة مع الشعور بالفرح والإبتهاج من جهة أخرى، من خلال تلك الممارسات التي تمتزج فيه المشاعر والأحاسيس وتصاحبها انفعالات تتمظهر في الأغاني والزغاريد والرقص في تلك الليلة، وهكذا فإن طقس الحناء يحمل في بنيته جملة من الرموز والدلالات والوظائف الاجتماعية من أبرزها الوظيفة التزيينية فهي تظفي على من يستعملها هالة من الجمال والبهاء والجاذبية، إضافة إلى وظيفتها العلاجية لتلك التشققات التي يمكن أن تتواجد على الجلد سواء في الأيدي أو الأرجل وما تحمله من فطريات وبالتالي إخفاء بعض مظاهر الشقاء، إضافة إلى وظيفتها الاجتماعية في كونها ذات دلالة رمزية تميّز من يستعملها عن غيره من المختلفين وبالتالي تضي عليه شعورا بالمتعة وإحساسا بالانتماء، فهي إذن طقس اجتماعي يكرس قيم التواصل والتعاقد والتضامن الاجتماعي.

إن اهتمامنا بدراسة ظاهرة الحناء من وجهة النظر الأنثروبولوجية ينبع من أهمية هذا الطقس في الظاهرة الإحتفالية لما تحمله من معان وأبعاد وبما تؤديه من دلالات و وظائف من جهة وهي محاولة لربط الماضي البعيد بمعانيه وقيمه الثقافية التقليدية بهذا الحاضر القريب الذي يتعرض لرياح التغيير من كل جانب، لهذا فإن الخوض في دراسة طقس الحناء بالنسبة للطفل المختون أو بالنسبة للعروسين ليلة الزفاف أو المولود بعد الولادة أو ليلة العيد في المناسبات الدينية، كل ذلك ما هو إلا محاولة لإعادة قراءة هذه الممارسة القديمة المتجددة ومدى حضورها في عادات المجتمع التبسي في سلوكه الاجتماعي في الاعياد والمواسم والمناسبات الإحتفالية حتى يبقى حاضر هذا المجتمع مرتبط بماضيه لبناء مستقبله.

### ثالثا: الممارسات والطقوس الاحتفالية للختان

#### 1- اللباس: رمز الانتماء والهوية

في احتفالية الختان تبدأ المراسيم الاحتفالية في ساعة مبكرة من النهار، فتلبس أم الطفل حُلِيِّها وتضع زينتها الكاملة، وترتدي النسوة أفخر ما عندهن من اللباس والزينة، ثم يجلسن في حلقة حول الطفل، وتتقدم إحدى قريباته من الخالات أو العُمّات وتلبسه كسوته التي تم شراؤها خصيصا لهذا اليوم، والمتمثلة في القميص الأبيض والجبّة البيضاء، إضافة إلى البرنوس الأبيض والطربوش الأحمر المرصّع بالسّمسم حتى يكون الطفل في أجمل حال وفي أجمى صورة، فهو محور هذا الاحتفال وسلطانة، مثله مثل العريس ليلة دخلته، كما يتم وضع العقد المسمى بـ "السّخاب" في عنقه مع بعض التمام لحماية من الحسد والأرواح الشريرة - عند بعض العائلات - حسب معتقدتهم في جو تختلط فيه الفرحة والرغبة والانتظار، ثم تأتي إحداهن بمبخرة بها جمر يوضع عليها (الجاوي والفاسوخ) \* فتنتلق أبحرة الدخان المعطر بالروائح الطيبة والزكية، لتملأ الجو سطينة وطمأنينة من جهة وتطرد العين الشريرة والحسد من جهة أخرى، كما تنطلق الزغاريد والأغاني والرقص في حفل طقوسي يتمحور حول الطفل، تقول إحدى المبحوثات: " في هذا النهار نبخّروا للصبي ونعلّقولوا كتاب يحميه من العين والاذى "<sup>1</sup>، إنها بعض المعتقدات الشعبية في مجتمعاتنا الريفية خاصة إلا أنّها قد اختفت عند كثير من العائلات في مجتمع المدينة والمناطق الحضرية بحكم وسائل الإعلام وإنتشار الوعي الديني خصوصا والثقافي عموما لدى سكان المدن.

إذن يعتبر لباس الطفل في هذه المناسبة الاحتفالية بمثابة إعلان واضح عن حضوره وتميّزه عن الآخرين يمثل رمزية وعلامة لها دلالات وأبعاد اجتماعية ترمز إلى الانتماء والتميز

\* - الجاوي والفاسوخ: وهي أنواع من البخور عند الحرق تنبعث منها روائح طيبة.

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 20

والمكانة حيث يعلن البعض عن أنفسهم ومراتبهم عن طريق لباس خاص يرمز لهم ويميزهم، " بهذا اللباس وهذه الألوان تكون الصورة أسطورية تضاهي الصورة في بداية ممارسة هذا الطقس وتربطه ارتباطا وثيقا بمعانيه، فيندمج الرمز بما يرمز إليه وبذلك يكون للتمثيل الرمزي وظيفة تناسب كل صورة "1، هذه إذن أبعاد اللباس ودلالاته ووظائفه في هذه الإحتفالية.

### 2- عملية الختن: طقس الطقوس

لدى بعض عائلات الريف التبسي تضع النساء فراشا جديدا، ويوضع في وسطه غربال و" قصعة "مغطاة بقطعة قماش بيضاء، يضعن فوقها كمية من الرمل أو التراب في جو من الفرح والبهجة، وغناء النسوة وزغاريدهن تعلوا المكان.

وفي هذه الآونة يكون الأب قد أحضر الطبيب الذي سيقوم بعملية الختن، ويسمى في العرف المحلي بـ " الطَّهَّار " \*\*، أي ( الختَّان ) وهو يحمل حقيبة الأدوات اللازمة لعملية الختن وتحتوي:

- مقصين ماسكين.

- مقص حاد.

- آلة كي كهربائية للحد من النزيف.

- ضمادات وأدوية لعلاج الجرح.

- مواد مطهرة وأخرى معقمة.

1 - عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص 387

\* - القصعة: عبارة عن إناء كبير وواسع يُصنع من الخشب أو من مواد معدنية مثل النيكل وغيره.

\*\* - الطَّهَّار: ويقصد به الختَّان، وهو شخص معروف لدى أغلب أفراد المجتمع، له خبرة وتجربة كبيرة في عمليات الختن، وفي الوقت الحالي يكون الختَّان إما طبيبا، وفي بعض القرى والأرياف نجده من قدماء أعوان الشبه الطبيين وهو بذلك يستعمل التقنيات الحديثة والمعقمة التي تتماشى والطب الحديث في عمليات الختن.

وبوصول "الطَّهَّار" تُفسح النسوة المجال ويتركن البيت الذي فيه الطفل، فيدخل الأب رفقة "الطَّهَّار" وبعض الأقارب، وعلى رأسهم الجد والأخوال والأعمام، وبعد تناول القهوة وبعض الحلويات يبدأ "الطَّهَّار" في تحضير أدواته ومستلزمات الختان بأسلوب لا يجلب انتباه الطفل، ثم يوضع الطفل في حجر جدّه ويقوم عمّه أو خاله بفتح فخذه ومسكه جيدا، حيث يتم في هذه اللحظة صرف نظر الطفل إلى شيء آخر، كأن يُطلب منه أن ينظر إلى عصفور دخل من النافذة أو إلى شيء ما في أعلى السقف أو غير ذلك مما يؤدي إلى صرف نظره عن عمل الطبيب، وفي أثناء ذلك يقوم "الطَّهَّار" بقطع القلفة الجلدية بمقصه الحاد وعندها يصرخ الطفل من شدة الألم، ثم يمرر "الطَّهَّار" آله الكي الكهربائية (appareille de surcomcision) على الجرح للحد من النزيف، كما يقوم بتطهير الجرح بالمطهّرات وتضميده بالكُمادات، وسط الزغاريد وطلقات البارود والغناء وبذلك تعم مظاهر البهجة والفرح جميع أركان البيت، يقول أحد المبحوثين: "من العادة نعطوا للصبي بعد الطَّهارة كعبة تفاح ونقولولوا أضرب بيها الطَّهَّار"<sup>1</sup>، وهذا لصرف نظره وفكره من ذلك الإحساس بالألم، ومحاولة إخراجها من حالة التفكير في الذات إلى حالة من القوة النفسية والجسدية، وفي تلك الأثناء تجتمع النسوة بأمر الطفل التي تعيش لحظات تمتزج فيها الفرحة والشعور بالخوف، ويكون معها "قصعة" بها ماء تضع فيها قدمها اليمنى ولا ترفعها حتى تتم العملية، كما يوضع في فمها سوار من فضة تعض عليه وكأنها في ساعة مخاض، وفي سواعدها عدد من الأساور الفضية أو الذهبية، والنساء يحاولن إخفاء صراخ الطفل عن أمه حتى لا تتأثر بكاء إبنها، وهنّ يرُددن بإيقاع بعض الاغاني الفولكلورية المحلية حول الختان<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 11

<sup>2</sup> - أنظر الصفحة 120، فقد تمّ التّطرق إلى مطلع الأغنية في المبحث الخاص بالتركيب وبداية الإحتفال ف ص 105.

وبعد ذلك يُحمل الطفل إلى فراش أُعدّ له خصيصا، ثم يؤخذ الطربوش من على رأس الصبي وتبدأ الرجال بوضع النقود بداخله وهو ما يعرف في العرف المحلي بـ " الباروك " أي المباركة وهو شكل من أشكال المساعدة والتضامن الاجتماعي تجاه الطفل وعائلته، محاولين في نفس الوقت إضفاء الفرحة على المختون، وصرف نظره عن الألم الذي يحس به، تقول أحد المبحوثات: " بعد الطّهارة نهزّوا الصبي ونرقّدوه في فراشوا " <sup>1</sup>، ويقول مبحوث آخر: "نحو طربوش الطفل باش يحطّولوا فيه الباروك " <sup>2</sup>، وهكذا يشارك الجميع فيزداد الشعور بالانتماء للعائلة والقبيلة، ويزداد روح التضامن الاجتماعي بين أفراد العائلة والمجتمع.

ومن جهة أخرى تحمل مجموعة من النسوة القصعة المملوءة بالتراب أو الرمل وبها ذلك الجزء المتور من الطفل أي القلفة الجلدية والمغطاة بقطعة قماش أبيض في موكب مهيب مردّدين أغاني فلكلورية محلية، وذلك باتجاه مكان قد حُدّد مسبقا يتم فيه دفن الجزء المقطوع بحكم أنه عضو من أعضاء الجسم يستوجب دفنه، تقول إحدى المبحوثات: " بعد الطّهارة نهزّوا القصعة ونروحوا ندفنوا هاك الجلدّة تحت شجرة خضرة " <sup>3</sup>، هذه الجلدّة المقطوعة والمرتبطة بسيلان الدم فيجب المحافظة عليها ودفنها خوفا من الأذى الذي قد يصيب الطفل من العوالم غير المرئية من الجن وغيره - حسب المعتقدات الشعبية عند بعض العائلات - وإذا كانت المعتقدات الشعبية من أهم مواد التراث الشعبي، فإن المخيال الشعبي يعطيها طابعا خاصا، وفي ذلك يقول الباحث الجزائري عبد الحميد بورايو: " ومعرفتها تساعدنا على فهم سلوك وفلسفة الطبقة الشعبية ونظرتهم للحياة واستعدادهم لمواجهة الأحداث، فالمعتقدات الشعبية تمثل جانبا مهما من جوانب الثقافة التي يتلقاها الفرد ويمارسها داخل المجتمع " <sup>4</sup>

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 14

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 09.

<sup>3</sup> - المبحوثة رقم: 13

<sup>4</sup> - عبد الحميد بورايو، القصة الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 58

وبعد العودة من دفن تلك القطعة الجلدية، تستمر الاحتفالات وتبدأ الوفود في زيارة الطفل والاطمئنان على صحته، يقول أحد المبحوثين: "اللي يجي يطل على الصبي يعطيلوا ما يقدر عليه"<sup>1</sup>، أي ما قدر عليه من هدايا ونقود وغيرها مما يدخل الفرح والبهجة والسرور على الطفل المختون، ويقول مبحوث آخر: "يباركوا للصبي نهار كامل وحتى لغدوة، اللي يجي يباركلوا باللي كاين"<sup>2</sup> أي أنّ زيارة الطفل المختون وتقديم الهدايا قد تستمر طيلة اليوم أو أكثر، وقديما يقوم الأب باختياز بنت لأبنة لكي تكون زوجته في المستقبل من بنات العائلة كإبنة العمّة أو الحالة أو غيرها من الاقارب، وإذا حدث الاتفاق بينه وبين أهلها يوضع خيط في معصم البنت، وهذا الخيط بمثابة عهد يجب الالتزام به حتى تبقى البنت على ذمته بعد أن تكبر، فهي تعتبر (مسميّة\*)، فهو بمثابة خاتم الخطوبة في بعض المجتمعات اليوم " هذا الخيط زي خاتم الخطوبة اليوم"<sup>3</sup>، إلا أنّ هذه العادة كانت سائدة قديما في المجتمع الريفي ولكنها تلاشت اليوم بفعل الوعي والتغيرات الاجتماعية الحاصلة، ومن جانب آخر فقد كانت هذه العادة رمزا متغيرا لما كان يعرف لدى القبائل القديمة بأن المرأة ملكا للرجل ولذلك كان يضع الرجل قيدها من الحديد في يدها أو رجلها دليلا على أنّ هذه المرأة ملك له وليست سائبة، باعتبار أنه من بين أنواع الزواج لدى القبائل البدائية والذي كان يقوم على أساس اختطاف المرأة من جماعة أخرى.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 09

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 11

\* - مسميّة: أي مُسَمّاة له، وعلى ذمته، بمعنى أنّها ستكون زوجته في المستقبل، وهي من عادات بعض العشائر من أهل الريف في منطقة تبسة، وقد بدأت هذه العادة في الزوال والإندثار.

<sup>3</sup> - المبحوث رقم: 18

### 3- الوليمة: رمز التواصل العائلي والتضامن الاجتماعي

في الريف وعند منتصف نهار يوم الختان يجتمع رجال القبيلة في مجموعات متساوية لايتعدى الخمسة أو الستة أفراد لتناول الطعام، وهو عبارة عن طبق الكسكس مع قطع كبيرة من اللحم في (المثرد)\*، ويقدم معها السمن البلدي المسمى بـ (الدهان)\*\*، وبعد ذلك يقدم لهم الشاي مع بعض الحلويات والمكسرات، وتستمر الاحتفالات إلى نهاية اليوم، وفي هذا يقول أحد الباحثين: "مع نص النهار نحطّوا للناس يتغدّوا الكسكس باللحم ونقدم لهم بعد الغداء التاي والحلويات"<sup>1</sup>.

إنّ ما يميز الطقوس الإحتفالية في البوادي والأرياف هو المبالغة في الكرم وحسن الضيافة حيث يعمد وليّ الطفل المختون إلى ذبح عدد من التّعاج أو الخراف بحسب ما يكفي عدد ضيوفه، وهذا لا يقتصر على احتفالية الختان، بل يتم ذلك في جميع احتفاليات دورة الحياة من زواج واستقبال المولود وحتى في الجنائز والوفاة، فالذبح وسيلان الدم طقس أساسي في مثل هذه المناسبات المفرحة منها والحزينة، وفي هذا المعنى يقول أحد الباحثين مبرزا أهمية الأضحية في المناسبات الإحتفالية: "فالطقس يبقى بدون فعالية في غياب الأضحية، ففاعلية الطقس تكمن في الأضحية، التضحية تؤسس الظاهرة الاجتماعية، والطقس ليس له شكل بل هو لباس للتضحيات"<sup>2</sup>.

\* - المثرد: عبارة عن إناء كبير يصنع من الخشب ويسمى بالقصعة.

\*\* - الدهان: نوع من أنواع السمن البلدي يصنع بطريقة تقليدية

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 08.

<sup>2</sup> - M. Segalen, rite et rituels contemporains, ouvrages publiée sous la direction de François de Singly, ed, Nathan, paris, 1988, p:8

أما في المدينة حيث تتميز بانكماش العائلة الممتدة لتسود العائلة النووية ويغلب سيادة منطق الدولة ومؤسّساتها على منطق العشيرة والقبيلة، وتقل مظاهر التعاون والتضامن الاجتماعي، فإن أغلب المدعوين هم من الأصدقاء وزملاء العمل والجيران وبعض الأقارب، حيث تختفي بعض الطقوس والعادات وتُصبح عملية الختان تتم في المستشفيات وعلى يد أطباء وبتقنيات حديثة،

وإذا كان " هووير " و " مارسل موس " يعتبران وظيفة الذبيحة هي الدخول في تواصل مع الآلهة، فإنّ الذبيحة "الأضحية" هنا في منطقة تبسة تواصل مع الضيوف والزائرين وهي قبل ذلك في معتقد المجتمع المحلي التبسي تقربا لله تعالى حيث يذكر عليها إسم الله عند الذبح، كما أنّ إكرام الضيف من تعاليم الدين ومن عادات العرب، وهو ما يؤكده أحد المبحوثين بقوله: " الذبايح اللّي نذبحوهم نكرموا بيهم الناس اللّي يجوا، ومن عاداتنا إكرام الضيف واجب " <sup>1</sup>.

ويقول مبحوث آخر مبينا أنواع المأكولات\* : " نطّيووا الجاري والكفته والمركة الحلوة والكسكسي باللحم والموناضة والتاي" <sup>2</sup>؛ غير أن العائلات الثرية تهتم بالاحتفالات في جوّ من الأبهة والتفاخر من خلال كثرة الذبائح وعدد المدعوين للوليمة وتنوع الأطعمة والمشروبات والحلويات، فيكون ذلك فضاءا للتفاخر والدعاية ليخرج عن إطاره الأصلي ليمحور حول التنافس والبحث عن المكانة الاجتماعية المرموقة، وبالمقابل قد تختفي نهائيا هذه المظاهر في

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 02

\* - المأكولات: يقصد بكلامه: الجاري والموناضة والتاي:

- الجاري: هو نوع من الأكلات الشعبية في منطقة تبسة والشرق الجزائري عموما، ويسمى أيضا بشرية الفريك وهو طبق رئيسي في المناسبات والأعياد وفي شهر رمضان المعظم على وجه الخصوص.

- الموناضة: كلمة مشتقة من اللغة الكلمة الفرنسية ( les monades ) :ويقصد بها المشروبات الغازية.

- التاي: بمعنى الشاي.

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 11،

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

العائلات المعوزة والفقيرة مستغلة بذلك المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف أو ليلة السابع والعشرين من رمضان للقيام بختان أبناءهم ضمن مناسبات الختان الجماعي - المجتاعي - التي تشرف عليه الجمعيات الخيرية ومؤسسات المجتمع المدني.

وبالنظر للوليمة فهي ليست مجرد وجبة غذائية تحقق الحاجات البيولوجية للأفراد المدعويين، بل تتعداها إلى تحقيق أهداف أخرى من منظور أنثروبولوجي لما لها من ارتباط بهذه الأعياد والمناسبات الإحتفالية الدينية منها والاجتماعية فهي ذات مكونات وأشكال ووقت تقديم وطريقة تقديم وغيرها من السمات الثقافية المرتبطة بها والواجب الالتزام بها، وفي هذا السياق نجد المجال الاجتماعي الغذائي - حسب علماء أنثروبولوجيا التغذية - يلتقي فيه العنصر البيولوجي بالعنصر الثقافي بل يتداخلان أحيانا ويمتزجان في تفاعل من المتعة وهذا هدف في حد ذاته تحققة الوليمة الإحتفالية.

وحسب قورفيتش (Gurvitch)، فإن: "المجال الاجتماعي الغذائي يتكون من أبعاد مختلفة منها: المجال المأكول، النمط الغذائي، المجال المطبخي، مجال العادات الاستهلاكية، مجال التوقيت ومجال التمييز والاجتماع"<sup>1</sup>، وهذا يتطابق تماما مع الوجبة الإحتفالية للختان، ذلك أن هذه الأبعاد تشمل الطقوس والعادات والمعتقدات المرتبطة بالفعل الغذائي سواء ما تعلق منها بمكان تقديمها أو شكلها أو وقتها أو مضمونها الاجتماعي، كلها عناصر تتغير من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، بل ومن منطقة إلى أخرى في المجتمع الواحد وفي الثقافة الواحدة، وهكذا فالوجبات الغذائية الإحتفالية تمثل طقوسا للاستمرارية مثلها مثل الوجبات الجنائزية التي لها وظيفة إعادة الثقة، إذ أن وفاة أحد أفراد الأسرة يضعف النظام الاجتماعي ويستلزم تجديد قوة الرباط العائلي وتأكيد وحدته وبالتالي مقاومة كل تفكك أسري محتمل،

<sup>1</sup> - شهرزاد بسنوسي، مدخل إلى أنثروبولوجية التغذية، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، فرقة الطوبونيميا، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بلعباس، الجزائر، ط1، 2013، ص: 45 - 47.

فالوجبة الغذائية الجماعية من شأنها أن تذكّر بالأصول المشتركة التي يجب أن تبقى ثابتة، كما تساهم في بعث روح التضامن الاجتماعي، بل تؤسس لأنواع من القربان وتخلق أشكالاً من العلاقات الاجتماعية بين الناس.

ومنه نخلص إلى أن معظم الإحتفاليات والأعياد تقوم على التغذية الجماعية التي تخلق نوعاً من الارتباط والتماسك الاجتماعيين وتسهم في توحيد ثقافة المجتمع المحلي، وهو ما يؤسس لهوية مشتركة وإحساساً بالانتماء.

### 4 - الممارسات والطقوس المكتملة بعد الختان:

في اليوم الموالي لعملية الختان يتم الاعتناء بالطفل فتكون الأم جالسة بجانبه ولا تكاد تفارقه، وذلك من أجل الاعتناء به وخدمته وتلبية طلباته المتنوعة والكثيرة محاولة بذلك التخفيف من آلامه وصرف نظره عن لمس عضوه المختون، كما تقوم الأم بتقديم وجبات خاصة من الأكل وبعض الحلويات كما تكون في استقبال بعض النساء اللاتي يكررن الزيارة مرة أخرى للاطمئنان على صحة الولد، تقول إحدى المبحوثات: " يقعد الصبي في الفراش نهارين ولا ثلاثة وأموا تعاني فيه وتعطيه الشيء اللي يشتهيهِ"<sup>1</sup>، كما يتم خلال ذلك الاهتمام بالزائرين والضيوف حيث تقدّم لهم كل ما يلزم من حسن الوفادة والضيافة، وهكذا الحال عند العديد من العائلات التي يستمر فيها الجو الإحتفالي لعدة أيام قد يصل إلى أسبوع، يقول أحد المبحوثين: " يبقوا الناس يجوا ويباركوا بعد الطهارة عدة أيام حتى الأسبوع"<sup>2</sup>.

يستمر الاهتمام بالطفل والاعتناء بالجرح وتنظيفه وتطهيره ومداواته حتى يشفى الجرح، وخلال ذلك يظل الطفل مرتدياً لباس الختان وخاصة " القدوارة " التي تساعد كثيراً خلال سيره وتحركه لأنه يجد فيها راحته أفضل من ارتدائه للسروال، يقول أحد المبحوثين:

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 20

<sup>2</sup> - المبحوث رقم 04

" في الأيام الأولى يبقى الصبي لابس القدوارة باش ما يتجرحش"<sup>1</sup>، وبعد التماثل للشفاء التام يبدأ الطفل بالاندماج تدريجيا مع أقرانه، ويبدأ ببعض الأعمال والممارسات التي تثبت رجولته ويحاكي بها الكبار مما يُفسح له المجال ليتعد عن مجال الأنوثة ليلتحق بمجال الرجولة بحثا عن الاعتراف برجولته من طرف الآخرين لتعزيز دوره ومركزه الاجتماعي.

هذا الامتياز الذي يقفز إليه الطفل بعد اجتيازه لطقس الختان، ومن ثمة يبدأ خضوعه للمعايير الاجتماعية والأخلاقية، كارتدائه للألبسة التي تواري وتخفي عضوه المختون والذي يجب إخفاؤه باعتباره قد انتقل من مرحلة إلى أخرى حيث تفرض عليه القيم الاجتماعية الالتزام بها " بعد الطهارة وبعد ما يرتاح الصبي لازم يعود يغطي روحوا، لأنّوا ولا راجل"<sup>2</sup>، وهذه إشارة واضحة لانتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة أخرى أكثر نضجا تهيؤه للرجولة وآداء دوره الاجتماعي في نظر العائلة والمجتمع.

### رابعا: الدلالات الرمزية والوظائف الاجتماعية والمظاهر الفرجوية للختان

#### 1 - الختان ونظرية طقوس العبور (شعائر المرور)

تمثل نظرية طقوس العبور إحدى النظريات الكلاسيكية الهامة في تاريخ الفكر الأنثروبولوجي، وقد تأسست النظرية من طرف الأنثروبولوجي (أرنولد فان جنيب) Arnold Van Gennep (1873-1975) في عام 1909، وذلك في إطار دراسته الشهيرة التي حملت ذات العنوان، ولم تتم ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية إلا في عام 1960، ثم تطورت على أيدي الأنثروبولوجي الإنجليزي (فيكتور تيرنر) Victor Turner (1920 - 1983) في ستينات وسبعينات القرن الماضي من خلال دراساته المعمّقة لبعض القبائل الإفريقية؛ تدور نظرية (فان جنيب) حول أهمية الطقوس التي تصاحب - وتؤشّر في

<sup>1</sup> - المبحوث رقم 01

<sup>2</sup> - المبحوث رقم 08، يقصد بكلامه يغطي (روحوا) أي يستر عورته وعضوه الذكري.

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

ذات الوقت - لانتقال الفرد من مرحلة أو حالة اجتماعية إلى حالة اجتماعية مغايرة، ويرى (فان جنيب) أن: " انتقال الفرد من وضع إلى وضع آخر لا يتم بشكل مباشر وإنما ثمة مرحلة وسطى بين المرحلتين لا بد من اجتيازها يسميها "فان جنيب" بالمرحلة الانتقالية أو الهامشية والتي تتضمن طقوس محددة"<sup>1</sup>.

فما المقصود بمفهوم الطقوس (Rite)؟ لقد قدمنا تعريفات لمفهوم الطقس في المدخل المفاهيمي ولكن نضيف هنا تعريفاً آخر لـ (دافيز فلويد) ترجمه الدكتور حسني ابراهيم عبد العظيم أستاذ علم الاجتماع بجامعة بني سويف المصرية، يقول فيه بأن الطقوس " أداء رمزي نمطي ومتكرر لقيمة أو معتقد ثقافي، وتعمل الطقوس على تعزيز التماسك الاجتماعي من خلال موائمة نسق اعتقاد الفرد مع نسق اعتقاد الجماعة التي ينتمي إليها"<sup>2</sup>، فهي بهذا المعنى أكبر من ذلك الانتقال من وضع إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى بل تشمل تلك المعتقدات وتجلياتها الدينية والثقافية والاجتماعية التي تظهر على مستوى الأفراد وتؤدي إلى ترابط الجماعة وتماسكها.

أما مصطلح طقوس المرور فهو يشير بشكل عام إلى تلك الطقوس التي تؤشر لانتقال الفرد من مرحلة محددة في حياته، ودخوله في مرحلة أخرى، ويتوافق المصطلح في اللغة الإنجليزية بالمصطلح الفرنسي Rites de Passage، " وقد أصبح المصطلح بعد ذلك من أهم الأدوات التحليلية الهامة لدى علماء الأنثروبولوجيا البريطانية على وجه الخصوص مثل: ( أندري ريتشاردز) Andrey Richards و(ماكس جلكمان) Gluckman Max،

<sup>1</sup> - Van Gennep, A. The Rites of Passage, Translated by Vizedom, M. and Caffee G., The University of Chicago Press, Chicago, 1960, P:1

<sup>2</sup>- Davis-Floyd, R., Rites of Passage, In Darity, W., (ed.) International Encyclopaedia of the Social Sciences, 2nd edition, Macmillan Reference, USA, 2008, P: 257

و( إدموند ليتش ) Edmund Leach و ( ماري دوجلاس ) Mary Douglas و ( فيكتور تيرنر ) Victor Turner، الذي كان أكثرهم تأثراً بـ ( فان جنيب )<sup>1</sup> وإذا عُدنا إلى ( فان جنيب ) فإنه ينظر إلى طقوس المرور على أنها: " تلك الطقوس التي تصاحب كل تغيير في المكان والحالة والوضع الاجتماعي والعمر، فحياة الفرد تتشكل من مجموعة من المراحل المتعاقبة عبر بدايات و نهايات محددة، كالميلاد والبلوغ الاجتماعي والزواج والأبوة والانضمام لطبقة اجتماعية أعلى والالتحاق بتخصص مهني أرقى، وهكذا حتى الوفاة، وثمة طقوس مرتبطة بكل حدث من تلك الأحداث، يتحدد هدفها الجوهرية في تمكين الفرد من المرور ( رسمياً ) من وضع اجتماعي محدد لوضع آخر يحدده المجتمع"<sup>2</sup>، وبالتالي فإنه يعطي لها مفهوماً شاملاً للعديد من المتغيرات، ويحدّد لها ثلاث مراحل أساسية، أطلق على المرحلة الأولى مصطلح طقوس الانفصال ( Rites of Séparation ) التي تؤشّر على انفصال الفرد عن الجماعة أو المكانة التي ينتمي إليها، المرحلة الثانية سمّاها المرحلة الهامشية أو الانتقالية ( Rites Of Transition ) والتي تفرض حالة من الغموض الاجتماعي وعدم التحديد، حيث يبدأ الفرد في ترك طقوس معيّنة واستبدالها بطقوس جديدة، أما المرحلة الثالثة والأخيرة هي مرحلة الاندماج ( Rites Of Incorporation ) للجماعة أو المكانة الجديدة، حيث يبدأ من الآن فصاعداً يمارس دوره كعضو فيها"<sup>3</sup>

وتتضمن طقوس المرور بوجه عام: " دلالة رمزية على ترك الفرد لجماعته أو مكانته، حيث يعايش نوعاً من الموت الرمزي ( طقوس الانفصال ) ثم يمر عبر مرحلة يتم عزله من خلالها، وربما يؤدي أدواراً لا تُلائم عمره، أو نوعه ( المرحلة الانتقالية )، وأخيراً الالتحاق

<sup>1</sup> - عبد العظيم حسني إبراهيم، الأبعاد الاجتماعية والرمزية: تحليل سوسولوجي لظاهرة ختان الإناث، مجلة: نقد وتنوير، مجلة فكرية تروية فصلية محكمة، عدد 03، (ديسمبر/ يناير/ فبراير) 2015، ص: 60

<sup>2</sup> - Van Gennep, op-cit, P: 2-3

<sup>3</sup> - Ibid, P: 10-11

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

بجماعة جديدة وشغل مكانة اجتماعية جديدة ( مرحلة الاندماج )، وقد دُلت (فان جنيب) بأمثلة عديدة من إفريقيا وآسيا وأوروبا وأستراليا وأمريكا الشمالية<sup>1</sup> ويقرر (فان جنيب) أن المراحل الثلاثة لا تتجلى بنفس الدرجة في كافة المجالات، فطقوس الانفصال تبدو أكثر وضوحا في مراسم الجنائز، وتبدو الطقوس الهامشية أو الانتقالية في فترة الشروع في الزواج (الخطوبة) والحمل، أما طقوس الاندماج فتبدو أكثر وضوحا في حفلات الزواج، ومع ذلك فلا ينبغي النظر لكل تلك المراحل بشكل منفصل فقد تتداخل المراحل الثلاثة - واقعا - في عملية واحدة<sup>2</sup>، ومت جهة أخرى يرى (فان جنيب) أن لطقوس العبور أهمية معتبرة، إذ أنها تؤشر ثقافيا لانتقال الفرد عبر مراحل معينة، ومن ثم تساعد الفرد والجماعة معا على التوافق مع المكانة الاجتماعية الجديدة بما تتضمنه من علاقات وأفعال اجتماعية، كما أنها تُقلل من الغموض والتوتر المرتبط بتغير تلك المكانة، بالإضافة إلى أنها تمثل جسرا يربط بين الظروف الاجتماعية والظروف الفسيولوجية كما هو الحال في عمليات الميلاد والبلوغ والزواج والحمل والموت<sup>3</sup>، ويتضح مما سبق أن (فان جنيب) وضع حجر الأساس لنظرية طقوس المرور، ولفت الانتباه لأهمية تلك الطقوس في تحقيق العديد من الوظائف الاجتماعية للمجتمع، وقد قام (فيكتور تيرنر) بتطوير النظرية، فقام بإضافة أبعاد نظرية وأخرى منهجية جديدة، وتطوير بعض مقولاتها وقضاياها، الشيء الذي ساهم في إثراء النظرية وزيادة خصوبتها الفكرية.

يعتبر العالم ( فيكتور تيرنر) واحدا من أكثر الأنثروبولوجيين تأثيرا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وقد لمع اسمه كعالم إثنوغرافي متميز لمجتمعات شرق و وسط إفريقيا،

<sup>1</sup> - عبد العظيم حسني إبراهيم، مرجع سابق، ص: 61

<sup>2</sup> - Van Gennep, op-cit, P: 11

<sup>3</sup> - Davis-Floyd, , op-cit, P: 256-257

وأضحى منظرًا بارزًا في قضايا البناء الاجتماعي والطقوس والرموز والأداء ويتجلى ذلك في العدد الكبير من مؤلفاته، "فمن خلال ما يزيد عن اثني عشر كتابًا، وعددا من المقالات التي حررها، أو شارك في تحريرها ركّز على موضوعات متنوعة تتضمن الدراما الاجتماعية، الحقل الاجتماعي، البنية الرمزية للفعل الاجتماعي، المرحلة الانتقالية في طقوس العبور، ومصطلح البنية ضد البنية (Anti-Structure) الذي قام بصياغته"<sup>1</sup>، وقد جاءت إسهامات (تيرنر) في تطوير هذه النظرية من خلال: "كتابه الشهيرين: (غابة الرموز) The Forest of Symbols الذي صدر في عام 1967، و كتاب (عملية الطقوس) The Ritual Process الذي صدر في عام 1969"<sup>2</sup>.

إذن تميزت إسهامات (تيرنر) في تطوير النظرية من خلال توسيعه وتفصيله للمرحلة الوسطى من طقوس المرور لدى (فان جنيب) والتي تسمى بالمرحلة الانتقالية، وهي مرحلة تتسم بأنها مرحلة بينية ويشار لها أحيانا بأنها تشبه (البرزخ) والموت الرمزي أو إعادة الميلاد الرمزي"<sup>3</sup>، ويؤكد (تيرنر) أن طقوس المرور توجد في كل المجتمعات الإنسانية، غير أن أبرز تجلياتها توجد في المجتمعات الصغيرة المستقرة نسبيًا، التي يرتبط التغيير فيها بالأبعاد العضوية والطبيعية أكثر من الاختراعات التكنولوجية، وتمثل تلك الطقوس إنتقالًا بين الحالات، ويقصد بالحالة ذلك الوضع الثابت والمستقر نسبيًا، ويتضمن مفهوم الحالة بعض الثوابت الاجتماعية مثل المكانة القانونية، المهنة، المنصب، المكانة، كما أنها تؤثر لحالة الفرد حسب ما يحددها السياق الثقافي، مثلما نتكلم عن الحالة الزوجية أو العمرية للفرد، ويمكن تطبيق مفهوم الحالة كذلك على الظروف الإيكولوجية للمجتمع، وأيضًا على الحالة الفيزيائية والعقلية

<sup>1</sup> - عبد العظيم حسني إبراهيم، مرجع سابق، ص: 62

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص: 63

<sup>3</sup> - Shipton, P, Victor Turner, In Darity, W., (ed.) International Encyclopedia of the Social Sciences, 2nd edition, Macmillan Reference, USA., 2008, P: 470

والعاطفية التي يعيش فيها الفرد أو الجماعة في وقت محدد، فالشخص قد يكون في حالة صحية جيدة أو سيئة والمجتمع قد يكون في حالة من السلم أو الحرب، الوفرة أو الندرة، فالحالة في جوهرها مفهوم أكثر عمقا وشمولا - من الناحية الثقافية - من المفاهيم الأخرى المشابهة كالمكانة أو المنصب<sup>1</sup>، وهكذا أصبح مدلول طقوس المرور وتطبيقاتها أكثر شمولا مما أشار إليه (فان جنيب)، حيث كانت تطبيقاتها تخص مناسبات دورة الحياة فتوسع ذلك لتشمل حالات الفرد المهنية والتعليمية والاجتماعية بل تعدى ذلك إلى حالة المجتمع بين الحرب والسلم وبين التنمية والتخلف وغيرها، وقد قام (تيرنر) بتطبيق نظريته عن طقوس المرور - خاصة في مرحلتها الوسطى - على طقوس ختان الذكور لدى قبائل (الندمبو) في زامبيا، فهو يرى أن طقوس ختان الذكور تمثل نموذجا مثاليا لطقوس العبور، حيث يتم عزل الأطفال في مكان محدد، وتجري تلك الطقوس، وبعدها يولد الأطفال من جديد كرجال بعد الموت الرمزي لطفولتهم، فالشخص غير المختتن يظل طفلا ويأكل وحيدا أو مع النساء ولا يستطيع مشاركة الرجال المختتنين وجباتهم، وقد رصد (تيرنر) العديد من البنى الرمزية الأخرى المرتبطة بالختان<sup>2</sup>، ونخلص في نهاية هذا العرض أن ختان الأطفال يمثل واحدا من طقوس العبور المهمة في المجتمع التبسي، حيث تؤشر لانتقال الولد من مرحلة الطفولة والبراءة إلى مرحلة الاستعداد للنضج والرشد ومن ثم الانتقال من مجتمع الصبيان والدخول في المجتمع الرجالي الناضج.

<sup>1</sup> - عبد العظيم حسني إبراهيم، مرجع سابق، ص: 63

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص: 64

## 2 - نظرية طُقوس العبور وطُقوس الختان في المجتمع التبسي:

إذا قمنا باستدعاء نظرية (فان جنيب ) و( فيكتور تيرنر) من أجل تحليل طقوس الختان في المجتمع التبسي فإننا نلمس التوافق الكبير بين الكثير من عناصرها مع تلك الطقوس والممارسات الاحتفالية التي رصدناها على أرض الواقع، ومن ذلك:

### أ - مرحلة الانفصال عن عالم الطفولة والبراءة:

تمثل مرحلة ما قبل الختان مرحلة الطفولة والبراءة حيث يمارس الولد حياته الطبيعية وسط أقرانه من الأولاد وحتى البنات، ولا يُنظر إليه نظرة الكبار، يقول أحد الباحثين: " الولد قبل الطَّهارة مازال صغير يلعب مع لبنات من سنّوا، وما كان حتى مشكل<sup>1</sup>، ولذلك لا يخضع الطفل في هذه المرحلة لأيّ صورة من صور العزل خاصة مع البنات من أقرانه.

### ب - المرحلة الانتقالية والبيئية ( مرحلة طقوس الختان ):

يمكن النظر إلى الطقوس الممارسة خلال احتفالية الختان على أنها تمثل المرحلة البيئية أو مرحلة العتبة بتعبير (فيكتور تيرنر) فالطفل في هذه المرحلة لم يغادر تماما مرحلة الطفولة من جهة، كما أنه لم يلج بعد مرحلة النضج الرجالي، وبالتالي تمثل طقوس الختان بوابة المرور بين المرحلتين، هذه الطقوس التي تستمد استمراريتها من بعدها الديني من جهة وبعدها الاجتماعي بما تمثله من قيم ثقافية واجتماعية من جهة أخرى، وقد تم التطرق إلى مختلف هذه الطقوس سواء تلك التي تسبق عملية الختن أو التي تتم أثناءها أو بعدها، وهي كلها ذات طابع احتفالي تؤشر لمعاني التميز والفخر والرجولة والخصوبة والمحافظة على البنية الذكورية للعائلة، فتلك هي أهم وأبرز تجليات الظاهرة الاحتفالية للختان.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 06.

### ج - مرحلة الاندماج في المجتمع الرجالي الراشد:

بعد إجراء عملية الختان يبدأ الطفل في التماثل للشفاء وبذلك يبدأ التهيئ والاستعداد للدخول شيئاً فشيئاً إلى المجتمع الرجالي الراشد، حيث يطلب منه ستر عورته وعدم لمس ذكره واللعب به، وعدم اللعب مع البنات، وتدريبه على قضاء بعض الحاجات مما تتطلبه الشؤون الحياتية للعائلة باعتباره رجل البيت، وغير ذلك مما يُشكل البنية الاجتماعية للعائلة، وهكذا نخلص إلى كون عملية الختان تمثل واحدة من طقوس المرور المهمة في المجتمع، وبالتالي فهي ذات حمولة رمزية فائقة تؤثر لقيم ثقافية واجتماعية أكبر من مجرد عملية طبية مخصوصة.

### 3 - الدلالات الرمزية والوظائف الاجتماعية لإحتفالية الختان:

تتميّز الطقوس الإحتفالية للختان بالعديد من الدلالات والوظائف والأبعاد، خاصة في مجتمعاتنا المحلية التي تتميز بالطابع العشائري من جهة والتمسك بكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية والممارسات الدينية، فالختان في المجتمع التبسي له بعد ديني واضح منبثق من تعاليم الدين الإسلامي، ومن ثم فالمعتقد الديني له أهميته في ترسيخ الظاهرة، كما أن للخطاب الديني دوره في استمراريتها من خلال ترسيخ الوعي لدى الأفراد والجماعات والعائلات بصفة عامة بالمشروعية الدينية للختان.

إذا كان للختان بُعد ديني يستند في تطبيقاته على النصوص الدينية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، فله أبعاد أخرى ثقافية واجتماعية وطبية يستند إليها وتمثل جانبا مهما في تمثلات الأفراد حول هذه الظاهرة، ومن ثم فالختان ليس مجرد إجراء طبي مخصوص، وإنما هو ظاهرة احتفالية اجتماعية وثقافية ودينية معقدة تتضمن العديد من القيم والمضامين الرمزية، وهو ما سنحاول الإشارة إليه في هذا المجال.

إنّ الختان ظاهرة اجتماعية ثقافية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ عند الكثير من الشعوب، "فالثقافة ما هي إلا مجموعة من النظم الرمزية، في المستوى الأول منه تقع اللغة،

وقوانين الزواج والختان والعلاقات الاقتصادية والفن والدين، وكل هذه الأنظمة الرمزية تستهدف التعبير عن بعض مظاهر الواقع الاجتماعي والثقافي (...). ومادام الإنسان قد خرج من العالم المادي الصرف فإنه يعيش في عالم رمزي، وما اللغة والأسطورة والفن والدين إلا خيوطا متنوعة تحاكي الشبكة الرمزية<sup>1</sup>، فمن خلال استنطاقنا للواقع ومحاولة قراءة الرموز قصد استنباط المعاني والدلالات، ومن خلال البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع المحلي الذي يغلب عليه الطابع العشائري والهيمنة الذكورية بامتياز، فان تماثلهم للممارسات الذكورية تبرز من خلال الموروث الشعبي والتقاليد والفلكلور الذي يتجلى من خلال الممارسات اليومية والأدوار الرئيسية في تأطير المجتمع، فالذكور في مثل هذه المجتمعات هم ذخر العشيرة وسلاحهم الذي يجب إعداده للذود عن كيانهم وشرفهم المتمثل أساسا في عنصرين رئيسيين هما العرض والأرض، حيث كان الصراع قديما بين العشائر يتمحور حول أسر النساء والسطو على الأراضي، ومن ثمة فإن القبائل تفتخر بعدد ذكورها، ولذا فهي تبدأ في إعدادهم مبكرا لتحمل المسؤوليات، والختان هو إحدى هذه الممارسات التي يهتم بها المجتمع العشائري، فعملية قطع القلفة يمثل كشف مبكر عن الرجولة لأطفال القبيلة، وإعلان اكتمال ذكورتهم وإعدادهم لتحمل المسؤوليات الجديدة التي تساهم في بناء العشيرة وحمايتها من كل خطر يهدق بها من أجل إستمراريتها وقوتها، وهذا الكشف هو قطع الصلة بالأنوثة، والتي يدفع ثمنها الطفل بهذه الممارسة الدموية المؤلمة، كما أنها تُعدّهم لمرحلة أكثر أهمية، وهي مرحلة الزواج حيث لا يتم الاعتراف برجولتهم رسميا إلا بعد الزواج، وهذا ما يتضح من خلال اختيار فتاة من العشيرة للمختون لتبقى على ذمته لتكون زوجة المستقبل، وهنا تتضح العلاقة بين الختان والزواج.

<sup>1</sup> - معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية الرمزية، مجلد 2، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط 1، 1988، ص 627.

ومن جهة أخرى وبالعودة إلى حالة الأم في هذا الحفل الطقوسي وهي تترقب ختان إبنها، حيث تنتظر ذلك في جوٍّ يمتزج فيه الفرح مع الخوف، الفرح بالإفصاح عن رجولة إبنها، والخوف من عواقب هذه الممارسة الدموية الأليمة على إبنها، هذه الصورة التي تنقلها لنا الأغنية المحلية (طَهْر يا لمطَهْر) التي أشرنا إليها في موضع سابق من هذا الفصل، والتي تعنيها النسوة على لسان الأم وكأنها تترجى " الطهَّار " ألا يؤلم إبنها، وفي الأخير تتمنى أن يعود لها إبنها بخير، فهي تعيش لحظات بين الخوف والرجاء وبين الفرح والألم، لأنها تعلم أنها جاءت اللحظة التي ينفصل فيها إبنها عنها ليلتحق بعالم الرجولة، وهذه إشارة رمزية لقطع علاقة الطفل بدائرة الأم الضيقة، ووصله بدائرة الأب الأوسع نطاقاً، فالأطفال قبل الختان يرتبطون بأمهاتهم أكثر من إرتباطهم بالآباء، ومن هنا يطرح خيار الختان لانتزاع الأبناء الذكور وإحقاقهم بآبائهم، كما أن الطفل بعد الختان يوصف بأنه أصبح رجلاً، وهذا ربما يخفي بعض التصورات الكامنة عن الختان في المجتمعات القبلية فيتركز الختان لدى هذه المجتمعات على تصوّر ازدواجية الخلق، فالفرد وكأنه يولد مزدوج الجنس، وتكمن روح الأنوثة لدى الذكر في القلفة، ووفقاً لهذه المعتقدات الشعبية يعتبر الختان تطهيراً للرجل من روح الأنوثة والتي تسمى " طهارة "، و بانتزاع القلفة تكتمل معالم الرجولة لدى الذكر، ومن ثم يندفع بحكم استقلالته إلى البحث عن تآلفه المفقود بالسعي إلى الزواج من امرأة، وبالتالي يصبح الختان شرطاً أساسياً للزواج.

ففي المجتمعات الأبوسية التي تمتاز بهيمنة الذكور على الإناث، فإن الختان يلعب دوراً أساسياً في تحديد الهوية الجنسية، " فالرجولة مرتبة اجتماعية ينبغي بناؤها دوماً والحفاظ عليها، فهي امتياز يسمح بالهيمنة على النساء، فالجنس الاجتماعي ينبنى على الجنس البيولوجي"<sup>1</sup>، بمعنى أن الاختلاف " البيو - جنسي " يتحول إلى علاقة تراتبية وسيطرة لصالح الرجال،

<sup>1</sup> - معن زيادة، مرجع نفسه، ص: 629.

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

وهو التحول الذي يتم بفضل تنشئة اجتماعية تجعل من الذكورة تفوقا اجتماعيا على الأنوثة كما أن الهوية الجنسية (ذكورة/أنوثة) ليست معطيات بيولوجية محضة، بل هي اجتماعية تبنى في إطار العلاقات الاجتماعية، وهنا يكون دور الوالدين حاسما في تطور الهوية الجنسية عند الطفل بفضل الحركات ونبرة الصوت واختيار الألعاب والملابس، فيتعلم الطفل إنتسابه النوعي قبل أن ينظر إلى عضوه الجنسي وقبل أن يكتشف اختلافه البيولوجي، ومن هنا كان طقس الختان في نظر الأنثروبولوجيون طقوس مرور وعبور، ففي الكثير من المجتمعات يشكل الختان لحظة بنيوية في مسلسل التفرقة بين الطفل الذكر والأم، وبين الذكورة والأنوثة.

إن الختان "فعل يحزّر الحشفة (gland) من "حجاب" القلفة (prépuce)، إنه تعرية لرأس الذكر، أي تخليص الطفل من الجلد (القلفة) التي تغطي رأس ذكره وتحجب فحولته"<sup>1</sup>، ومن هنا تشكل مرحلة ما بعد الختان ولادة رمزية جديدة، أي ولادة دون القلفة الأنثوية، وهكذا ترمز لحظة الختان إلى الانتقال من هوية بيولوجية إلى هوية جنسية ونوعية، وهكذا يتمحور الختان كطقس عبور من الطفولة إلى الرجولة حول ثلاث محطات رئيسية:

- التفرقة بين الطفل والأم بمعنى إبعاده عن حضنها.
- تحديد هويته الجنسية والنوعية.
- خضوع الطفل إلى امتحانات عسيرة يتحمل فيها الألم والمسؤولية.

<sup>1</sup> - معن زيادة، مرجع نفسه، ص: 630.

#### 4 - المظاهر الفرجوية للطقوس الاحتفالية للختان:

##### أ- مفهوم الفرجة:

- ورد في لسان العرب أن الفرجة: "مشتقة من الفعل "فرج"، والفرجة بفتح الفاء تعني الراحة من الحزن أو المرض، ولذلك يقال: ما لهذا الغمّ من فرجة، وفرّج الله عنك غمّك"<sup>1</sup>، أما في القاموس المحيط: " فرج الله الغم أي فرجه وكشفه "<sup>2</sup>، وكلا المعنيين متقارب ويكتمّل كل منهما الآخر.
- أما عند الغرب فإن كلمة فرجة" تنحدر كلمة Spectacle، أي من الفعل اللاتيني Spectar، بمعنى نظر وشاهد، أي أنها مرتبطة بما هو مرئي"<sup>3</sup>.
- ويتضح من التعريفين أن المفهوم العربي للفرجة يتركز على زوال الهم والغم وكشف الانفراج، بينما المفهوم الغربي للفرجة يتركز على المشاهدة والنظر، ولذلك يمكن أن نجتمع بين المعنيين فهي من جهة تنفيس عن الهموم وتفريج لكل المكبوتات، ومن جهة أخرى فهي عنصر للمشاهدة وشدّ انتباه المشاهدين وجعلهم ينغمسون في العرض المقدم ويتفاعلون معه.
- أما المعنى الإصطلاحي للفرجة فهو يمثل " نمط فني يعرض لما يكون من استقراء في موروث الأمة والحضارات المختلفة"<sup>4</sup>، وقد تطلق الفرجة على "كل ماهو غريب، فكل غريب مثير للفرجة لأنه يجذب المتلقّي ويستوقفه ويشغله عما عداه ولو لحظة ومدة قصيرة"<sup>5</sup>، فهي بذلك يمكن اعتبارها نوع من أنواع الخروج بالمتلقي من حالة

<sup>1</sup> - ابن منظور الأنصاري، مرجع سابق، ج4، ص:23.

<sup>2</sup> - محمد مجد الدين الفيروزبادي، مرجع سابق، ج1، ص: 239

<sup>3</sup> - ماري الياس وحنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997، ص: 32

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص: 36

<sup>5</sup> - أحمد خضرة، تناغم ثنائية الفرجة والتراث في المسرح الشعبي: شايب عاشوراء نموذجاً، مجلة العلامة، تصدر عن مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب بكلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، العدد 2، 2016، ص: 217.

إلى حالة أخرى أسمى وأرقى عبر عناصر التعبير الدرامي بالصورة المرئية أو السمعية، ومن هذا المنطلق " يكون للفرجة أشكال عديدة كانت في الماضي تندرج ضمن أشكال التعبير الجماعي ثم تحولت الى عدة تسميات منها الكرنفال، المهرجان، الطقوس والممارسات المنبثقة عن التقاليد والعادات الاجتماعية، ويبقى فضاء المسرح وما يتضمنه من عروض أهم الأشكال الفرجية الحديثة"<sup>1</sup>، ومن ثم فإن للفرجة مظاهر وأشكال متعددة حسب مصدر، وإن كانت تحقق نفس الغرض وهو المتعة والمشاركة والترويح عن النفس.

### ب - فضاء الحفل بين الريف والمدينة: مسرح كبير للفرجة والمتعة.

نقصد بفضاء الحفل ذلك المجال الذي يتم فيه الاحتفال بكل أشكاله الطقوسية والفرجية والمسرحية، إذ يتحول هذا الفضاء مباشرة من مجال عمومي إلى مجال ثقافي أثناء الحفل، فقد يُطلق البعض تسمية الفضاء الثقافي على الفضاءات الحضرية من قاعات المسرح ودور الثقافة وقاعات الحفلات.. وكلها إنجازات حديثة لا وجود لها في البوادي والأرياف، كما أن الفضاء الثقافي يتداخل ويتشابك أحيانا مع الفضاء العام وذلك بحسب ما يؤديه من مهام ووظائف، فالتمثيل والغناء يحول الفضاء العام إلى فضاء ثقافي، كما أن ممارسة الشعائر والصلوات يحوله إلى فضاء ديني، وممارسة الرياضة وغيرها يحوله إلى فضاء رياضي وهكذا يتم النظر إلى هذه الفضاءات: "على أنها فضاءات أولية للروح الجماعية، هذه الأماكن المؤسسة للثقافة مثل الساحة العامة، المسرح، أماكن العبادة(.. ..) تتجلى فيها الرابطة الاجتماعية في كل عنقها ويتم عرضها في كل دلالتها وكثافتها، إن مجمل هذه الفضاءات المتاحة في تنظيم

<sup>1</sup> - أحمد خضرة، مرجع نفسه، ص: 218.

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

اجتماعي ما، هي التي تشكل في نهاية المطاف الفضاء الاجتماعي للثقافة التي ينتجها الأفراد ويتداولونها ضمن الأطر العامة التي يتيحها ذلك النظام"<sup>1</sup>.

وهكذا تتحول الساحة الواسعة المتواجدة بين بيوت التجمع السكني في الريف التبسي إلى فضاء ثقافي يصطف على جنباته المتفرجون من الرجال والأطفال، أما أولئك الذين لم يسعفهم الحظ بالحضور نهارا لأسباب العمل وغيرها فيحضرون للسهر والسمر ليلا، بل يحضر بعض الأقارب ممن يسكن في المدينة فلا يفوتون فرصة الحضور إلى مثل هذه الاحتفالات التي يعتبرونها من المناسبات التي يجب حضورها، يقول أحد المبحوثين ممن إلتقينا بهم " هاذي مناسبات نجوها من لمدينة باش نستمتعوا ونحيوا عادات جدودنا"<sup>2</sup>، أما في وسط هذا الفضاء فيجتمع بعض الرجال والشباب ممن يحسنون الأغاني الشعبية والفولكلورية التي تتغنى بالأفراح والأعراس والمناسبات ليقدموا أغانيهم الواحدة تلو الأخرى في جوّ كله فرح وبهجة وفرجة، وتتكون فرقة الغناء\* من ثلاثة إلى خمسة أفراد يتوزعون على الغناء، وضرب (البندير)، ونفخ (القصبة)، كما ينقسم الغناء المقدم إلى نوعين، فردي وجماعي يسمى (الرحيية)\*\*، ويتمثل في أن يقوم مجموعة من الرجال قد يصل عددهم إلى سبعة أفراد

<sup>1</sup> - حميد بوحبيب، مدخل إلى الأدب الشعبي مقارنة أنثروبولوجية، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص: 7

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 11.

\* - من الوسائل التي تستعملها الفرقة:

- البندير: نوع من أنواع الدف، دائري الشكل، كبير الحجم، مصنوع من جلد الماعز.

- القصبة: يقصد بها الناي.

\*\* - الرحيية: نوع من الغناء الجماعي حيث يصطف الرجال ويمسكون بأيدي بعضهم البعض ويكون الغناء مصحوب بضرب الأرجل على الأرض.

وقد يزيد أو ينقص قليلا حسب عدد من لا يزال حافظا لمثل هذه الأغاني الجماعية، حيث يصطف الرجال ويمسكون في أيدي بعضهم البعض، اليد اليمنى للفرد الاول تمسك باليد اليسرى للفرد المجاور له، وهكذا، ثم يقومون بالغناء المصحوب بالرقص بالأرجل بطريقة فيها من الفرجة والمتعة ما يثير الإعجاب والابتهاج، ومما يزيد الفرجة أكثر عندما يصاحب ذلك طلقات البارود وزغاريد النسوة من داخل البيوت.

أما في المدينة فإن فضاء الاحتفال عبارة عن الساحة المقابلة للعمارات عند البعض، وذلك عندما تكون عائلة الطفل تسكن في العمارة، حيث يضعون مجموعة من الكراسي الفردية أو الطويلة الجماعية ويلتف حولها الضيوف وأبناء الجيران وغيرهم من المارة الذين سمعوا أصوات الغناء فأتروا الحضور والفرجة، حيث يتم الاستماع لبعض الفنانين الشباب سواء من أبناء المنطقة أو من خارجها، وعند بعض العائلات يتم استعمال الساحة التي تكون أمام بيته فتصبح في تلك الليلة فضاء للغناء والسمر، كما قد يكون فضاء الحفل عند بعض ميسوري الحال عبارة عن قاعات الحفلات التي يتم كراؤها خصيصا لهذه المناسبة وعندها توجه دعوات خاصة لحضور مأدبة العشاء من جهة وحضور هذه الاحتفالية من جهة أخرى، حيث يتم الاستماع لبعض الفنانين سواء من أبناء المنطقة أو من خارجها ممن يتم الإتفاق معهم مسبقا مقابل ثمن معلوم، وهنا نجد التشابه الكبير بين احتفالية الختان واحتفاليات الزواج إلا أن هذه الأخيرة أكثر زخما وأكثر إستقطابا للحضور من المتفرجين والفضوليين من الشباب والأطفال.

وهكذا تتقاطع الطقوس الإحتفالية للختان بالظاهرة الفرجوية، وهي الحقيقة التي أكدها الباحث غوفمان (Goffmane) بقوله: "الطقس عبارة عن مسرح أولي يصنع مشهد حياة يومية مملوءة بتمثلات اجتماعية معينة"<sup>1</sup>، فالممارسات الاجتماعية في الحياة اليومية هي أفعال مسرحية، فالحياة مسرح كبير، إذ تحتوي على كل شروط المسرح من فضاء وعروض

<sup>1</sup> - الصديق ثقة، مرجع سابق، ص: 303

ومشاهد، وهي بذلك تشبه أفعال الفرد في هذه الحياة اليومية، فهي أفعال تمثيلية، ومن خلالها يحاول إبراز ذاته للجماعة، فهاته الأفعال ليس لها معنى ما لم يكن لها صدى جمعي، أي لها انطباع من طرف الآخرين وهو المجتمع المتلقي، ومن هنا نرى تداخل المجتمع في المسرح والمسرح في المجتمع وهو ما يقصده (غوفمان) باجتماعية المسرح أو مسرح الحياة الاجتماعية، لما يحويه هذا الفضاء لحظة الحفل من فاعلين ( ممثلين، محتفلين وجمهور) بلباسهم وأزيائهم الرسمية، من كافة الشرائح الاجتماعية، ولما لهذا الاجتماع الاحتفالي من أبعاد ودلالات و وظائف.

### ج - الاحتفال مسرح كبير يصنع الفرجة:

إذا كانت الحياة الاجتماعية هي أفعال مسرحية - استنادا إلى ما سبق - وأن المسرح موجود في المجتمع فإنه أشد ما يكون عليه في الطقس، أي أثناء لحظة الاحتفال، فالكل يقوم بدوره بحماسة وتفاعل، وحينئذ يحدث ما يسميه (أميل دور كايم) " الوسط الجياش " وبذلك يحقق المجتمع وجوده الجمعي عندما يمثل درامة انسجامه الخرافي، أو عندما يمثل سيناريو عمله <sup>1</sup>، فعن طريق الحفل تعبر الجماعة أو العائلة عن ما يختلج بداخلها سواء في ثباتها أو ديناميكيتها بتمثيل مسرحي تجتمع فيه الأدوار الاجتماعية الهامة ويحقق هدفه الاحتفالي.

وإذا كان الاحتفال أصل المسرح، في مقارنة (غوفمان) و(ديفينيو) في دراساتهم للظواهر الاجتماعية من وجهة نظر مسرحية انطلاقا من المجتمعات الغربية وتحديدًا من المسرح الغربي، فإن هذا الطرح أشد ما يكون عليه لدى المجتمعات الشرقية ومنها المجتمعات العربية، وهذا ما أكده باحثون عرب على رأسهم (عبد الكريم برشيد)<sup>2</sup> و(حسن يوسف) في مقارباتهم

<sup>1</sup> - جون دوفينو، سوسولوجيا المسرح، دراسة على الظلال الجمعية، تر: حافظ الجمالي، منشورات وزارة الثقافة والآثار القومي، سوريا، دمشق، 1965، ص: 16

<sup>2</sup> - حسن يوسف، المسرح والأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص: 85

## الفصل الثالث: الختان: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

للاحتفاليات والطقوس العربية وأشكالها الفرجوية مثل طقس عاشوراء، خيال الظل، طقوس الزار وفن الراوي والحلقة... وغيرها من الأشكال الاحتفالية والفرجوية في المجتمعات العربية إذ يتمثل فيها المسرح نابع من صلب ثقافتنا العربية، ويميز عبد الكريم برشيد الأسس التي يقوم عليها المسرح وعلاقتها بالانثروبولوجيا في جملة من العناصر من أهمها:

✓ " المسرح احتفالي قبل كل شيء

✓ الاحتفال بالأساس هو لقاء

✓ اللقاء هو خروج الذات من عزلتها لتشكّل الجماعة والمجتمع

✓ وجود الجماعة يفرض وجود حوار للتواصل والتفاهم

✓ لغة الحوار الاحتفالي هي لغة أكبر من لغة اللفظ، إنها لغة الجسد

ككل<sup>1</sup>، ومن ثمّ هناك علاقة وطيدة بين المسرح والأنثروبولوجيا إهتم

بها المختصون في ما يسمى بالأنثروبولوجيا المسرحية، والتي تهتم

بـ" دراسة الإنسان في وضعية تمثيلية"<sup>2</sup> على غرار أنثروبولوجيا الفن،

وأنثروبولوجيا الموسيقى وغيرها من الموضوعات الحديثة التي ترتبط

بالأعياد والمناسبات الاحتفالية وتشكّل من الموضوعات الأنثروبولوجية

الجديرة بالدراسة والاهتمام.

وهكذا فالختان طقس عبور بامتياز لما له من عادات وتقاليد ذات دلالات رمزية ووظائف

اجتماعية وأشكال فرجوية وأبعاد دينية واقتصادية تجعله من الآليات التي يحافظ بها المجتمع

على تجديد هويته وتعزيز أواصر الانتماء والتماسك العائلي والتضامن الاجتماعي بين أفرادهِ.

<sup>1</sup> - حسن يوسف، مرجع نفسه، ص: 186.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص: 125

### خلاصة الفصل:

إن الختان أو ما يسمى في العرف المحلي في منطقة تبسة " بالطهور " يُعتبر نموذجاً للعديد من مظاهر السلوك الاجتماعي الذي لا يزال يحتفظ بالبنية التقليدية في معالم الحياة الاجتماعية في أوساطه الريفية والحضرية، حيث يتداخل فيها المقدس بالأسطوري ويختلط فيها الموروث الثقافي بالبعد الديني، مما يضيف على عاداته وتقاليده تنوعاً كبيراً انتقلت حلقاته عبر الأجيال رغم ما يعيشه المجتمع من تغيرات اقتصادية واجتماعية أملت متطلبات العصر، غير أن سرعة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها المجتمع أدت إلى ظهور أنماط جديدة من السلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد المرتبطة بالطقوس الإحتفالية عموماً بطقوس الختان خصوصاً لا تتوافق بالضرورة مع ما استقرت عليه عادات الناس وتقاليدهم في مراحل سابقة، ذلك أنه في سياق سعي المجتمع لتجديد ذاته، والمحافظة على بنيته أنتج جملة جديدة من العادات والتقاليد التي من شأنها أن تساعد على التأقلم والتكيف مع الأوضاع الجديدة وسط التحولات السريعة والتغيرات الواسعة التي يشهدها، وهذا ما لمسناه من خلال تتبع مختلف الطقوس والممارسات الإحتفالية للختان في المجتمع التبسي، كما أن لهذه الطقوس وظائفها الدينية والاجتماعية، ودلالاتها الرمزية وأبعادها الدينية والثقافية وحتى الإقتصادية التي تعمل على تعزيز الانتماء العائلي وتقوية روح التضامن الاجتماعي وتدعيم الصلات القرابية بما يحقق تامين العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع عموماً، إضافة إلى تلك الأشكال الفرجوية التي لا تخلوا منها هذه الإحتفاليات العائلية من خلال الغناء التقليدي المحلي الذي رصدناه على مستوى إحتفاليات الأرياف والبوادي أو تلك الفرق الغنائية الشبانية على مستوى المدن والمناطق الحضرية التي تضيف على الحفل تلك المتعة وذلك التفاعل بما يقوي الشعور بالانتماء ويزيد من عوامل الإعتزاز والتمسك بهذه العادات والتقاليد وبالتالي المحافظة على تراث الآباء والأجداد، والمساهمة في بناء الشخصية الفردية والهوية الاجتماعية.

# الفصل الرابع

## الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية الطقوس والممارسات

تمهيد الفصل

- أولاً: المولد النبوي: موسم المواسم
  - ثانياً: عيد الفطر: بين الشعائر الدينية والعادات الاجتماعية
  - ثالثاً: عيد الأضحى: الأضحية والسلوك الاستهلاكي
  - رابعاً: عاشوراء: بين الطابع الإحتفالي والديني
  - خامساً: إحتفاليات رأس السنة الهجرية
  - سادساً: إحتفاليات رأس السنة الميلادية
- خلاصة الفصل

## الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

### تمهيد الفصل:

لا تخلو أي ديانة، سواء كانت سماوية أو غير سماوية، من أعياد ومواسم ومناسبات دينية يتم إحيائها في مواعيد سنوية محددة، ولعل الإسلام أكثر الديانات زخماً بهذه الأعياد والمناسبات التي يحتفل بها المجتمع الجزائري، هذه الأعياد والمناسبات تستمد وجودها وشرعيتها من المعتقدات الدينية وتتجلى مظاهرها وممارساتها في عدة مستويات وأبعاد يتداخل فيها الديني بالاجتماعي والمقدس بالديني؛ فما هي الأعياد والمناسبات الدينية؟ وما هي أنواعها؟ وفي ماذا تمثل طقوسها الإحتفالية وشعائرها الدينية في المجتمع التبسي؟ وما هي دلالاتها الرمزية وأبعادها الاجتماعية ومظاهر التغير الحاصلة فيها؟

إن الإحتفاليات الدينية في المجتمع التبسي كثيرة وعديدة، من أهمها: إحتفالية عيد الفطر الذي يسمى في العرف المحلي بـ " العيد الصغير " ثم عيد الأضحى الذي يسمى بـ " العيد الكبير "، هذه المناسبة التي يمثل تقدم الأضحى من أهم شعائرها ومميزاتها، وذلك تقرباً إلى الله تعالى واقتداءً بخليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما نجد من المناسبات التي تستدعي التذكّر والتفكّر مناسبة عاشوراء وذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وغيرها من المناسبات والأعياد الدينية التي سنحاول الوقوف على بعض معانيها الاجتماعية وأبعادها الدينية في ظل مقاربة أنثروبولوجية تُحاول من خلالها كشف دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية ومظاهر التغير الحاصلة فيها؛ إن هذه الإحتفالات والمناسبات الدينية في صورتها العامة تمثل محطات دينية من جهة وتقليداً رسمياً وشعبياً من جهة أخرى؛ تتجلى فيها مظاهر الفرح والابتهاج، كما أنها تمثل فرصاً عظيمة لتوديع الهموم والأحزان، والترويح عن النفس

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

المجهدة من مشاق الحياة، وهي مناسبات اجتماعية تُساهم في تقوية معاني التراحم والتواصل العائلي وتمتين أشكال التعاون والتضامن الاجتماعي المادى والمعنوى، بما يزيد من تماسك المجتمع وتقوية بنيانه وتعزيز العلاقات الاجتماعية بين أفرادهِ.

### أولاً: إحتفالية المولد النبوي ... موسم المواسم

يتم الاحتفال بالمولد النبوي<sup>1</sup> في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام، ويُعتبر من أكثر الإحتفاليات الدينية التي لازمها الاستمرار في المجتمع الجزائري عموماً وفي المجتمع التبسي خصوصاً، ويرجع هذا الاستمرار في جانب منه إلى طبيعة المناسبة الإحتفالية نفسها باعتبارها ترتبط بمولد سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

لقد تميزت المظاهر الإحتفالية التي تُقام بهذه المناسبة منذ بداياتها إلى اليوم بأبعاد مختلفة دينية، اجتماعية، ثقافية، اقتصادية وحتى ترفيهية، وذلك على مستويين رسمي وشعبي، أما المستوى الرسمي فتمثله الإحتفالات التي تُقيمها مؤسسات الدولة المختلفة المركزية منها والمحلية، أما المستوى الشعبي فيظهر على مستوى الأفراد والعائلات في المجتمع لما يولونه من أهمية في إحياء هذه المناسبة باعتبارها تتعلق بذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وخاتم النبيين، ومما تجدر الإشارة إليه أننا سنُخصّص فصلاً كاملاً لدراسة هذه الإحتفالية دراسة مفصلة كنموذج عن الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية في الفصل القادم.

<sup>1</sup> - ذكر العلماء - كما سيأتي بيانه - أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع في حياته إلى الإحتفال بيوم مولده، ولم يوص به بعد مماته، وإنما هو تقليد إسلامي يعتبره بعض الفقهاء غير جائز، ويعتبره آخرون بدعة حسنة، بينما يراه عموم المسلمين عيداً دينياً لا يختلف في شيء عن باقي الأعياد الدينية الأخرى، ولا شك أن لهذا الاعتبار دلالة أنثروبولوجية عميقة تتجاوز الإطار الديني الإسلامي لهذه الإحتفالية، وهذا ما سنبينه في الفصل المخصص لدراسة هذه الإحتفالية.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

ثانيا: مناسبة رجب وشعبان: أيام للصدقة والصيام.

تختلف الاحتفالات بمناسبة حلول أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه عن تلك التي تتم في المناسبات الدينية الأخرى كعيد الفطر أو عيد الأضحى أو رأس السنة الهجرية، حيث يتميز الاحتفال بمناسبة رجب وشعبان بالصيام عملا بالسنة النبوية التي تحث وترغب في صيام هذه الأيام، حيث يحرص الصائمون في هذه المناسبة على الإفطار بأطباق دسمة تحتوي على أنواع من الأطعمة حيث يبدأ الإفطار بالتمر والحليب أو الزلابية\* ثم القيام لصلاة المغرب وبعدها يتم تناول شربة الفريك كطبق أول عند أغلب العائلات التبسية ثم يتم تناول الطبق الثاني الذي يختلف من عائلة إلى أخرى، كما يتم تناول بعض الفواكه والمشروبات الغازية والعصائر والحلويات خاصة التقليدية منها حسب الحالة الاجتماعية لكل عائلة وهو ما وقفنا عليه عند العديد من المبحوثين<sup>1</sup>، ومن جهة أخرى يكثر الناس في هذه الأيام من الصدقات وفعل الخير والمعروف رغبة في الحصول على الأجر والثواب من جهة والاستعداد لاستقبال شهر رمضان.

ثالثا: شهر رمضان وليلة القدر بين العبادة وتلاوة القرآن

يعد شهر رمضان من أعظم الشهور قدسية عند المسلمين ويبدو ذلك واضحا من خلال الاستعداد الروحي والمادي لاستقبال هذا الشهر، ولذلك فهو من أهم المواسم الدينية التي تشهد نشاطا كبيرا في كل بيت من بيوت المجتمع الجزائري عموما والمجتمع التبسي خصوصا لما يتضمنه من شعائر تعبدية مثل: قراءة القرآن، الذكر، الدعاء، التصدق على الفقراء والمساكين واليتامى، إفطار الصائمين، الإكثار من نوافل الصلوات وخاصة صلاة التراويح وقيام الليل والتهجد، وغيرها من الأعمال الصالحة وفعل الخير عموما، كما تُحظى

\*- الزلابية: نوع من الحلويات التقليدية ذات الأشكال المختلفة والمذاق الحلو، حيث بعد طهيها تغمس في عسل السكر.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم 03.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

الأيام العشر الأولى منه بأهميّة كبرى من حيث الإقبال على الطاعات من جهة وتنوّع الأطعمة المقدمة باعتباره مناسبة لا تتكرر إلاّ مرة واحدة في السنّة، كما يحظى اليوم الأول منه باهتمام كبير خاصة لمن له أولاد في بداية صيامهم، حيث تعدّ لهم وجبة شهية من كل ما لذّ وطاب ترغيباً لهم على صيامهم وتقديراً لهم على جهدهم وصبرهم طوال اليوم، ومن خصوصيات هذا الشهر بالنسبة للعائلة الممتدة حيث يجتمع شمل الآباء وأبنائهم المتزوجين وأحفادهم حول مائدة الإفطار التي تحتوي على ألوان مختلفة من الأطباق والمأكولات والفواكه والمشروبات والعصائر والحلويات التقليدية التي تعد خصيصاً لهذا الشهر. ومما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة ذلك الحماس الديني الكبير للناس خلال هذا الشهر إذ يلتزم الكثير منهم على المداومة على ممارسة الصلوات اليومية والالتزام بأدائها في أوقاتها المحددة وذلك جماعة في المساجد، وخاصة أولئك الذين لم يسبق لهم القيام بها من قبل أو كانوا منقطعين عنها، إذ يزداد الإقبال على الصلاة في المساجد وخاصة في صلاة التراويح حيث يلاحظ إمتلاء المساجد عن آخرها بل يظطر الكثير من المصلين للصلاة في فناءات المساجد الخارجية، ومما يميّز هذه المناسبة بذل الناس قُصارى جهودهم لتوفير قدر إضافي من المال لمواجهة التكاليف المادية ومُتطلبات هذا الشهر، إذ تحرص جميع الأسر والعائلات بمختلف مستوياتها المعيشية على أن تكون موائد إفطارها مليئة بالأطباق وأجود المأكولات وأنواع المشروبات والفواكه والحلويات والمكسرات، ومما يلاحظ في هذا الشهر أن بعض كبار السن وممن لديهم بعض الأعذار من مرض أو سفر وغيرها لا يلجأون إلى رخصة الإفطار والأكل في نهار رمضان، بل نجدهم يجبّدون الصيام وتحمل المشقة والجهد رغم تلك الرخصة الشرعية التي تسمح لهم بالإفطار وتعفيهم من الصيام، وهذا لما لهذا الشهر من قدسية لدى هؤلاء الناس ومدى تمسّكهم بتعاليم دينهم.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

إنه على الرغم من ذلك الحماس الديني الفيّاض تجاه الإقبال على ممارسة الطاعات والإكثار من العبادات فإن فترات الصوم عند البعض لا تخلوا من التوتّرات النفسية خاصة في بعض أماكن التجمّعات كالأسواق حيث يفقد بعض الناس أعصابهم لأتفه الأسباب وتتعالى الأصوات بين المتخاصمين بل يتعدى ذلك في بعض الأحيان إلى الشجار والضرب المتبادل ممّا يستدعي من العقلاء التدخّل لتهديئة النفوس وتذكير المتخاصمين بقُدسية هذا الشهر وحرمة اقتفاف هذه الأفعال التي قد تذهب بأجر الصيام وثوابه.

من جهة أخرى تُعتبر ليلة القدر وهي ليلة السابع والعشرين من أعظم ليالي شهر رمضان، إذ تتميز بذرورة القدسية والصفاء الروحي لما فيها من أفضال وبركات، وفي هذا المعنى يقول الباحث والمفكر المغربي عبدالغني مندوب: "إذ تُوصف كوقت مقدّس مُتميز تُقرّر فيه جميع الأقدار وتكون فيه أبواب السماء مفتوحة أمام دعوات السائلين"<sup>1</sup>، حيث يكون فرح الناس بليلة القدر متميزاً، يختم فيه المصلين تلاوة القرآن الكريم في صلاة التراويح، كما تُنظم فيها مسابقات لحفظ القرآن الكريم، كما يتم فيها إلقاء الدروس والمحاضرات حول فضائلها وفضائل شهر رمضان، كما يبدأ فيها توقيت إخراج زكاة الفطر، أما في البيوت فتتميز هذه الليلة بإعداد أطباق تقليدية متنوعة تختلف من عائلة إلى أخرى مثل طبق الكسكس بلحم الخروف أو الدجاج ومنهم من يقدم طبق الشخشوخة بلحم الدجاج وآخرين يقدمون طبق التليتلي بلحم الدجاج ومنهم من يقدم طبق الريشته بلحم الدجاج، كما يحرص الناس على إخراج الطعام للفقراء والمحتاجين، كما يلجأ بعضهم إلى إرسال الطعام إلى دار العجزة والمسنين وبعضهم الآخر يرسل الطعام إلى المصلين في المساجد، كما تنظم بعض الجمعيات الخيرية بعض الأنشطة كختان أبناء الفقراء والمساكين وكسوة اليتامى والمعوزين، إلى غير ذلك من أفعال الخير والإحسان التي يتسابق إليها الناس في هذه المناسبة الدينية.

<sup>1</sup> - عبدالغني مندوب، مرجع سابق، ص: 139

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

### رابعا: عيد الفطر: بين الشعائر الدينية والعادات الإجتماعية

يأتي عيد الفطر الذي يُسمى في العرف المحلي "بالعيد الصغير" بعد شهر رمضان، ويحل معه الفرح والإبتهاج والاحتفال بنهاية شهر حافل بالطاعات والخيرات، ويحتفل سكان منطقة تبسة بالعيد الصغير، حيث تتمزج فيه الشعائر الدينية بفسفاء العادات والتقاليد، حيث ما إن يدرك شهر رمضان أسبوعه الأخير، حتى تشرع ربّات البيوت في إعداد أصناف الحلويات التقليدية لتقديمها للضيوف والزوّار في أيام العيد، كما تقوم العائلات بتنظيف البيوت وتزيينها لتصنع ديكور منزلي جميل من شأنه أن يدخل البهجة والسكينة إحتفاء بهذه المناسبة.

يأخذ عيد الفطر مداه الراسخ في عادات وتقاليد المجتمع التبسي من بُعد الدين كعيد إسلامي له قدسيته ومكانته، ومن العادات الاجتماعية التي لا تزال متوارثة، كما يعتبر وضع الحنّاء على أيدي الأولاد والفتيات والنساء وحتى بعض الشباب من الممارسات والطقوس الإحتفالية في هذه المناسبة الدينية، فتقوم الجدة أو الأم ليلة العيد بجمع بناتها وأبنائها وأحفادها على صحن "الحنّاء" لتخضيب أيديهم وفق أشكال ونقوش مختلفة تضفي عليهم زيادة في الجمال والبهاء، تقول أحد المبحوثات " من عاداتنا نديروا الحنة ليلة العيد"<sup>1</sup>، فهي عادة ترمز إلى الفرح والبهجة، "ويختلف شكل النقوش ومكانها من البنت الصغيرة إلى الكبيرة ومن الفتاة البكر إلى المتزوجة والعجوز، فلكل منها الشكل والمكان المناسبين للتخضيب"<sup>2</sup>.

ويبدأ الإحتفال بعيد الفطر ب"صلاة العيد"، حيث يذهب أفراد العائلة كبيرها وصغيرها إلى المساجد من طريق، وبعد الانتهاء من الصلاة يهتفون بعضهم البعض وسط جوّ من الفرح العارمة بين جميع الناس، ثم يعودون إلى البيوت من طريق آخر إقتداءً بوصايا الرسول

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 16

<sup>2</sup> - عبد المومن السيد وعلا عبد المنعم الزيات، رموز الحنّاء بين التقليدية والمعاصرة، دراسة اثنوغرافية بإحدى المدن الليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، عدد 19، جزء 2، يوليو 2008.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

صلى الله عليه وسلم في مثل هذه المناسبات، فيلبس الأطفال لباسهم الجديد وكلهم فرح وابتهاج، ثم تأتي وجبة الإفطار العائلية حيث يجتمع جميع أفراد العائلة على مائدة القهوة والحليب وما لَدَّ وطاب من أنواع الحلويات التقليدية، وبعدها يبدأ التزاور وتبادل الحلوى والمأكولات الشهية بين الأهل والأقارب والجيران سواء ممن يقطن في نفس الحي أو المدينة أو التنقل من حي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، ومما يميز هذه المناسبة أنه في صبيحة يوم العيد يقوم الناس بزيارة المقابر للترحم على الموتى والدعاء لهم والتصدق عليهم، بينما في الفترة المسائية والأيام الأخرى تكون الفرصة للزيارات العائلية وخاصة ممن يقطن في المناطق البعيدة، كما تتميز أيام العيد بخروج الأطفال أمام منازلهم وفي السّاحات القريبة من بيوتهم بألعابهم المختلفة وهم يرتدون أجمل الألبسة في جوّ من الفرح والابتهاج.

لقد كانت مناسبة العيد ولا تزال مناسبة لتوثيق أواصر المحبة والتواصل بين العائلات وتقوية الروابط الاجتماعية وفكّ النزاعات وإقامة الصلح بين المتخاصمين، ممّا جعل مناسبة العيد تتحوّل لدى مختلف فئات المجتمع إلى تظاهرة استثنائية ينتظرها الكبير والصغير، وهكذا تتجلى الكثير من معاني العيد الروحية منها والاجتماعية والإنسانية، ففي العيد تتقارب القلوب على الود، ويجتمع الناس بعد افتراق، ويتصافون بعد كدر، وفي العيد يتم التذكير بحق الضعفاء حتى تشمل الفرحة بالعيد كل بيت، وتعم النعمة كل عائلة وأسرة، وهذا هو الهدف من تشريع "صدقة الفطر" في عيد الفطر.

إنّ العيد بهذا المعنى هو شعيرة دينية وحاجة نفسية واجتماعية لا تقتصر على مجتمع بعينه، فالحاجة إلى العيد تنبع من حاجة الإنسان إلى الاجتماع والمؤانسة، حيث يزداد فرح الإنسان وسعادته عندما يشاركه فيهما غيره من الناس، فالشعور بالفرح هو شعور تفاعلي، يزداد قوة كلما شعر الإنسان به مع غيره، فتكون السعادة في أعظم تجلياتها عندما تجتمع مشاعر المودة والتراحم بين الناس مع تلك المشاعر الدينية والاجتماعية .

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

كما تعرف سوق الألعاب عشية العيد نشاطا كبيرا وإقبالا متزايدا من طرف الأطفال وأولياءهم، حيث تغطي فرحة الأطفال على كل شيء، وبالنسبة إلى الأولياء الراغبين في إهداء لعب لأطفالهم تصير المأمورية صعبة نظرا إلى تنوع المنتجات المتوفرة في المحلات المتخصصة أو لدى الباعة المتجولين الذين يكثر انتشارهم في مثل هذه المناسبات، ومما يميز هذه المناسبة حرص الجميع على الاحتفال بالعيد ومحاولة إرضاء الأطفال مهما كانت الظروف المادية صعبة، فقد يلجأ البعض من ذوي الدخل الضعيف إلى الإقتراض من أجل شراء لباس جديد لابنائهم أو شراء بضعة كيلوغرامات من اللحم رغم تكلفتها العالية، المهم الشّعار واحد: لا بدّ من معايشة أجواء العيد وإن كانت مكلفة، حتى وإن لزم الأمر اقتراض بعض المال لتمر المناسبة على خير.

من جهة أخرى، فإنّ تزامن مصاريف الدخول المدرسي وشهر رمضان وكذا مناسبة العيد، كما هو الحال في السنوات الأخيرة شكّل حرجا كبيرا للكثير من العائلات مما جعلهم يقفون حائرين بين إدخال الفرحة على قلوب أبنائهم من جهة والتكلفة المادية الكبيرة التي تتطلبها مثل هذه المناسبات المتزامنة، مما يجعل البعض يستنجد بالاقتراض لشراء ملابس الأطفال، رغم ما ينجر عن هذه الخطوة من أعباء إضافية تثقل كواهلهم، وفي هذا المعنى يقول أحد المبحوثين: "رمضان والعيد والدخول المدرسي يكلف كثير وربّي يقدرنا عليهم"<sup>1</sup>، وهكذا يجلب العيد الفرحة والابتهاج عند الأطفال وتؤرق الديون والمصاريف كاهل الآباء والأولياء، ولكن في جوّ من الرضى والقبول والشعور بالحب والمودة.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 11

خامسا: الحج إلى البقاع المقدسة: أيام للمناسك والشعائر

في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة من كل عام تهفو قلوب المسلمين وتتجه أنظارهم نحو بيت الله الحرام، يحدوها الشوق ويدفعها الأمل فيما عند الله سبحانه وتعالى، مستجيبين لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام عندما أمره الله بقوله تعالى: "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"<sup>1</sup>، ويتطلب أداء هذه الشعيرة الدينية العديد من التحضيرات، حيث قبيل حلول موعد السفر إلى الديار المقدسة تقتضي العادة السائدة في المجتمع التبسي أن يُقيم الحاج أو الحاجة - باعتبار ما سيصبح - وليمة يستغلها لطلب المسامحة والتغافر، كما يتم فيها توديع أهله وأقاربه وأصدقائه وجيرانه، وتُقدّم في هذه الولاية أطباق من الأطعمة والمأكولات والشاي والحلويات التقليدية لمجموع الحاضرين الذين جاءوا لتوديعه مردّدين عليه عبارات تحمل تمنياتهم له بالحج المبرور والسعي المشكور والذنب المغفور والعودة السليمة الميمونة، وفي يوم السفر يلبس الشخص المقبل على أداء مناسك الحج أو العمرة ملابس بيضاء ويخرج من بيته وسط أهازيج تصدع بالتكبير والتسبيح والتهليل ويرافقه في موكب من السيارات بعض أهل بيته وحشد من المودعين حتى مدارج المطار حيث يغادر أرض الوطن باتجاه البقاع المقدسة، وعند الانتهاء من أداء هذه المناسك وعودة الحاج إلى بلده يجد في استقباله على مدارج المطار موكب من المستقبليين من الأبناء والإخوة والأهل والأقارب، وهم متلهّفون لقدمه، فيتم استقباله بالأحضان والتقبيل والعناق لعلهم ينالون من بركاته وبركات البيت المقدس الذي كان يطوف به، وفي هذا المعنى يقول الباحث الاثروبولوجي المغربي عبدالغني منديب مبرزا دلالات إستقبال الحاج واحتضانه بقوة وعناقه بجرارة "هذا الجسد الحامل لهذه الإشعاعات القدسية ولبركة المكان الذي مكث فيه أيّاما

<sup>1</sup> - سورة الحج، الآية: 27

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

وليال عدّة<sup>1</sup>، ويزداد هذا الاستقبال كثافة عند وصول الموكب إلى مسكن الحاج حيث يتزاحم الرجال والنساء وحتى الأطفال لتقبيل أيدي أو رأس الحاج (أو الحاجة) والتمسّح بجسده الذي "رفعت عنه زيارته لقبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - طابع العادي والمألوف وجعلته يُشعّ بالنور والبركة"<sup>2</sup>، ومما يلاحظ خلال هذا الطقس - طقس الاستقبال - ذلك التداخل في حدود الفصل والميز بين الجنسين إذ يقترب الرجال والنساء من الحاج أو الحاجة دون الالتزام بالاعتبارات العادية التي تضبط نمط التحيّة حسب الجنس والوضع الاعتباري للمحيّين والمحيّيات، فالجميع يسعى لأن يكون أول المحيين وملامسة أيدي الحاج وتقبيل رأسه لعله يناله جزء من البركة، كما يُخصّص للحاج في منطقة تبسة بيتا خاصا يُهيئ لإستقبال المهنيين والضيوف تتوسطه مائدة كبيرة عليها التمر والحليب والقهوة والشاي وأصناف من الحلويات التقليدية، حيث يتبادل الحاج مع زائريه أطراف الحديث، يتم خلاله الاستماع للحاج وهو يصف كيفية أداء المناسك سواء في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة أثناء زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد النبوي الشريف، كما يتم الحديث عن أحوال المسلمين وحال الحجاج من مختلف البلدان، ومما تجدر الإشارة إليه أن الحاج خلال جلساته يُقدّم لضيوفه جُرعات من ماء زمزم، كما يقدم لبعض زوّاره أكياس صغيرة من البخور، أعود الآراك\*، مسابح للذكر والإستغفار، زجاجات صغيرة من المسك والطيب، ألبسة وغيرها من الهدايا حسب درجة قرابة وصدّاقة الزائر المهني ووضعه الاجتماعي، ومما يميز هذه المناسبة الدينية إضافة لقب الحاج أو الحاجة لكل من أدّى هذه المناسك وهذا من شأنه أن يزيده وجاهة ومكانة رمزية واجتماعية.

<sup>1</sup> - عبد الغني مندوب، مرجع سابق، ص 142

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 143

\* - عود الآراك: نوع من أعود السواك يجلبها الحجاج معهم من مكة المكرمة والمدينة المنورة، تسعمل للسواك كمطهرة للفم.

سادسا: عيد الأضحى وطقوس الأضحية: بين البعد الديني والسلوك الاستهلاكي  
يحتل عيد الأضحى الذي يسمى في العرف المحلي بـ "العيد الكبير" مكانة كبيرة في المجتمع التبسي، فتوقيته يوم العاشر من ذي الحجة آخر أشهر السنة الهجرية وأكثرها قداسة، إذ يتم خلاله الحج إلى بيت الله الحرام، ويُقام خلاله يوم النحر، تُذبح فيه الأضاحي قربة إلى الله تعالى واقتداء بسنة سيدنا ابراهيم عليه السلام، يؤدّيها المسلمون في جميع أنحاء المعمورة، وهنا تستحضر هذه التضحية الدموية عند المسلمين قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام التي ترمز إلى ضمان استمرارية الأمة الإسلامية، فني الله إبراهيم هو الجدّ الأول الذي أنقذ الجماعة بالتضحية ورخص لها بالاستمرارية في الوجود<sup>1</sup>، ولذلك يحرص معظم الآباء وأرباب العائلات من المسلمين على القيام بهذه الشعيرة التي تعتبر واحدة من أهم الشعائر الدينية عند المسلمين، حيث يمتزج فيها البعد الروحي والديني بالديني والاجتماعي، الشيء الذي يجعل دراستها من الموضوعات الأنثروبولوجية<sup>2</sup> بامتياز لما لها من دلالات وأبعاد تتجلى فيها الصلة الوثيقة بين الوسط الطبيعي والإنسان ومختلف أشكال التصورات والطقوس التي تميز حياته.

<sup>1</sup> - عبدالله حمودي، الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، تر: عبدالمجيد جحفة، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2010، ص 97

<sup>2</sup> - للإطلاع أكثر على مختلف الأبعاد الأنثروبولوجية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية لشعيرة الأضحية يمكن الإطلاع على كتاب الضحية وأقنعتها، بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، للأنثروبولوجي المغربي عبد الله حمودي، وهو بحث أنثروبولوجي في طقوس ومفاهيم الذبيحة بالمغرب، يجل المؤلف في هذا الكتاب من منظور أنثروبولوجي ما يرافق عيد الأضحى من طقوس واحتفالات تضرب بجذورها في أعماق التاريخ البشري، ويقسم هذه الجذور مع شعوب أخرى مبرزا مختلف أبعادها ودلالاتها، كما يمكن الإطلاع على الدراسة التي قام بها الأنثروبولوجي الفرنسي مارسيل موس وزميله هنري هوير تحت عنوان "مقالة في طبيعة الأضحية ووظيفتها" "Essai sur la nature et la fonction du sacrificielle" وهي دراسة أنجزت في حوالي 90 صفحة نشرت بالمجلة الشهيرة "حوليات علم الاجتماع سنة 1897.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

إنَّ أجواء الاحتفال بعيد الأضحى في المجتمع التبسي، أجواء مفعمة بالفرحة الغامرة والروحانية الصافية، والعائلية الدافئة، فالعائلة التبسيّة لاتزال تحافظ على الكثير من الطقوس الاحتفالية والعادات والتقاليد النابعة من تراثها الشعبي وموروثها الثقافي ومن تعاليم دينها الحنيف في الاحتفال بهذه المناسبة الدينية الكبيرة التي تميزها أجواء السعادة والفرحة والترابط الأسري، وصلة الأرحام والعناية بالفقراء والمحتاجين بما يحقق تماسك العائلة والمجتمع.

إنَّ الممارسات الاحتفالية والعادات الاجتماعية لهذا العيد في المجتمع التبسي تبدأ بأيام قبل يوم العيد من خلال التحضير لشراء كبش العيد "الأضحية" وما يتطلب ذلك من تنقل إلى سوق بيع المواشي، والانتقال من بائع إلى آخر داخل السوق حتى الوصول إلى الكبش المرغوب فيه والمراد شراؤه لما يتصف به من مواصفات تتداخل فيها الشروط الشرعية ليصبح جائزا للأضحية من جهة والمقدرة الشرائية في توفر ثمنه من جهة أخرى، فمن شروط صحة الأضحية نُخْلَوْه من الأمراض والعيوب، للحديث الذي رواه الإمام مالك، عن البراء بن عازب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سئل ماذا يُتَّقَى من الضحايا فأشار بيده وقال: "أربعاً: العرجاءُ البينُّ ظَلْعُهَا، وَالْعَوْرَاءُ البينُّ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ البينُّ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ\* التي لا تُنْقَى"<sup>1</sup>، إضافة لما تتطلبه هذه المناسبة من شراء البسة جديدة للأولاد وبقية أفراد العائلة أوبعضهم على الأقل إلى غير ذلك من التحضيرات الضرورية للاحتفال بهذه المناسبة الدينية.

ثم تأتي ليلة العيد وما تتضمنه من تحضيرات جمالية وتزيينية للبيت وإعداد كل ما يلزم لصبيحة العيد حيث يتم الاستيقاظ باكراً فيتم الاستحمام ولبس أجمل الثياب ثم الخروج

\* - العجفاء: بمعنى الهزيلة التي لامخ في عظامها، مؤنث أعجف، والعجف فرط الهزال المذهب للحم، أي شديد الهزال والضعف.

<sup>1</sup> - مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، برواية ابن زياد، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3،

1980، ص: 119

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

لصلاة العيد حيث يخرج الأطفال والرجال وحتى النساء إلى المساجد في جوّ من السّكينة والخشوع وهم يكبّرون الله تعالى فرحا بهذا العيد وطمعا في مغفرة الله ورضوانه، في تجمع ديني وروحاني مليء بمشاعر الحب والإخاء والتعاون، وبعد الصلاة وتبادل التهاني والتبريكات والتغافر بين المصلّين تتم العودة إلى البيت وهنا يتم تبادل التهاني بين أفراد العائلة ثم يبدأ التحضير لذبح الأضحية من طرف ربّ العائلة أو الجوّار، وقد يتعاون الجيران في عمليات الذبح والسّلخ في جوّ من البهجة والمتعة التي لا توصف خاصة لدى الأطفال الذي يملئون المكان بالحركة محاولين المشاركة في العملية، ويتم هذا التحضير من خلال تجهيز الخروف قبل ذبحه، فتقوم النسوة في ليلة العيد بوضع الحنّاء على رأسه ، وهو تقليد منتشر في مختلف مناطق البلاد تقريبا، وهي دلالة على التيمّن والاحتفاء بالأضحية كما يتم تحضير مكان الذبح وأدوات الذبح ثم تأتي عملية الذبح وسلخ الذبيحة، ثم تنظيف المكان وإزالة الفضلات ورميها في المكان المخصص لها، ومن السنن التي اعتاد عليها الاهالي في منطقة تبسة أنه يكون الإفطار على كبد الخروف فيتم شواؤها على الفحم أو طهيها في الزيت أي بواسطة القلي، كما تعتبر هذه المناسبة فرصة لجمع شمل العائلة، والتقاء الكل على مائدة واحدة هي مائدة الشواء\*، حيث يبدأ إشعال "الفحم" الموضوع في "المشواة" حتى يصبح جمرا أحمر وتوضع

\* - مما يستعمل في تحضير الشواء نجد:

- الفحم: هو مادة معدنية سوداء تنتج من حرق جذوع النبات او الخشب، يستعمل لطهي اللحم والسّمك والطعام وغيره
- المشواة: هي آلة يوضع فيها الفحم لشواء اللحم والسّمك والخضروات وغيرها، ومنها المشواة العادية ومنها الكهربائية.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

عليه أعواد الشواء المملوءة بالكبد أو اللحم أو القيام بشواء قطع من الكبد الملفوفة بالشحم وسط ألسنة النيران والروائح الزكية التي تهمز المكان، ثم يوضع هذا الشواء داخل ما يسمى بـ " الشطائر " التي يطلق عليها في العرف المحلي بـ " الكسكروط " وهي مرادف للكلمة باللغة الفرنسية " un casse croute " ويرافق ذلك تبادل أطراف الحديث حول جودة الأضحية ولحمها، إلى غير ذلك من أحاديث الأعياد والمناسبات الإحتفالية، ومما يميز الأجواء الإحتفالية للـ " العيد الكبير " في المجتمع التبسي حصول الأطفال الصغار على ما يسمى في العرف المحلي " بالعيدية " \*، حيث يلتف الأطفال حول الآباء والأجداد لتسلم مبلغا ماليا رمزيا كمصروف يوم العيد، وعند البعض قد ينال حتى الكبار حصتهم أيضا خاصة من طرف الأجداد، وفي هذا إدخال الفرحة والبهجة والسرور على الأطفال ليعيشوا أجواء هذه المناسبة الإحتفالية في جوّ من العطف والحنان.

أما بالنسبة للأطباق الشعبية في هذه المناسبة في المجتمع التبسي فهي تختلف بين الريف والمدينة، ومن منطقة إلى الأخرى، بل من عائلة إلى أخرى، ومن أهم المأكولات والأطباق \*\* التي يتم تحضيرها وإعدادها أيام العيد نجد: طبق الكسكس بالمسلان،

---

- الشطيرة: هي قطعة من الخبز يتم شقّها من الوسط ويوضع فيها اللحم المطهي أو الجبن أو البطاطس أو البيض وغيرها، ويؤكل غالبا عند تعذر الطبخ أو لضيق الوقت.

- الكسكروط: هو مرادف لكلمة الشطيرة باللغة الفرنسية، ويتكون من كلمتين : (casse) : معناها كسر و (croute): ومعناها جوية، فهو بذلك يكسّر جويته بأكلة سريعة متكررة في اليوم.

\* - العيدية: كلمة مشتقة من كلمة "عيد"، وتعني "العطاء" أو "العطف"، وهي لفظ اصطلاحي يُطلق على النقود والهدايا التي تعطى للأطفال يوم العيد، وتعتبر "العيدية" أحد أهم طقوس الإحتفال بالعيد، وهي ذات أهمية وقيمة كبيرة وخاصة بالنسبة للأطفال، الذين يتطلعون للحصول عليها من عيد إلى آخر، باعتبارها مصدراً للسعادة والبهجة وتعكس روح العيد، وأحيانا ينال حتى الكبار حظهم منها.

\*\* - من أهم الأطباق يوم العيد:

- المسلان: هو الجزء من العمود الفقري وما يحويه من فقرات ولحم وكليتين، والذي يقع فوق منطقة الحوض وأسفل نهاية الأضلاع.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

أو الكسكس بالعُصبان، وكذلك طبق الشخشوخة، إضافة إلى طبق البوزلوف، في حين يفضل آخرون أكل اللحم مشويًا في المشواة، أو "مقليًا" في "المقلاة" أو مطبوخًا مع المرق أو مُحمَّرًا في الفرن أو "مفؤورًا" على البخار حيث تجتمع العائلة على المائدة في جوٍّ من التواصل العائلي والاعتزاز بالانتماء والتماسك الاجتماعي، أما في اليوم الثاني من عيد الأضحى، فالعائلات التبسيّة تقوم بتقطيع أضحية العيد وتفصيلها بعد أن تكون قد جفّت مما يجعل تقطيعها عندئذ مناسبًا ومفيدًا، ويهدف هذا التقطيع للقيام بإهداء ثلثها عملاً بالسنة النبوية الشريفة، وتخزين جزء منها في الجمدات لاستعماله في مناسبات قادمة، وطهي الباقي لافراد العائلة والضيوف والزوار، وهنا يبرز معنى التضامن والتكافل الاجتماعي والتواصل العائلي في أكبر صورته، كما يتم خلال هذا اليوم تبادل الزيارات بين الأقارب ممن يقطن في المناطق البعيدة حيث يحرص هؤلاء على قضاء العيد وسط العائلة، والاستمتاع بقضاء أيام العطلة بين أفراد العائلة والأهل والأقارب، وبقدر ما كان الإقبال شديدًا على الأسواق والمحلات التجارية، كان الإقبال أكبر على محطات السفر، حيث تشهد وسائل النقل قبيل العيد وأثناءه إقبالًا كبيرًا من قبل المواطنين، الذين يسافرون إلى عائلاتهم المقيمة في مدن وولايات أخرى، لقضاء إجازة العيد معهم إلى الحد الذي يدفع الكثير منهم السفر واقفا بين الركاب لاستحالة وجود مقاعد شاغرة.

---

- العُصبان: عبارة عن طهي الأحشاء الداخلية في الماء ثم تقطيعها وحشوها داخل أكياس صغيرة من معدة الخروف ثم إعادة طهيها مع المرق الغني بالبهارات المختلفة، ثم توضع فوق الكسكس بعد سقيه.

- البوزلوف: عبارة عن طبق الرأس الذي يتم طهيه في الماء أولاً ثم في الفرن.

- القلي: هو طهي اللحم أو السمك أو الخضروات في المقلات باستعمال السمن أو الزيت.

- المقلاة: هي آلة يوضع فيها الزيت أو السمن لطهي اللحم والسك والخضروات وغيرها.

- المفؤور: وهو طهي اللحم على البخار في أغلفة من الألمنيوم، وذلك بعد تقطيعه إلى قطع وإضافة التوابل عليه.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

أما إذا رجعنا إلى حالة الأسواق والطرقات المحاذية لها خلال الأيام التي تسبق عيد الأضحى فإنها تشهد ازدحاما شديدا بين المازة والمتسوقين من كل الفئات العمرية، فهذه دراجات نارية وهوائية، وهؤلاء باعة ينادون عليك بغرض تسويق بضاعتهم، وهناك سيّارات من كل الأشكال والأحجام لا تكاد تترك لك الطريق، معروضات على الأرصفة والممرات، موسيقى منبعثة من هنا وهناك، حتى أنك لا تكاد تسير بشكل مُريح نتيجة ذلك الازدحام والاختضاض، ومع ذلك فالكل منشرج ومسرور، إنها حال الأسواق الشعبية وهي تستقبل العيد "الكبير"، الجميع يعيش في حالة استنفار استعدادا لقضاء مايلزم هذه المناسبة، ومما يلاحظ في هذه الأسواق الشعبية وجود مهن موسمية كثيرة يستغلها العاطلين عن العمل وحتى العاملين لتوفير دخل إضافي يعمل على تغطية إحتياجات ومتطلبات هذه المناسبة، حيث يعرض الشباب أكياسا من الفحم الذي يستعمل لشواء اللحم، كما يلاحظ أكوام التبن لتغذية الخرفان والأغنام على الأرصفة في الأحياء الشعبية وتقاطعات الشوارع، وآخرون يحملون خرفانا على ظهورهم لإيصالها إلى سيّارات المشترين وآخرين يحملون الكباش بالعربات إلى منازل الزبائن، أطفال يحملون رزما من الحبال ويطوفون بها لبيعها، حيث إن كل من يشتري كبشا أو خروفا فهو يحتاج لحبل لربطه وجرّه، وآخرون يبيعون تجهيزات الطبخ التقليدية والأواني المنزلية المختلفة، وأنواع الشّوّايات العادية منها والكهربائية، وأنواع السكاكين على مختلف الأشكال والأحجام فبعضها للذبح وبعضها للسليخ وبعضها الآخر لتقطيع اللحم وأخرى لكسر العظم وغيرها، كما يبيع آخرون أعواد الشّواء الحديدية منها والخشبية، كما تنتشر عمليات شحذ السكاكين أمام المحلّات، إلى غير ذلك من المهن الحرة والموسمية التي لا تتوقف أياما قبل حلول يوم العيد بل تمتد إلى صبيحة يوم العيد حيث ينشط الجزارون الحرفيون الذين يُعرضون خدماتهم على من لا يحسنون الذبح مقابل مبالغ مالية كمصرف إضافي في هذه المناسبة الاحتفالية.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

إنه على الرغم من أجواء العيد الراسخة لدى الجزائريين عموماً وفي منطقة تبسة خصوصاً، وما تتضمنه من عادات اجتماعية وشعائر دينية وطقوس احتفالية إلا أن تأثيرات العولمة والتحولات الإعلامية والإقتصادية والإجتماعية التي عرفها المجتمع أدت إلى إختفاء بعض العادات الاجتماعية وتقلص بعضها الآخر وظهور عادات وممارسات جديدة، وفي هذا المعنى يقول أحد المبحوثين "كل شئى تغيّر، الآن ظهرت عادات كانت ماكانش من قبل"<sup>1</sup>. وخاصة بين الريف والمدينة، وبين الأسرة الممتدة والأسرة النووية.

كما أن للوعي والمستوى الثقافي وغيرها من التحولات السريعة في هذا العصر، عصر الانترنت والتقدم العلمي والتكنولوجيا تأثيره الفعّال في حصول ذلك التغير في موضوع العادات والتقاليد عموماً والطقوس الاحتفالية خصوصاً، كما لاننسى تأثير ثورة المعلومات وتأثير مختلف وسائل الإعلام والاتصال التي قرّبت البعيد وجعلت العالم قرية صغيرة تداخلت فيها عادات المجتمعات والثقافات وتلاقحت فانتجت عادات وممارسات بعضها هجينة وبعضها جديدة كما اختفى فيها البعض الآخر، لقد جاءت ثورة الاتصال لتجعل من وسائل الإعلام شريكاً فاعلاً يُسهم بقدر كبير في عمليات التوجيه والتنشئة الاجتماعية، بجانب الأسرة والمدرسة والنادي والمسجد ومراكز التوجيه والتوعية، وتظهر فاعلية وسائل الإعلام في قدرتها على التحرك، حيث يصل تأثيرها إلى الجمهور المستهدف في بيته أو مكتبه أو في أي مكان يتجه إليه، تخاطب الكبير والصغير والمرأة والرجل، واحتلت لنفسها مكاناً في كافة ميادين الفكر والتأثير، من ثقافة وتسلية وتوجيه وتربية، وفق أساليب مستحدثة وتقنيات عالية، مما يجعل الإنسان يُسلم عقله وعاطفته لجاذبية الوسيلة الإعلامية وبرامجها، لتقوم بدور الأب والمعلم، بل وأحياناً بدور الإفتاء والإرشاد، دون أن يدرك المتلقي أن ما تحمله الرسائل الإعلامية اليوم مشحون بقيم صاحب الرسالة يسعى لإحلالها محل القيم القائمة إذا كانت

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 09.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

هذه القيم القائمة تتعارض مع أهدافه ومرجعياته، وهكذا تتسلل القيم والأفكار المستهدفة إلى عقل المتلقي وفكره وقلبه، بل إلى كيانه كـله وتحدث فعلها شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت وتعاقب الأجيال لتصبح قيم جديدة وأفكار جديدة وعادات جديدة وبديلة.

كخلاصة يمكن القول أنّ عيد الأضحى مناسبة ذات قيمة دينية واجتماعية واحتفالية، توارثتها الأجيال على مدى قرون، وأحاطتها بممارسات دينية وعادات اجتماعية بأبعادها التاريخية والإنسانية والحضارية، وتتوسط فعاليات هذا العيد قيم التآخي والمحبة وصللة الرحم، وتعزيز مقومات التعاون، والتضامن بين فئات المجتمع بمختلف أطيافه.

لهذه المناسبة العديد من الدلالات والأبعاد، ويأتي في مقدمتها البعد الديني باعتبارها من الشعائر الدينية التي يتقرب بها من يمارسها إلى الله تعالى رجاء الثواب والقبول والمغفرة، ثم يأتي البعد الإنساني، الذي يعتبر أحد المقومات الرئيسية التي تميز مظاهر الاحتفال بعيد الأضحى، حيث تشهد فعالياته مظاهر يتداخل فيها الديني بالاجتماعي والاقتصادي والثقافي، ومن أبرزها مجالس الصلح التي يتم عقدها ضمن مراسم الاحتفال بالعيد وفق التقاليد الاجتماعية المتوارثة في عدد من المناطق خاصة تلك التي تحكمها الأعراف القبلية، وتبرز في سياق ذلك مبادرات تُسهم في حل المشكلات العالقة بين الأفراد والعائلات، ولمّ شمل الأسر المتخاصمة، كما تتفاعل في مراسم الاحتفال بالعيد مظاهر تقديم المساعدات الإنسانية إلى الأسر الفقيرة والمعوزة.

كما يُعتبر البعد الاجتماعي حاضراً بقوة في هذه المناسبة، ويتجسد في الأعراف والتقاليد المتعلقة بالتواصل بين مختلف العائلات والفئات الاجتماعية، حيث تشهد فعاليات هذا الاحتفال مظاهر تبادل الزيارات، وتنشيط اللقاءات، وتبادل التهاني والتبريكات في المجالس التقليدية والشعبية، وفي مواقع التواصل الاجتماعي، وتلك ظاهرة مجتمعية تُسهم بشكل تفاعلي في القضاء على مظاهر الفرقة وتعزيز الوحدة الوطنية والسلم الاجتماعي.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

أمّا البعد البيئي فهو مؤشر ذو دلالة ضمن المناشط المتنوعة في الإحتفال بالعيد، حيث تشكّل معالم البيئات الطبيعية الحاضن الرئيسي لتلك الأنشطة، كالمتنزهات والمواقع والمعالم وغيرها من أماكن الراحة والاستحمام التي يقصدها الناس لقضاء عطلة العيد مع الأبناء والأحفاد والاستمتاع بممارسة المناشط الترفيهية، حيث يُشاهد حشود من البشر تجتمعها الروابط الأسرية والصدّاقة، وهي تزحف في مجموعات إلى المناطق البرية والساحلية والفضاءات الطبيعية، وتبرز في سياق ذلك جوانب الاختلاف في ثقافة العلاقة مع معالم البيئات الطبيعية، حيث تشهد الممارسات التي تدل على الوعي المجتمعي في الحفاظ على نظافة المحيط البيئي وصون معالمه لدى بعض العائلات من جهة، وممارسات أخرى على النقيض تتسبّب في تلويث المحيط البيئي وتدمير نظامه الطبيعي من جهة أخرى.

وعموماً فإن مناسبة عيد الأضحى ليس مناسبة للاحتفال فحسب، بل هي فرصة لتجسيد تلك المعاني الدينية، الإنسانية، الاجتماعية والروحية من محبة وتآخي وسلم اجتماعي، ترتقي بالمجتمع إلى تكريس ظواهر التسامح والتضامن والتواصل بما يخدم تنمية المجتمع وازدهاره.

### سابعاً: إحتفالية عاشوراء: بين الطابع الإحتفالي والديني للمناسبة

يحتفل المجتمع الجزائري بيوم عاشوراء الذي يصادف اليوم العاشر من شهر محرم، والذي يكتسي أهمية كبيرة شعبياً ورسماً، حيث تتخذ من يوم عاشوراء عطلة مدفوعة الأجر لكافة مستخدمي المؤسسات والإدارات العمومية، وتتميز إحتفالية عاشوراء في منطقة تبسة بصفة خاصة بإظهار الفرحة والإبتهاج والتقرب إلى الله تعالى بالصيام والذكر والدعاء وبكل ما له علاقة بتقوية أواصر القرابة ومعاني التعاون والتكافل والتضامن الاجتماعي.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

من جهة أخرى إذا كان الاحتفال بهذه المناسبة في بلاد المشرق العربي - خاصة في إيران والعراق - يطغى عليه "الطابع الحدادي" والحزين، حيث تُقام ( طقوس الحزن والأسى وذكرى المأساة)، أي مأساة مقتل الحسين ابن علي بن أبي طالب (حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فإن الطقوس الاحتفالية لهذه المناسبة في بلاد المغرب العربي - خاصة في الجزائر - يطغى عليها "الطابع الاحتفالي"، حيث تُقام (طقوس العبادة والتقديس والاحتفال)، ومن ثمّ إذا كان عاشوراء عند المشاركة ذكرى مأساة الحسين ومناسبة للتكفير عن ذنب عدم الالتحاق به للاقتتال معه، وبالتالي "فرصة تعذيب الذات" بإسالة الدماء بشكل أبدي، فإن الاحتفال بعاشوراء عند المغاربة (المغرب العربي) يميل نحو ما هو كوني وطبيعي أكثر مما هو سياسي واجتماعي.

من جهة أخرى فهو ذو بعد ديني أكبر مما هو دنيوي، وهو المعنى الذي أشار إليه الباحث "ميرسيا إلياد"<sup>1</sup>، ويتجلى ذلك في المعتقدات الدينية لسكان هذه المناطق وتشبّعهم الإيمان والروحي النابع من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا يَعْنِي عَاشُورَاءَ فَقَالُوا هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ فَقَالَ: "أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ"<sup>2</sup>، ومن ثمّ فإن الاحتفال بعاشوراء يمكن اعتباره "مناسبة" ورثها الجزائريون من قديم الزمان يتبعون فيها سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بصيام عاشوراء، وهو اليوم الذي نجى الله فيه سيدنا موسى من فرعون، كما أن احتفال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بهذا اليوم جاء تكريما واحتفاءً بأخيه النبي موسى عليه السلام، وأتته لا يرتبط بموروث شيعي

<sup>1</sup> - للإطلاع أكثر حول مفهوم "الزمن المقدس" مقابل "الزمن الدنيوي" أو العادي أو التاريخي: أنظر ميرسيا إلياد، أسطورة العود الأبدي، تر: حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1990، ص ص: 63 - 98

<sup>2</sup> - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2002، حديث رقم 3216.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

ورثوه عن الفاطميين الذين حكموا البلاد أواخر القرن الثالث الهجري، كما هوسائد لدى بعض المجتمعات، في أنّ الإحتفال بهذا اليوم يتعلق بمقتل الحسن بن علي رضي الله عنه كما هو الحال عند الشيعة، وبهذا فهو يتميز بطابع الفرح والإحتفال عند أهل السنة وبطابع الحزن والحداد عند الشيعة.

من جهة أخرى فقد ارتبط إحياء يوم عاشوراء عند الجزائريين بإخراج زكاة الأموال، ومنها جاءت تسمية "العواشر" في بعض المناطق، وتسمية "العُشُور"<sup>1</sup> في مناطق أخرى كما هو عليه الحال في منطقة تبسة وبعض مناطق الشرق الجزائري، وتعني إخراج عُشر المال في الزكاة؛ وبالرغم من أن الزكاة في الشريعة الإسلامية ليست مرتبطة بشهر معين، وإنما إشتراط الفقهاء<sup>2</sup> أن يُحوّل عليها الحوّل، أي يمرّ عليها مُدة سنة كاملة، وعندها إذا وصلت النُصاب فإنها تصبح واجبة الأداء على صاحبها، إلا أن الكثير من الجزائريين جعلوا إخراج زكاتهم مرتبط بمناسبة عاشوراء، إضافة إلى التصدّق على الفقراء والمحتاجين واليتامى وزيارة المرضى وتوزيع الطعام في المساجد وعلى أبواب المقابر وبذلك تكون هذه الإحتفالية مناسبة يتجدد فيها تمتين التواصل بين الأسر والعائلات وتقوية التآزر والتضامن والتكافل الاجتماعي.

كما يرتبط هذا التقليد في منطقة تبسة بزيارة أضرحة الأولياء والصالحين والإكثار من الدعاء وتلاوة القرآن وقراءة الأذكار هناك وهي كلها شعائر يتجلى فيها طغيان البعد الروحي لهذه الإحتفالية كما تُعدّ إحتفالية عاشوراء من المناسبات الدينية التي تجتمع العائلة في ليلة متميزة حول الأطباق التقليدية التي تختلف من منطقة إلى أخرى، ومن ذلك في منطقة تبسة

\* - العُشُور: ويقصد به عُشر المال الذي يُستخرج خلال أداء الزكاة، والذي يتم إخرجه عند الكثير من الجزائريين في مناسبة عاشوراء

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 03 .

<sup>2</sup> - للإطلاع على شروط إستخراج الزكاة يمكن الرجوع إلى كتب الفقه المختصة في هذا المجال وخاصة في المذهب المالكي، مثل كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، مرجع سابق، ص: 119.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

اجتماع العائلة على طبق الكسكس بالقديد\*، حيث يبدأ الإعداد لهذا الطبق من خلال تحضير " القديد " من لحم أضحية عيد الأضحى، حيث يتم حفظه إلى غاية مناسبة عاشوراء لاستعماله مع طبق الكسكس، وهو المعنى الذي استقيناه من أحد المبحوثات<sup>1</sup>، كما تفضّل عائلات أخرى طبق الرشته أو الشخشوخة بلحم الدجاج الذي يُفضل ذبحه في البيت، ويرون في ذلك فآل خير من شأنه إبعاد العين والحسد عن أهل البيت، كما تحرص عائلات أخرى على إعداد أطباق من الحلويات التقليدية والمكسرات، التي يتم توزيعها على الأطفال وتزيّن بها الموائد عند السّمر.

من عادات أهل تبسة في هذه المناسبة حرص بعض النّساء على ممارسات معيّنة يعتقدن على أنّها فآل خير تجلب البركة لأهل البيت، مثل فتح كلّ الأبواب المغلقة كأبواب الخزائن والغرف والنوافذ وترديد عبارة " نفتحوا البيبان المغلوقة باش يدخل الرزق"<sup>2</sup>، وكذلك وضع الكحل ليلة عاشوراء اعتقاداً منهنّ أنّ من قامت بذلك لن تمرض عيناها أبداً، إضافة إلى استعمال الحناء، ليلة عاشوراء اعتقاداً أنّ الحناء ليلة عاشوراء فآل خير للبنات، حيث يقلن: " الحنة تحنن القلوب"<sup>3</sup>، كما تقوم بعض النسوة بقصّ شيء من شعورهنّ اعتقاداً أنّ ذلك يزيد من طوله وجماله، وتذهب أخريات إلى وضع خصلات الشعر التي يتمّ قصّها على شجرة الصنصاف حتى يكون الشعر كثيفاً كأوراق هذه الشجرة.

\* - القديد من اللحم: عبارة عن لحم مُقطّع ومُملّح ومُجفف بتعريضه للهواء بطريقة تقليدية، أما تفاصيل الطريقة العملية فإنها تتم من خلال: حفظ اللحم عن طريق إشباعه بمادة الملح بعد تقطيعه ثم وضع خطوط رفيعة ومتقاربة في كل قطعة بواسطة سكين حاد بحيث لا يبقى أي جزء سميك، لتماثل الشقوق بالملح وبعدها يجفّف اللحم في مكان نظيف في الهواء الطلق لمدة أسبوع أو أسبوعين حتى يصبح صلباً، ويحفظ بعدها في أوعية من الطين التي يستوجب غلقها بإحكام حتى لا يتسرّب إلى داخلها الهواء أو الرطوبة، ثم يخزن لوقت الحاجة.

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 14

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم 20

<sup>3</sup> - المبحوثة رقم 15

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

وفي مقابل هذه العادات التي ترتبط بالخير والبركة والفأل الحسن، فإنّ هناك معتقدات أخرى تنحى منحى التشاؤم في هذا اليوم، ومن أمثلة ذلك: الاعتقاد بتحريم الخياطة، ومن تفعل ذلك في هذا اليوم تصاب يدها بالارتعاش عند الكبر، وعدم غسل الثياب في هذا اليوم، كما تتشاءم بعض النسوة من كنس البيوت وتنظيفها يوم عاشوراء، وكذلك كراهة عقد القران وزفّ العروس إلى زوجها في هذا اليوم، وكلها ممارسات تعود حسب الباحث الجزائري في علم التصوف محمد بن بريكة<sup>1</sup> إلى تأثير الموروث الشيعي الذي تركه الفاطميون الذين حكموا منطقة شمال افريقيا منذ أواخر القرن الثالث الهجري، هذه الموروثات التي تركت بعض رواسبها في سلوك الناس ومعتقداتهم إلى يومنا هذا.

### ثامنا: إحتفاليات رأس السنة الهجرية

تحتفل منطقة تبسة على غرار باقي مناطق الجزائر برأس السنة الهجرية، وهي المناسبة الدينية المرتبطة في المخيال الاجتماعي بحجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، كحادثة أختارها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبدء التاريخ الإسلامي.

#### 1 - مظاهر الإحتفال برأس السنة الهجرية في المجتمع التبسي:

يحرص سكان منطقة تبسة على الإحتفال بهذه المناسبة الدينية التي توافق اليوم الأول من شهر محرم من كل عام، ففي هذه المناسبة تحرص العائلات التبسية على إعداد أشهى وألذّ الأطباق التقليدية لإحياء هذه المناسبة التي يمتزج فيها الديني بالديني والعادات الاجتماعية

<sup>1</sup> - محمد بن بريكة: أستاذ التصوف والفلسفة الإسلامية بجامعة الجزائر، يوم عاشوراء في الجزائر، في حديث لوكالة الاناضول التركية، نقلنا عن جريدة هيسبريس الإلكترونية المغربية الصادرة بتاريخ 14 نوفمبر 2013 عبر موقعها: <https://www.hespress.com/international/93848.html>، زيارة بتاريخ: 2018/10/15

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

بالأبعاد الروحية، حيث تجتمع العائلة على مأدبة العشاء، التي يكون فيها الطبخ التقليدي سيّد الإحتفال.

وإذا كان من أهم الأطباق التي تزيّن المائدة الجزائرية نجد "الرشّة" في العاصمة الجزائرية، و"الشخشوخة" البسكورية في الجنوب، والكسكس في منطقة القبائل و" الشريدة" في الشرق الجزائري، و"السّقة" بالعنب الجاف في الغرب، فإنّ منطقة تبسة تتميز بأطباقها التقليدية التي تصنع من العجائن عموما ولكنها قد تختلف من عائلة إلى أخرى فهناك بعض العائلات يقمن بتحضير الشخشوخة والبعض الآخر الكسكس وآخرون الشريدة أو التليتلي ، أما في السّهر فتجتمع العائلة التبسية على أنواع مختلفة من الحلويات التقليدية والمكسرات والفواكه تيمّنا بالفأل الحسن، حيث يجتمع أفراد العائلة على المائدة وكلهم بهجة وسرور يتجادبون أطراف الحديث حول هذه المناسبة التي يزيد الإحتفال بها من تقوية أواصر المحبة وصلة الرحم وزيارة الأقارب وتبادل الهدايا والتبريكات بين العائلات والجيران والأقارب.

كما يتم الإحتفال بهذه المناسبة بوضع الحناء خاصة النساء والأولاد والبنات، إضافة إلى إيقاد العنبر والبخور لبعث الروائح الزكية في البيوت لما لهذه المناسبة الدينية من مكانة مقدسة.

من مظاهر الإحتفال بهذه المناسبة تزيين المحلات والشوارع وخاصة الأسواق الشعبية التي تكثر فيها الحركة حيث تعلوا أصوات الباعة المتجولين وهم يعرضون سلعهم وبضائعهم مثل لعب الأطفال وأنواع البخور والعنبر ومختلف الحلويات والمكسرات والفواكه وغيرها مما يزدحم عليه المشترين وخاصة ما قلّ ثمّنه.

من جهتها تقوم الجمعيات الدينية بتزيين المساجد من الداخل والخارج وخاصة المآذن بالمصاييح ذات الألوان الزاهية، كما تكون هذه المناسبة فرصة لإعادة تفرّيش المساجد بالجديد والقيام بحملة تنظيف شاملة، كما يضع أئمّة المساجد ومديريات الشؤون الدينية

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

بالمناسبة برنامجا ثريا بالمحاضرات الفكرية والدروس التوعوية لإحياء الذكرى وتحليل أبعادها وكشف دلالاتها والتذكير بمناقب الرسول صلى الله عليه وسلم والإشادة بأخلاقه والتعريف بسيرته، كما تقوم الزوايا بحلقات تلاوة القرآن الكريم والذكر والدعاء.

كما تنظّم بعض الجمعيات الخيرية ومؤسسات المجتمع المدني بهذه المناسبة عدة نشاطات ثقافية وأخرى إجتماعية وخيرية تجاه بعض العائلات الفقيرة والمعوزة فيتم توزيع بعض المواد الغذائية وأكياس من الدقيق، ووبعض الألبسة لليتامى والعائلات المحتاجة ومد يد العون لها، فتكون هذه المناسبة فرصة لتمتين أواصر المحبة بين الناس وتقوية مظاهر التعاون والتضامن الاجتماعي.

من العادات القديمة التي كانت منتشرة في البوادي والأرياف في منطقة تبسة ، أن يقوم الآباء بخلق شعر رؤوس الأطفال ليلة الفاتح من محرم، حيث يوضع الطفل في "قصة" من الخشب ثم يقوم والده بقص جزء صغير من شعره، ثم يقوم الطفل بعدها بتوزيع الحلويات على الأطفال وأفراد أسرته، وفي هذا المعنى يقول أحد الباحثين " بكري كانوا يحففوا شعر الطفل ليلة راس العام العربي"<sup>1</sup>، إلا أن هذه العادة اختفت اليوم في المجتمع التبسي تحت تأثير التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها المجتمع اليوم وانتشار محلات الحلاقة في كل مدينة وقرية، بل في كل حيّ من أحيائها.

من العادات الحديثة التي أفرزتها الثورة المعلوماتية التي يشهدها العالم اليوم في هذه المناسبة تبادل التهاني والتبريكات والمعابدة باستعمال مواقع التواصل الاجتماعي، وباستعمال الرسائل النصّية القصيرة بالهواتف المحمولة.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 02.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

وهكذا يتداخل الدين بالديني في هذه المناسبة الاحتفالية، والإجتماعي بالثقافي ليزيد من تمتين أواصر المحبة والأخوة بين أفراد المجتمع وتقوية روح التعاون والتكافل الاجتماعي بين العائلات بما يزيد من تماسك المجتمع.

### 2 - التقويم وحساب الأشهر:

لقد كانت حياة الإنسان في بداية الأمر بسيطة لا يحتاج فيها إلى تقويم وحسابات، ولكن عندما تطورت حياته وبدأ العمل بالزراعة، والفلاحة، ثم التوجّه نحو الصناعة وبناء المدن، وصكّ العملة وغيرها من مظاهر الحياة المعقدة والمتطورة، فكانت الحاجة الملحة إلى التأريخ الذي يستطيع الانسان من خلاله تنظيم أوقاته، وبرمجة أعماله والتخطيط لإنجاز مشاريعه وبناء مستقبله بما يُمكنه من تحقيق التنمية وتطوير مجتمعه.

ومن أكثر التقويمات المعتمدة والشائعة لدى الكثير من الشعوب والمجتمعات نوعين من التقويم: التقويم الهجري، والتقويم الميلادي، ولكل منهما حساب يختلف عن الآخر، حيث تتبّع بعض الدول الإسلامية التقويم الهجري، وتتبع بعض الدول في شتى أنحاء العالم التقويم الميلادي.

أ - التقويم الميلادي: واضع هذا التقويم هو "الراهب الأرمني دنيسوس الصغير، وقد أُطلقت عليه عدّة مسميات منها: التقويم الغربي، والتقويم المسيحي، والتقويم الغريغوري نسبةً إلى بابا روما الثالث عشر "غريغوريس" الذي قام بتعديله في القرن السادس عشر، ليصبح على النظام المتعارف عليه حالياً"<sup>1</sup>، وهو التقويم الذي يعتبر ولادة السيد المسيح عيسى عليه السلام كبداية للتأريخ، وهو التقويم المعمول به مدتيّاً في أغلب الدول العربية والعالمية.

<sup>1</sup> - محمد سليمان، رحمة للعالمين، ج1، دار السلام، القاهرة، ط1، 1998، ص 584، بتصرف.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

ب - التقويم الهجري: وهو التقويم الذي وضع بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من مكة إلى المدينة المنورة. "يعتمد حساب هذا التقويم على حركة القمر، وبه تُحدّد المناسبات الدينية العديدة، وكان ذلك في عام ستمئة واثنين وعشرين ميلادية"<sup>1</sup>.

وتعود فكرة التقويم الهجري إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السابعة للهجرة النبوية، إذ جمع عمر رضي الله عنه الناس لاعتماد تاريخ يُميّز المسلمين، فقال بعضهم: نُؤرخ بالمبعث أي بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: نُؤرخ بالهجرة، فقال عمر رضي الله عنه: الهجرة فرّقت بين الحق والباطل فاعتمدها تأريخاً لهم، وعندما اتفقوا قال بعضهم: ابدؤوا بشهر رمضان، ولكن عمر اقترح على أن يكون شهر محرم هو بداية السنة الهجرية، فتمّ الاتفاق على ذلك"<sup>2</sup>.

### تاسعا: إحتفاليات رأس السنة الميلادية:

يتم الإحتفال برأس السنة الميلادية<sup>3</sup> في المجتمع التبسي يوم الواحد والثلاثين من شهر ديسمبر من كل سنة، ليس لكونه إحتفالا دينيا كما تمارسه الطوائف المسيحية في البلاد الغربية، وإنما كعادة إجتماعية يتم فيها توديع سنة مضت بكل ما فيها من أفراح وأحزان واستقبال سنة جديدة بروح مليئة بالأمل والتفاؤل، آملين أن تكون سنة سعيدة وجميلة

<sup>1</sup> - محمد سليمان، مرجع نفسه، ص: 584.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 585.

<sup>3</sup> - مناسبة رأس السنة الميلادية من أهم الأعياد المسيحية، كونها إحتفالا بذكرى ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وتتم في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام عند الطوائف المسيحية الكاثوليكية، في حين تحتفل الطوائف المسيحية الارثوذكسية ليلة السابع من جانفي من كل عام، ويعود هذا الإختلاف في تاريخه لإختلاف التقويم الميلادي بين هذه الطوائف، ويمارسون خلاله طقوس وممارسات عديدة تتسم بالعديد من المظاهر ذات الابعاد الدينية والتاريخية والإجتماعية، ففي هذا اليوم تُفتح المحلات التجارية أبوابها حتى منتصف النهار، وبعد الظهر يقوم الناس بتحضير الطعام والشراب للاحتفالات المقامة في المساء، من خلال إقامة الصلوات وإنشاد الترانيم الميلادية وضع شجرة عيد الميلاد وتبادل الهدايا واستقبال بابا نويل وتناول عشاء الميلاد، ويبلغ الإحتفال ذروته عند منتصف الليل عندما تصل عقارب الساعة عند الثانية عشر معلنة عن بداية السنة الجديدة، عندها يهنئ المحتفلون بعضهم البعض بالقبلات والعناق وتتقارع الكؤوس في نخب العام الجديد، وبعد ذلك ببضعة دقائق يرى المرء أشكالاً بديعة في سماء الإحتفال تنتج عن إطلاق الصواريخ والألعاب النارية، ويسمع المرء صوت أجراس الكنائس، التي تدق ابتهاجاً بالعام الميلادي الجديد.

## الفصل الرابع: الإحتفاليات المرتبطة بالمناسبات الدينية: الطقوس والممارسات

عليهم، يُرجى أن يُعمَّ خيرها البلاد والعباد، وتأخذ مظاهر الاحتفال في منطقة تبسة أشكالاَ مصغرة وضيقة على مستوى بعض العائلات من خلال تحضير أطباق تقليدية تختلف من عائلة إلى أخرى فهناك من يقوم بتحضير الكسكس باللحم ، وهناك من يحضر الشخشوخة بالدجاج والبعض الآخر يقوم بتحضير طبق من العجائن مثل الشريدة أو التليتلي بلحم الدجاج حيث يتم التجمع حول مائدة العشاء في جو عائلي بهيج، أما في السّهر فيتم تقديم الحلويات والمكسرات وخاصة حلوى العيد المتمثلة في كعكة " لا بيش" <sup>1</sup> " La Bûche" التي تعتبر رمز هذه المناسبة، وهي عبارة عن كعكة بشكل غصن شجرة، تُزيّن بالشوكولاته والسكر المسحوق الرطب ليُشكّل مايشبه رذاذ الثلج، وعموما يُعتبر الاحتفال برأس السنة الميلادية مناسبة اجتماعية لا دينية تتجمّع فيها الأسر والعائلات والأقارب والأصدقاء، ويتم فيها تبادل للزيارات والتّهانى وتقديم الهدايا للأبناء والأزواج والأحبة، ومشاهدة عروض الألعاب النارية عبر القنوات الفضائية، ويمكن لهذا السلوك الاجتماعي أن يرسخ مشاعر الحب والانتماء بين أفراد العائلة، ويُقوّي ثقافة الانفتاح تجاه بقية الشعوب والثقافات والديانات والتفاعل المنتج معها، إلا أن الإحتفال بهذه المناسبة في البلاد العربية عموما وفي الجزائر خصوصا يكتسبها طابع الجدال بين الجواز والمنع، فهناك من يرى فيها فرصة لإجتماع العائلات وتعزيز أواصر التعاون والتضامن الاجتماعي والتّفاؤل بقدوم عام جديد مليئ بالخير والسّعادة والبركات، وهناك من يرى في الاحتفال بها مُخالفة لتعاليم الإسلام، وأنها إحتفالية ذات أصول مَسِيحِيَّة وبالتالي لايجوز فعلها باعتبارها تشبّه بالنصارى.

<sup>1</sup> - لا بيش: كلمة فرنسية "La Bûche" ، والحلوى أصلها فرنسي، وتعني "الجذع أو الحطبة المخصصة للتدفئة"، ولها أيضا حكاية أسطورية، تقول "إن بابا نويل بحث طويلا عن قطعة خشب كبيرة الحجم من أجل ليلة الميلاد حتى يقطعها ويشعلها بسبب برودة الطقس، وحتى يجتمع حولها الناس لتلقي هداياهم من بابا نويل"

### خلاصة الفصل:

يعتبر الإحتفال بالأعياد والمواسم والمناسبات الدينية بما تتضمنه من شعائر دينية وأبعاد روحية ومشاعر قدسية بمثابة إعادة الإنتاج للدين وإبقائه حاضرا في حياة الناس والمجتمع، ومن جهة أخرى فهي مناسبات تغطي فيها العادات والأعراف الاجتماعية فتكون بذلك فرصة للتواصل العام ومحطة لتعزيز أواصر التراحم والتعاون وتقوية العلاقات الاجتماعية والتماسك العائلي والتضامن الاجتماعي، وبذلك يمكن اعتبارها من الأليات التي يحافظ بها المجتمع على تراثه الشعبي وموروثه الثقافي والاجتماعي والديني.

من جهة أخرى فقد لمسنا بأن الإحتفاليات ظاهرة عامة وشاملة لكل الثقافات والحضارات والمجتمعات الانسانية مهما تنوعت أشكالها وتعددت أسماؤها واختلفت طقوسها وممارساتها، فهي تنبثق من ثقافة المجتمع وتراثه باعتبار أن لكل مجتمع تراثه الشعبي وموروثه الثقافي وعاداته وتقاليده، التي تعبر عن تاريخه ودستوره الثقافي والإجتماعي، وتشكل خلاصة تجاربه وتفاعلها مع الظروف الحياتية، فهي بذلك عنوان شخصيته التي تميزه عن غيره من المجتمعات والشعوب والثقافات، مناسبات يتداخل فيها المقدس بالأسطوري ويختلط فيها الموروث الثقافي بالبعد الديني، ومن هنا كان رصد مختلف الأعياد والمناسبات الدينية في المجتمع التبسي جاء ليكشف تلك الممارسات الإحتفالية المهجنة بين العادات الاجتماعية والشعائر الدينية التي تربط بالنظام الثقافي الذي يتأسس عليه المجتمع، والنابع عن رؤية المجتمع للعادات والتقاليد والممارسات الإحتفالية التي ترسخت في المخيال المحلي، وما تحققه من وظائف دينية واجتماعية تعمل على تعزيز الانتماء العائلي والوطني والديني وتقوية روابط التعاون والتكافل والتضامن الاجتماعي.

# الفصل الخامس

## المولد النبوي: الطقوس الاحتفالية والممارسات الاجتماعية والدلالات الرمزية

تمهيد الفصل

أولاً: مفهوم المولد النبوي

ثانياً: احتفالية المولد النبوي بين المؤيدين والمعارضين

ثالثاً: احتفالية المولد النبوي النشأة والجذور التاريخية

رابعاً: احتفالية المولد النبوي: الطقوس والممارسات

خامساً: المولد النبوي: الدلالات والوظائف

سادساً: المقاربة الدينية لاحتفالية المولد النبوي

خلاصة الفصل

## الفصل الخامس: المولد النبوي

### الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

#### تمهيد الفصل:

يُعتبر الإحتفال بالمولد النبوي من أبرز الإحتفاليات الدينية مكانة في قلوب المسلمين في المجتمع الجزائري عموما وفي منطقة تبسة خصوصا، لما له من أبعاد روحية قدسية ودلالات رمزية ووظائف اجتماعية، ولما يحمله من معاني الهداية والرحمة والخيرية للإنسانية جمعاء لأنه يتعلق بمولد خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فماذا نعني باحتفالية المولد النبوي؟ وماذا تُمثل بالنسبة للمجتمع الجزائري عموما والمجتمع التبسي خصوصا؟ وكيف انطلقت بداياتها الإحتفالية الأولى؟ وماهي الشعائر الدينية والطقوس الإحتفالية والممارسات المرتبطة بها في المجتمع التبسي؟ وماهي مقاصدها الكبرى ودلالاتها الرمزية وأبعادها الاجتماعية والتغيرات الحاصلة فيها.

## أولاً: مفهوم المولد النبوي

### 1 - المفهوم اللغوي:

أ - تعريف المعجم الوسيط: ورد في المعجم الوسيط أن: "مولد: جمع موالد، يقال مَوْلِدُ الرَّجُلِ: مَوْضِعُ وِلَادَتِهِ، ويقال فِي ذِكْرِي مَوْلِدِهِ: وَقْتُ الْوِلَادَةِ زَمَانُهَا، ويقال عِيدُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ: عِيدُ مِيلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ"<sup>1</sup>، بهذا التعريف فإن معنى المولد: وقت الولادة أو مكانها ومن ثم المولد النبوي معناه وقت ومكان ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب - تعريف الشيخ أبي بكر جابر الجزائري: يعرفه الشيخ أبي بكر جابر الجزائري فيقول: " المولد النبوي الشريف في عرف اللغة العربية هو المكان أو الزمان الذي ولد فيه خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فمولده المكاني بمكة المكرمة، ومولده الزماني هو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل على أشهر الروايات وأصحها، الموافق لأغسطس من عام سبعين وخمسمائة من تاريخ ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام"<sup>2</sup>، فهذا التعريف يتفق في مضمونه مع التعريف اللغوي الوارد في المعاجم والقواميس، وهو الذي عليه جمهور المسلمون اليوم.

### 2 - المفهوم الاصطلاحي:

المولد في اصطلاح الأئمة هو: "اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ورواية الأخبار الواردة في ولادة نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء ومدحهم بأفعالهم وأقوالهم"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابراهيم انيس وآخرون، مرجع سابق، ص 1058

<sup>2</sup> - أبي بكر جابر الجزائري، مرجع سابق، ص 28

<sup>3</sup> - عثمان بن شطا البكري، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ج 3، دار إحياء الكتب العربية، دط، ص 363

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

فالمقصود من الاحتفال بالمولد هو تعظيم الأنبياء والأولياء والصالحين مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾<sup>1</sup>، ولا شك أن هذا التعظيم يكون أكثر تأكيداً إذا تعلق الأمر بمولد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتعظيمه صلى الله عليه وسلم يشتمل على ذكر مولده الكريم، ومعجزاته، وسيرته، والتعريف به صلى الله عليه وآله وسلم، كما يشمل اجتماع الناس على تلاوة القرآن الكريم وقراءة الأحاديث وإنشاد المدائح الدينية وإطعام الفقراء والمساكين والتصدق على المحتاجين، وهذا يؤكد التوافق الكبير بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي، فالإحتفال بالمولد النبوي يوافق اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة، حيث يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها باعتباره عيداً يتحلى فيه ابتهاج المسلمين وفرحهم بولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما لمسناه لدى الكثير ممن إلتقيناهم من أفراد المجتمع التبسي في احتفالهم بهذه المناسبة الدينية، ويتحلى ذلك في قول أحد المبحوثين: "عيد المولد، من أعز الاحتفالات الدينية اللي نحتفلوا بيها، تفكرنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والدين الاسلامي"<sup>2</sup>، حيث يتضح من هذه الإجابة ربط هذه الإحتفالية بالقرآن الكريم والدين الاسلامي وهو ما يضيف عليها هالة من القداسة، الشيء الذي يجعل الإقبال على هذه المناسبة يُشكّل حدثاً كبيراً في حياة الأفراد والعائلات في المجتمع، وخلاصة القول فإنّ للمولد النبوي إطلاقان:

- "الأول: الإطلاق العلمي التاريخي وهو يوم ووقت ومكان ولادته صلى الله عليه وسلم وما حفّ به من الحفاوة واقترب به من الأحداث والمعجزات والآيات.

<sup>1</sup> - سورة الحج: الآية 32

<sup>2</sup> - المبحوث رقم: 03

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

• الثاني: الإطلاق المتأخر، بمعنى تخصيص هذه المناسبة بالاحتفال والحفاوة والعناية والاهتمام وذلك في يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام<sup>1</sup>، وهما بالفعل المعنى الذي يتمثله الناس في المجتمع التبسي وينعكس في ممارساتهم وسلوكاتهم بمظاهر الاحتفال المختلفة التي يولونها في إحياء هذه الذكرى.

**3 - المفهوم الإجرائي:** المولد النبوي هو احتفالية تقام بمناسبة ذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والتي توافق اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام، تعبيرا عن الفرح والابتهاج بمولده صلى الله عليه وسلم.

### **ثانيا: احتفالية المولد النبوي بين المؤيدين والمعارضين**

باعتبار الاحتفالية ذات بعد ديني فإنه لا بد من الإشارة ولو باختصار إلى المقاربة الدينية التي نحاول أن نرصد من خلالها آراء أهل العلم الشرعي في مسألة حكم الاحتفال بذكرى المولد النبوي في الشريعة الإسلامية، وقد انقسم أهل العلم سواء القدامى منهم والمتأخرين في هذه المسألة إلى فريقين: فريق مؤيد وآخر معارض.

**1 - الفريق المؤيد:** يرى هذا الفريق أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة، ولكنها بدعة حسنة لا تخالف الكتاب والسنة والإجماع، وبالتالي لا حرج في الاحتفال بها لأن مقصدها تذكُّر الرسول صلى الله عليه وسلم، واستكشاف سيرته النبوية العطرة واستحضار مساره الفكري والدعوي وتذكير الناس برسالته، وهذا مع الابتعاد عن المحرمات والمنكرات التي يمكن أن تصاحب مظاهر الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم، وقد اعتمدوا في رأيهم هذا على قول

<sup>1</sup> - صالح بن بحيث مولى الدويله، المولد النبوي: نقاش هادي، منديات الصوفية: [www.alsoufia.com](http://www.alsoufia.com)، زيارة بتاريخ: 23 /

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

الإمام الشافعي رحمه الله في تعريف البدعة بقوله: "المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا وسنة أو أثرا أو إجماعا، فهذه البدعة ضلالة، ثانيها ما أحدث من الخير مما لاخلاف فيه فهي محدثة غير مذمومة"<sup>1</sup>، فالإمام الشافعي هنا يُفرّق بين الأشياء المستحدثة المخالفة للدين فهي غير جائزة، وبينما الأشياء المستحدثة التي لا تخالف الدين فهي مقبولة وجائزة، واعتبرها بدعة حسنة، ولذلك نجد يقول في موضع آخر: "البدعة الحسنة متفق علي جواز فعلها والاستحباب لها ورجاء الثواب لمن حسنت نيته فيها، ولا يلزم من فعله محذور شرعي (...). وهي من أنواع البر التي لم تكن في الصدر الأول من الإسلام"<sup>2</sup>، ومن هؤلاء العلماء القدامى المؤيدين لإحتفالية المولد النبوي نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الإمام جلال الدين السيوطي<sup>3</sup>، الحافظ ابن حجر العسقلاني<sup>4</sup>، الشهاب أحمد القسطلاني<sup>5</sup> ( شارح كتاب صحيح البخاري )، ومن العلماء المتأخرين نذكر: الشيخ حسنين محمد مخلوف<sup>6</sup> ( شيخ الأزهر )، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور<sup>7</sup> ( من علماء تونس )،

<sup>1</sup> - أشرف الفيصل، الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بين المؤيدين والمعارضين، مجلة ليلة خميس، مجلة إلكترونية تهتم بالموروث الشعبي، [www.lailat-khames.com](http://www.lailat-khames.com)، نشر بتاريخ: 2016 / 12 / 24، زيارة بتاريخ: 2017 / 07 / 23، على الساعة: 09: 20.

<sup>2</sup> - أشرف الفيصل، مرجع نفسه.

<sup>3</sup> - جلال الدين السيوطي، حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1985، ص 16، وقد بين فيه السيوطي مشروعية المولد، وردّ على من يقول ببدعية الإحتفال بالمولد، وكان السيوطي رحمه الله قد كتب هذا الكتاب رداً على كتاب عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني من متأخري المالكية الذي سّماه (المورد في الكلام على عمل المولد)، وادعى فيه أنّ عمل المولد بدعة مذمومة، فكان هذا الرد من السيوطي رحمه الله والذي أطلق عليه: "حسن المقصد في عمل المولد".

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص: 17، وقد ذكره السيوطي في كتابه واستشهد بكلامه في مشروعية الإحتفال بالمولد النبوي الشريف.

<sup>5</sup> - أحمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج1، تحقيق: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي بيروت، ط2، 2004

<sup>6</sup> - محمد مخلوف حسنين، فتاوى شرعية وبحوث إسلامية، ج1، دار الكتاب العربي، مصر، د ط، 1951.

<sup>7</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، ومضات فكر، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1982.

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

الشيخ محمد متولي الشعراوي<sup>1</sup>، الشيخ يوسف القرضاوي<sup>2</sup> وكذلك الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي<sup>3</sup>، وهكذا نجد الكثير من العلماء والدعاة القدامى والمعاصرين الذين أجازوا الاحتفال بالمولد النبوي باعتباره بدعة ولكنها حسنة لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والإستبشار بمولده والتذكير بسيرته ودعوته وتعاليم دينه، مع تجنّب إرتكاب المعاصي والمحرمات أثناء مظاهر الإحتفال بمولده.

**2 - الفريق المعارض:** يرى هذا الفريق أنّ الاحتفال بالمولد النبوي غير مشروع لأنّه بدعة لا يجوز فعلها باعتبار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعلها وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يقوموا بها، وهم من عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثرهم محبة له وأشدّهم تعظيماً له، ومن هؤلاء العلماء والمشايخ القدامى نذكر: شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>4</sup> رحمه الله، الإمام الشاطبي<sup>5</sup> رحمه الله، ومن العلماء المتأخرين نذكر: الشيخ عبدالعزيز بن باز<sup>6</sup> رحمه الله، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني<sup>7</sup>، إلى غيرهم من العلماء والدعاة الذين لم يجيزوا الاحتفال بالمولد النبوي لاعتبارات عديدة وردت في أقوالهم ومن أهمها:

<sup>1</sup> - محمد متولي الشعراوي، على مائدة الفكر الإسلامي، دار العودة، بيروت، ط1، دت.

<sup>2</sup> - يوسف القرضاوي، الاحتفال بمولد النبي والمناسبات الإسلامية، [www.al-qaradawi.net](http://www.al-qaradawi.net)، زيارة بتاريخ: 19 / 09 / 2017 على الساعة: 10: 14.

<sup>3</sup> - محمد سعيد رمضان البوطي، فتاوي عن المولد النبوي، [www.naseemalsham.com](http://www.naseemalsham.com)، زيارة بتاريخ: 20 / 09 / 2017، على الساعة: 10: 20.

<sup>4</sup> - احمد بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، ج1، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1998.

<sup>5</sup> - إبراهيم بن محمد الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، ج1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2008.

<sup>6</sup> - عبد العزيز بن باز، الإمام ابن تيمية لم يستحسن الاحتفال بالمولد النبوي، الموقع الرسمي للإمام عبد العزيز بن باز: [www.benbaz.org](http://www.benbaz.org)، زيارة بتاريخ: 25 / 09 / 2017، على الساعة: 17: 50.

<sup>7</sup> - محمد ناصر الدين الالباني، بدعة المولد، موقع صيد الفوائد: <http://saaid.net/mkatarat/Maoled/2.htm>، زيارة بتاريخ: 25 / 09 / 2017، على الساعة: 20: 15.

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

- الإحتفال بالمولد النبوي لا أصل له في الكتاب والسنة، ولم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة الكرام ولا التابعين وتابعيهم في القرون الثلاثة الفاضلة
- الإحتفال بالمولد النبوي عبادة، والعبادة توقيفية أي مبنية على التوقيف من الشرع ولا مجال للاجتهاد فيها.
- الإحتفال بالمولد النبوي بدعة محدثة.
- الإحتفال بالمولد النبوي تشبه بدين النَّصَارَى وأفعالهم.
- اشتغال الإحتفالات بالمولد النبوي على الكثير من المعاصي والمحرمات.

وعموما وبعد عرض آراء الفريقين فإنه يمكن القول بأنه إذا خلا الإحتفال بالمولد النبوي من الممارسات المحرمة والمنكرات، فلا حرج فيه، بل فيه من الفوائد الكثيرة والجليلة التي تعود على الأمة بالخير وإشاعة روح المحبة والأخوة والتعاون، والتذكير بمناقبه صلى الله عليه وسلم وشمائله، والتعريف بسنته وسيرته ورسالته.

### **ثالثا: الإحتفال بالمولد النبوي: النشأة والجدور التاريخية**

نسعى من خلال هذا المبحث إلى الاقتراب التاريخي من موضوع المولد النبوي الذي تتقاطع فيه عدة تخصصات كالتاريخ والفقهاء والتصوف والأدب والأنثروبولوجيا وغيرها، فالبحث في المصادر التاريخية لهذه الإحتفالية للوقوف على البدايات الأولى لهذه الإحتفالية متى انطلقت؟ وكيف تطوّرت عبر مختلف الفترات التاريخية إلى غاية وقتنا الحالي، من شأنه أن يفيدنا في رصد الطقوس الإحتفالية والعادات الاجتماعية التي كانت تُمارس قديما وتلك التي ظهرت بعد ذلك بفعل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي مرت بها الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، كما يفيدنا في تفسيرها في إطار سياقها التي ظهرت فيه، للوقوف على مختلف مظاهر هذا الإحتفال الرسمية منها والشعبية وآثارها الأدبية والعلمية والاجتماعية والدينية وأبعادها الحضارية والاجتماعية والنفسية والسياسية والفلسفية والجمالية

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

ومدى إسهامها في تشكيل الهوية الدينية للمجتمع الجزائري، إن تناول الجانب التاريخي لهذه الإحتفالية يساعدنا في الوصول إلى فهم أفضل للحياة الاجتماعية الحالية، بالإضافة إلى فهم الظاهرة نفسها فهما صادقا بعيدا عن الظن والتخمين، كما يهدف إلى معرفة ملامح هذه الظاهرة وشكلها العام ومدى اختلافها أو توافقها مع الإحتفالات الخاصة بالمولد في وقتنا الحاضر، وبالتالي رصد تلك التغيرات الحاصلة في طقوسه وممارساته.

### 1 - في فترة النبوة والخلفاء الراشدين:

"لم يثبت في السيرة النبوية أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام الإحتفال بمناسبة مولده صلى الله عليه وسلم خلال حياته كلها، كما لم يثبت أن أحدا من الخلفاء الراشدين، رضي الله تعالى عنهم أقام هذا الإحتفال بعد وفاته صلى الله عليه وسلم"<sup>1</sup>، وذلك لأنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان كل اهتمامهم العمل على توطيد أركان الدين في أنحاء الجزيرة العربية وتثبيت قواعد الإسلام في النفوس ونشر الدعوة المحمدية في الأمم المجاورة لأرضهم والشعوب المتاخمة لديارهم ثم التوسع في الجهاد لإعلاء كلمة الله ونشر رسالة الإسلام وطرق أبواب الفتوحات لإدخال الناس في دين الله "من أجل ذلك لم يفكروا في إحياء هذه الذكرى الكريمة، ذكرى المولد النبوي، ولم يجر لهم الإحتفال بها على خاطر، فإن الفرائض مقدمة على النوافل"<sup>2</sup> فكانت جهود الصحابة رضي الله عنهم مستغرقة في التوطيد لأركان الدين وهو ما شغلهم عن الالتفات لهذه المسائل الإحتفالية التي تعتبر من القضايا الفرعية بالمقارنة مع غيرها من المهام المنوطة بهم في تمتين عرى الإسلام وهداية الناس إليه.

<sup>1</sup> - حسن السندوبي، مرجع سابق، ص 18، بتصرف.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 18.

## 2- في فترة الخلافة الأموية:

جاء بعدهم الخلفاء من بني أمية، فانشغلوا بالعمل على تمكين قواعد ملكهم وتثبيت أركان دولتهم، وتوحيد أزمة الحكم والسلطان في أيديهم، إضافة إلى بعث البعث وإرسال الجيوش إلى أقاصي البلاد لفتحها ونشر راية الإسلام، " لذلك لم يركض خاطر العناية بالذكرى النبوية في رأس أحد من رؤوسهم، ولم يفكروا في أنّ للرسول الكريم يوم ميلاد يصح تذكره، أو اعتباره عيداً من أعياد الأمة الإسلامية ومواسمها الحافلة"<sup>1</sup>، وهكذا سار المسلمون في بني أمية على نفس المسار الذي سلكه الصحابة رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون في الاهتمام ببناء الدولة وتثبيت قواعد الحكم ونشر رسالة الإسلام.

## 3 - في فترة الخلافة العباسية:

بعد حكم الأمويين جاء خلفاء بني العباس، فكان أكبر همهم العمل للتمكين لإرساء قواعد حكمهم وقيام دولتهم، كما أنّ ذلك لم يشغهم على إعداد الجند وبتّ السرايا وحشد الجيوش لفتح البلاد المجاورة ونشر الإسلام؛ لهذه الأسباب كلها مجتمعة أو متفرقة، لم تجر فكرة اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم، عيداً إسلامياً، يحسن الاحتفال به في عهدهم، وهو ما ذهب إليه الكاتب "حسن السندوي" في كتابه ( تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول ) فيقول: "وعلى هذا لم أرى أحداً ممن عني بتدوين أخبار تلك الدول وتسجيل أحداثها وتحرير شؤونها وتصرفاتها، أشار من قرب أو من بعد إلى أن هذه الفكرة، فكرة الاحتفال بالمولد النبوي، ركضت لأحد من أئمتها في ضمير، أو خطرت لأحد من خلفائها وأمرائها على قلب"<sup>2</sup>، ومن ثم يمكن القول بأن الاحتفال

<sup>1</sup> - حسن السندوي، مرجع نفسه، ص 19.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 20

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

بذكرى المولد النبوي لم يتم القيام به في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلال حياته، ولا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يرقم به أحد من التابعين وتابعيهم سواء في عهد بني أمية أو بني العباس، ويؤكد هذا المعنى ما ذكره الحافظ أبو الخير السنخاوي رحمه الله أنه لم ينقل عن أحد من السلف الصالح أنه تم إقامة الإحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة: "لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، ثم لازال أهل الإسلام، من سائر الأقطار، والمدن الكبار يعملون المولد، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم"<sup>1</sup>، ومن ثم فالشيء المؤكد تاريخيا والذي تبين من أقوال العلماء القدامى والمحدثين أن ذكرى المولد النبوي لم يُحتفل بها في عهد النبوة ولا في عهد الصحابة رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون وكذلك خلال القرون الثلاثة الأولى أي في عهد الخلافة الأموية والعباسية.

### **4 - البدايات الأولى للاحتفال بالمولد النبوي: في فترة الدولة الفاطمية:**

إذا كانت الإحتفالات بالمولد النبوي لم تُقام خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة فكيف كانت بداياتها الأولى؟ وفي أي عصر؟ ومن أول من أقامها؟

لقد اختلفت المصادر في تحديد البدايات الأولى للاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الرأي الأول: فقد ورد في بعضها أن أول من احتفل بالمولد النبوي "أبوسعيد مظهر الدين بن زيد الدين" صهر "صلاح الدين" أمير أربل بالعراق، المتوفى عام 630 هـ<sup>2</sup>، فقد زار هذه المدينة "أبو الخطاب ابن دحية السبتي" وهو من كبار علماء المغرب في عصر الموحدين، وحين رأى احتفال الأمير "مظفر الدين" وولعه بعمل المولد النبوي الشريف ألف له كتابا

<sup>1</sup> - برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ، ص: 83.

<sup>2</sup> - أحمد بن خالد السلواوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ص 96، كما أورد ذلك: أبو بكر جابر الجزائري في كتابه الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ص 45.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

بعنوان: "التنوير في مولد السراج المنير"<sup>1</sup>، ومما يُروى أيضا أن "الأمير المظفر" ظل يقرأ كتاب "ابن دحية السبتي" في المشاهد الحافلة في أيام المولد النبوي من كل سنة، حتى أن "ابن خلكان" يقول: "أنه سمعه منه في ستة مجالس سنة 625 هـ"<sup>2</sup>، ومما ورد في اهتمام هذا الأمير بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف أنه "كان يفد إلى هذا العيد طوائف من الناس من بغداد، والموصل، والجزيرة، وسنجار، بل ومن فارس: منهم العلماء والمتصوفون، والوعاظ، والقراء، والشُعراء، من الحرم إلى أوائل ربيع الأول، وكان الأمير يقيم في الشارع الأعظم مناضد عظيمة من الخشب، ويُزَيَّنُّها، ويجلس عليها المغنّون، والموسيقيون، ولاعبو الحَيَّال حتى أعلاها"<sup>3</sup>، فهذه الرويات تؤكد إقامة إحتفالات المولد النبوي في القرن السادس الهجري وكانت تتم بشكل رسمي تحت رعاية الدولة ممثلة في الأمير الذي يُشرف عليها بنفسه ويعطي لها إهتماما كبيرا ومكانة خاصة ويتبين هذا من ذلك الحضور الضخم لموكب الاحتفال من المدعوين من مختلف الفئات والطبقات من جهة ومن مختلف البلدان المجاورة.

**الرأي الثاني:** وبالمقابل فقد ورد في مصادر أخرى أن البدايات الأولى للاحتفال بالمولد النبوي ظهرت رسميا في عهد الفاطميين بمصر حيث كانوا يحتفلون به ضمن احتفالهم بستة موالد أخرى، وهي مولد الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - ومواليد آل البيت: علي ابن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء ومولد الخليفة الحاضر"<sup>4</sup>، ويتوافق هذا الرأي مع ما أورده الإمام إسماعيل بن محمد الأنصاري بقوله: "أول من أحدثها بالقاهرة، الخلفاء الفاطميون، أوَّلهم المعز لدين الله، توجّه من المغرب إلى مصر في شوال سنة

<sup>1</sup> - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج13، مكتبة الصفا، ط3، 2000، ص 137.

<sup>2</sup> - حسن السندوبي، مرجع سابق، ص 56.

<sup>3</sup> - ابن كثير الدمشقي، مرجع سابق، ص 137.

<sup>4</sup> - محمد بخيت المطيعي، أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنّة والبدعة من الأحكام، القاهرة، مصر، 1329هـ، ص 44

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

361هـ<sup>1</sup>، ويؤيد هذا الرأي أيضا ما ذكره الإمام المقرئ عن أعياد الخلفاء الفاطميين<sup>2</sup>، حيث أشار من أن للفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، فذكرها وهي كثيرة جداً، وكان منها مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فهذه الآراء تؤكد إقامة الإحتفال بالمولد النبوي في القرن الثالث الهجري خلال حكم الفاطميين.

وخلاصة ذلك أنّ بعض العلماء يعتبرون البدايات الأولى للإحتفال بالمولد النبوي كانت خلال فترة الحكم الفاطمي في القرن الـ 3 الهجري، بينما يرى البعض أنّ فترة الحكم الأيوبي في القرن الـ 6 الهجري هي التي شهدت أول المراسيم لاحتفالات المولد النبوي، فكيف نوفق بين هذين الإتجاهين المختلفين؟ وجواب ذلك يكمن في الرجوع إلى أقوال المحققين من العلماء في تفسير هذا الاختلاف، وخلاصة ذلك يمكن تصنيفها إلى ثلاث آراء:

**الرأي الأول:** البدايات الأولى للاحتفالات بالمولد النبوي كانت في عهد الدولة الفاطمية في القرن الثالث الهجري، وأن المعز لدين الله الفاطمي المتوفي سنة 365 هـ. يُعتبر أول من أقام الإحتفال بالمولد النبوي باعتبار عامل الزمن فحكمه في مصر أسبق من حكم المظفر في العراق الذي توفي سنة 630 هـ.

**الرأي الثاني:** يُعتبر الأمير "المظفر" أول من أحدثه في أربل بالعراق، بينما "المعز لدين الله" أول من أحدثه في عهد الفاطميين في القاهرة.

<sup>1</sup> - إسماعيل بن محمد الأنصاري، القول الفصل في حكم الإحتفال بمولد خير الرسل، الرياض، 1405 هـ، ص 18  
<sup>2</sup> - أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار، بذكر الخطط والآثار، ج 2، مطبعة الساحل الجنوبي الشياح، لبنان، ص 389.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

الرأي الثالث: يُعتبر " الأمير "المظفر" أول من أحتفل بالمولد احتفالاً عظيماً، في حين كانت احتفالات الفاطميين هزيلة وأقل شأنًا لأن اهتمامهم كانت مركزة حول الاحتفالات بالمناسبات الشيعية وذكرى مولد الخليفة الفاطمي"<sup>1</sup>.

ومن ثم فإنّ الرأي الأول القائل بأن البدايات الأولى للإحتفالات بالمولد النبوي كانت خلال الفترة الفاطمية، وهو الرأي الذي عليه أغلب المؤرخين باعتبار عامل الزمن، لأن عهد الدولة الفاطميّة(القرن 3 هـ) أسبق من عهد الدولة الأيوبيّة (القرن 6هـ)، حيث الفارق بينهما حوالي ثلاث قرون.

### 5 - المولد النبوي في فترة الخلافة العثمانية: إستمرارية الاحتفالات

كانت الخلافة العثمانية تمثل الخلافة الإسلامية لعدة قرون، وقد كان لسلطين الخلافة العثمانية عناية بالغة بالاحتفال بالأعياد والمناسبات المعروفة عند المسلمين، ومنها ذكرى المولد النبوي، إذ كانوا يحتفلون به في أحد الجوامع الكبيرة بحسب اختيار السلطان، فلمّا تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة جعل الاحتفال بالمولد مقصوراً على الجامع الحميدي فقط "فقد كان الاحتفال بالمولد في عهده متى كانت ليلة 12 ربيع الأول يحضر إلى باب الجامع عظماء الدولة وكُبرائها بأصنافهم، وجميعهم بالملابس الرسمية التشريعية، وعلى صدورهم الأوسمة، ثم يقفون في صفوف انتظاراً للسلطان"<sup>2</sup>، ثم يواصل الباحث حسن السندوبي وصف الطقوس الإحتفالية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بقوله: "فإذا جاء السلطان، خرج من قصره راكباً جواداً من خيرة الجياد، بسرج من الذهب الخالص، وحوله موكب فخم، وقد رُفعت فيه الأعلام، ويسير هذا الموكب بين صفين من جنود الجيش العثماني وخلفهما جماهير

<sup>1</sup> - محمد خالد ثابت، تاريخ الاحتفال بمولد النبي ومظاهره حول العالم، ط1، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 27 نقلا عن مقالة موثقة بالمراجع التاريخية كتبها الأستاذ عبد العزيز آيت سي - الباحث في التاريخ المعاصر - وعنوانها: الاحتفال بالمولد النبوي والمغاربة: الجذور التاريخية، كما يمكن الرجوع إلى: محمد المنوي، ورقات عن حضارة المرينيين، ط3، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص ص: 518 - 520

<sup>2</sup> - حسن السندوبي، مرجع سابق، ص 225.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

الناس، ثم يدخلون الجامع ويبدأون الإحتفال بقراءة القرآن، ثم بقراءة قصة مولد النبي محمد، ثم بقراءة كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على النبي، ثم ينتظم بعض المشايخ في حلقات الذكر، فينشد المنشدون وترتفع الأصوات بالصلاة على النبي، وفي صباح يوم 12 ربيع الأول، يفد كبار الدولة على اختلاف رتبهم لتهنئة السلطان.<sup>1</sup> هكذا حافظت الإحتفالات الرسمية في الفترة العثمانية على ترسيم هذه المناسبة الدينية التي تتقاطع فيها الشعائر الإسلامية بالعادات الاجتماعية والطقوس الإحتفالية.

### 6 - في منطقة شمال إفريقيا والجزائر:

في تونس فقد اختلفت الروايات حول البدايات الأولى للاحتفال بذكرى المولد النبوي، فهناك من يرجعها إلى عهد الدولة الفاطمية، وهناك من ينسبها إلى عهد الدولة الحفصية، بالنسبة للرأي الأول يرى أصحابه أن تونس شهدت الإحتفال بالمولد النبوي لأول مرة في عهد الدولة الفاطمية عندما تم تأسيسها في مدينة المهديّة التونسية، وهو ما ذهب إليه الباحث والمؤرخ التونسي عبد الستار عمّامو بقوله: "إن الإحتفال بالمولد النبوي الشريف عادة حافظ عليها ملوك وزعماء ورؤساء تونس منذ قرون عديدة، تمتد إلى العهد الفاطمي سنة 900 م<sup>2</sup>، بينما يرى أصحاب الرأي الثاني أن أول ظهور للاحتفال بذكرى المولد النبوي كان في عهد الدولة الحفصية، وفي هذا يقول أحد الباحثين التونسيين: " أول احتفال تونسي بالمولد يرجع إلى عهد أمراء الدولة الحفصية، وكان في أول المائة الثامنة للهجرة، وقد سلكوا في ذلك مسلك سلاطين بني مرين وقد كان موسم المولد في عهد السلطان أبي فارس

<sup>1</sup> - حسن السندوبي، مرجع نفسه، ص 226.

<sup>2</sup> - المصري اليوم، الإحتفال بالمولد النبوي في تونس: مديح بالمساجد وزيارات للأضرحة وأكلات شعبية، [www.almasryalyoum.com](http://www.almasryalyoum.com)، نشر بتاريخ: 11/12/2016، زيارة بتاريخ: 08/06/2017 على الساعة: 16:22.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

عبد العزيز مظهرا للزينة والصدقات وإحياء ليلته بالتلاوة والأناشيد وقصائد المديح<sup>1</sup>، ويتفق هذا القول مع ما ذكره الكاتب حسن السندوي في كتابه - تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول- بقوله: " أول من عني بتعظيمه في البلاد المغربية وأظهر شعائر الولادة المحمدية السلطان أبو عنان المريني، شكر الله سعيه، ثم اقتدى به بنو أبي حفص في الديار التونسية، وأولهم أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز، وكان في أول المائة الثامنة"<sup>2</sup>، أما مظاهر الاحتفال فقد أشار إليها الباحث في مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان عبد القادر الغابري بقوله: " اصطبغت طقوس الاحتفال في ذلك العهد بطابعين أحدهما جمالي فني والثاني اجتماعي وإنساني، فبالنسبة للطابع الأول فلا شك أنه مقترن بحجم السلطنة وقوة سلطاتها، وقد تجلّى ذلك في المبالغة في تزيين المدينة وإضاءة الجوامع وإكثار المدائح والأناشيد حيث يتم جمع صبيان الكتاتيب لإنشاد قصيدة البردة للإمام البصيري، وأما الطابع الإنساني والاجتماعي فيبرز في تزايد الصدقات سواء ليلة المولد النبوي أو بعده ولا سيّما إثر ختم التلاوة"<sup>3</sup>، ثم تواصلت مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي بعد ذلك في فترات الحكم المختلفة التي حكمت البلاد سواء على مستواها الشعبي والرسمي.

أما في بلاد المغرب فإن البدايات الأولى للاحتفال بالمولد النبوي تعود إلى منتصف القرن السادس الهجري في عهد الموحدين الذين حكموا بلاد المغرب حيث ألف أبو العباس أحمد بن محمد العزفي المتوفي عام 639 هجري كتاب " الدر المنظم في مولد النبي المعظم "

<sup>1</sup> - محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، ط1، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص: 236

<sup>2</sup> - حسن السندوي، مرجع سابق، ص235

<sup>3</sup> - عبد الباسط الغابري، طقوس الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بتونس بين الأمس واليوم، موقع تورس، [www.turess.com](http://www.turess.com)، نشر بتاريخ 25 / 02 / 2010، دخول بتاريخ: 08 / 06 / 2017 على الساعة: 15 : 26

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

الذي أكمله ابنه الرئيس أبوالقاسم المتوفي عام 677هـ<sup>1</sup>، يذكر فيه مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم ويصف فيه مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

كما عرف الاحتفال بالمولد النبوي ازدهارا كبيرا في عهد المرينيين " فكان الملوك أنفسهم يرأسون مهرجانات المولد، حيث أصدر السلطان أبو يعقوب يوسف المريني أمرا بوجوب إحياء ليلة المولد النبوي واعتبارها عيدا رسميا كعيدي الفطر والأضحى "<sup>2</sup>، وهذا يدل تشبث المسلمين بتعاليم الدين وبكل ما يربطهم به من حب الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره والتعلق به.

### البدايات الأولى للاحتفال بالمولد النبوي في الجزائر:

أما في الجزائر فإن البدايات الأولى للاحتفال بالمولد النبوي تعود إلى عهد الدولة الزيانية، وهو ما ذكره العلامة ابن المقرئ التلمساني في كتابه " نفح الطيب " حيث ذكر " أنه في سنة 760 هـ بدأت احتفالات بني زيان في تلمسان أيام السلطان أبوحمّو موسى الثاني"<sup>3</sup>، وقد كان السلطان أبوحمّو موسى يحتفل ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك "<sup>4</sup>، وهذا ما أكده حسن السندوبي في كتابه حيث يقول: " فقد كان سلاطين آل زيان في مملكة تلمسان من ممالك إفريقية الإسلامية يحتفلون بالمولد الشريف على رسوم وتقاليد غاية في البهجة والجلال، وكانوا يتبارون في الحفاوة به والافتنان في شؤونه، لا سيّما في عهد السلطان " أبوحمّو " من آل زيان، فقد عني به عناية خاصة تفوّق بها على أسلافه"<sup>5</sup>، فقد كان من

<sup>1</sup> - محمد خالد ثابت، مرجع سابق، ص 135.

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص ص: 137 - 138.

<sup>3</sup> - مرجع نفسه، ص 28.

<sup>4</sup> - محمد المنوبي، مرجع سابق، ص ص: 537 - 538

<sup>5</sup> - حسن السندوبي، مرجع سابق، ص 227

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

أكبر المشجعين على الإحتفال به، وقد أولاه أهمية كبيرة، وعناية خاصّة في الحرص على الإحتفال به، فقد كان " يُشرف على هذه الإحتفالات بنفسه، ويقوم لها بقصره عرسا من الزينة والجمال؛ فقد كان يدعو اهل الرأي والعلم والفضل من سكان تلمسان في كل مولد يصادفه (...) وكان المحتفلون يقضون الليل كله في ترديد الأوراد والأذكار الخاصة لمذح النبي"<sup>1</sup>، وهذا حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقا به وبيدته، وقد كان "إهتمام ملوك دولة بني زيان بالاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف شأنهم في ذلك شأن بني الأحمر في الأندلس وبني مرين بفأس، وغيرهم من السلاطين"<sup>2</sup>، وفي هذا تأكيد لعناية الزيانيين بذلك القدر من الاهتمام الكبير بالمولد النبوي وعناية السلطان أبوحمّو بنفسه على هذه الإحتفالات والإشراف عليها.

### في دولة الأمير عبد القادر الجزائري: الممارسات الإحتفالية بطابع عسكري جهادي

كان الأمير عبد القادر الجزائري قائد المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي يجيى ذكرى المولد النبوي، وقد أورد ابنه محمد في كتابه " تحفة الزائر " نصّا أوضح فيه طريقة إحتفال الأمير بهذه المناسبة جاء فيه: "كان يُحتفل للمولد النبوي أيام إمارته (الأمير) إحتفالا عظيما، فيخرج يوم المولد الشريف هو وخاصته وأمرأه جيشه إلى أرض فيحاء متسعة، ثم تصنع العسكر فيها شبه محاربة، بحيث تقف العسكر المشاة المنظمة كهيأة قلعة مربعة الأركان، ويضعون ما يحتاجون إليه من البارود والذخائر وسط تلك القلعة، ويجعلون في كل ركن من

<sup>1</sup> - عبد القادر خليفى، المولد النبوي الشريف في الجزائر، مجلة العلوم الانسانية، جامعة وهران1، عدد 10، بتاريخ: 2016/6/1، ص ص: 13- 38، نقلا عن عبد الملك مرتاض، حركة الشعر المولدي في تلمسان على عهد أبي حمو الثاني، مجلة الأصالة، العدد 26، رجب - شعبان 1395هـ / جويلية - أوت 1975م، عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها.

<sup>2</sup> - عبد الحميد حاجيات، أبو موسى الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص: 220 - 223.

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

أركانها مدفعين (...). فيشاهد الناظر من تلك الأفعال ما تقرّ له الأعين وتبتهج به النفوس، وتقول في حقه الألسن لا عطر بعد العروس"<sup>1</sup>.

إن إحتفال الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة بالمولد النبوي في ذلك العصر، دليل على وجود هذا الإحتفال بين مختلف فئات الشعب الجزائري من حوله من جهة، كما أنه تقليد لما سار عليه سلفه من الجزائريين من جهة أخرى، ونظرا لظروف الأمير الحربية والجهادية، وطبيعة الأوضاع التي تعيشها البلاد في تلك الفترة، فقد ربط الممارسات الإحتفالية بالظاهرة العسكرية من خلال إشراك أفراد جيشه وإستعراض فرق الخيالة وسط أجواء من ألعاب الفروسية وإطلاق البارود، فهي ممارسات تشبه الإستعراضات العسكرية في وقتنا الحاضر، والتي تمثل إحدى المظاهر الإحتفالية للأمير عبد القادر الجزائري بالمولد النبوي في وقته.

### **في عهد عبد الحميد بن باديس... إغتنام المناسبة لبث الوعي الديني والوطني**

لم يشذ الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الذين سبقوه في إحياء ذكرى المولد النبوي، فقد كان أحد أعلام الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، وزعيما لأهم مؤسسة ثقافية وتربوية وإصلاحية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، ألا وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث يذكر "الشيخ مسعود البشير بن الشيخ" أحد أعضاء الجمعية أن الإمام عبد الحميد بن باديس: "كان يغتتم المناسبات الدينية مثل ذكرى المولد النبوي الشريف وشهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى ليقيم نشاطات ثقافية ودينية لبث الوعي الوطني والديني في أوساط الشعب الجزائري، لذلك فقد كان الإحتفال بذكرى المولد النبوي بحضور الأفواج الكشفية "الرجاء" و"الصباح" في سنة 1937"<sup>2</sup>، فطبيعة المرحلة التي كان يعيشها

<sup>1</sup> - محمد الحسني بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، سيرته السّيفية، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص ص: 203-204

<sup>2</sup> - مسعود البشير بن الشيخ، أوراق من الذكريات، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2011، ص: 58

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

المجتمع الجزائري تحت نير الإستعمار الفرنسي جعلت إحياء ذكرى المولد النبوي من طرف الإمام ابن باديس تأخذ طابع الدعوة وبث الوعي الديني والوطني بين أفراد المجتمع، ومما ورد أيضا مانقلته مجلة البصائر " أن جمعية التربية والتعليم الاسلامية في قسنطينة، في عهد ابن باديس، أقامت حفلا ليلة المولد لسنة 1939، أحيته النساء القسنطينيات فقط بالجامع الأخضر، وأن عددهن قد جاوز الألف امرأة، ولم يحضر من الرجال إلا زهاء عشرين، كان لا مناص من حضورهم لتنظيم الحفل، كما حضرها الشيخ ابن باديس وألقى كلمة بهذه المناسبة<sup>1</sup>، ويتضح من كل ذلك أنّ الإحتفال بذكرى المولد النبوي كان تقليدا راسخا في الأوساط الجزائرية الرسمية منها والشعبية منذ عهد بعيد، حُبّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقا به وبدينه، وإن اختلفت مظاهر هذا الإحتفال وأشكاله وممارساته من عهد إلى آخر، ومن فترة إلى أخرى، وذلك بحسب الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري.

إنّ هذه المقاربة التاريخية في كشف البدايات الأولى لهذه الإحتفالية ثم تتبع مسارها عبر فترات الحكم المتتالية التي حكمت البلاد العربية والإسلامية وصولا إلى منطقة شمال إفريقيا والجزائر، من شأنها أن تساعدنا على فهم أبعادها الإجتماعية دلالاتها الرمزية وكشف التغيرات الحاصلة فيها وذلك مقارنة بمظاهر هذه الإحتفالية اليوم.

### **رابعا: إحتفالية المولد النبوي في المجتمع التبسي: الطقوس والممارسات**

يحتفل المجتمع الجزائري اليوم بذكرى المولد النبوي الذي يُصادف اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام، وإن كانت أشكال الإحتفاليات تتشابه في مظاهرها العامة إلا أنّها تتنوع في بعض تفاصيلها وجزئياتها من منطقة إلى أخرى، بل من عائلة إلى أخرى في المنطقة الواحدة وذلك بحسب العادات والتقاليد التي تتوارثها العائلات، ومنطقة تبسة كغيرها

<sup>1</sup> - محمدالصالح رمضان، البصائر، عدد: 167، الصادرة يوم 1939/05/26.

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

من مناطق الجزائر يحرص سكانها على إحياء هذه المناسبة وتُؤلّفها إهتماما كبيرا، ويمكن تصنيف المظاهر الإحتفالية على المستوى الوطني والمحلي إلى قسمين كبيرين: إحتفالات رسمية وأخرى شعبية، ولكل قسم منها مظاهره وأشكاله المميزة.

### **1 - المظاهر الإحتفالية ذات الطابع الرسمي للمولد النبوي:**

#### **أ- يوم الإحتفال: يوم عطلة مدفوعة الأجر**

إعتبر المشرّع الجزائري<sup>1</sup> مناسبة المولد النبوي يوم عطلة مدفوعة الأجر، لجميع عمال الوظيفة العمومية ومُؤسّسات الدولة، من خلال ما نصّ عليه القانون رقم 278/63 الصادر في 26 يوليو/ تموز 1963، المحدد لأيام العطل الرسمية في الجزائر، باعتبار أن الجزائر بلد مسلم ويدين بالإسلام كما هو مُحدّد في المادة الثانية من الدستور "الإسلام دين الدولة"<sup>2</sup>، وتتجلى مظاهر الإحتفالات الرسمية بهذا العيد في تزيين الشوارع بالأعلام الوطنية، واستقبال رئيس الجمهورية للطواقم الوزاري وعدد من الشخصيات الوطنية وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد في الجزائر لتلقّي التهاني وتبادل التبريكات، إضافة إلى الدور الذي تؤديه المساجد والزوايا والطرق الصوفية من جهة ووسائل الإعلام ومُؤسّسات الدولة المختلفة من جهة أخرى، وهذه بعض مظاهر الإحتفال الرسمية بهذه المناسبة:

#### **ب - بيوت الرحمن... ذكر وقرآن:**

تشهد المساجد حضورا كبيرا في إحياء هذه المناسبة الدينية من خلال ما تضعه من برامج ثرية ومتنوعة تُشرف عليها مديرية الشؤون الدينية بولاية تبسة بالتنسيق مع وزارة الشؤون الدينية، تتضمن ملتقيات دينية وندوات علمية وإلقاء خُطب ومحاضرات تتناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح أبعادها واستخلاص ماجاء فيها من دروس وعبر ومعاني

<sup>1</sup> - يمكن الاطلاع أكثر على القانون 278/63 المؤرخ في 26/7/1963، والمعدل بالقانون 06/05 المؤرخ في 17 ربيع الأول 1426 الموافق 26 أفريل 2005، المحدد لقائمة الأعياد الرسمية، الجريدة الرسمية، عدد 30، سنة 2005، ص 05

<sup>2</sup> - الدستور الجزائري، مارس 1996، الجريدة الرسمية، عدد: 14، المؤرخة في 07 مارس 2016، ص 06

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الاحتفالية والممارسات الاجتماعية والدلالات الرمزية**

دينية واجتماعية، كما يتم تنظيم مسابقات فكرية ودينية تُحتتم بتوزيع الجوائز وتكريم المتفوقين، وفي هذا الإطار شهدت مساجد الولاية - تبسة - عدة نشاطات عاش من خلالها المصلون أجواء روحانيا في رحاب تلك الخطب والدروس التي أشرف عليها الأئمة، والمدائح الدينية التي نشطها شباب بعض الجمعيات المحلية، يقول أحد المبحوثين " في عيد المولد يلقي الإمام في المسجد دروس بالمناسبة خاصة بعد صلاة العصر أو صلاة المغرب يحضرها المصلون ويجيبوا معاهم أولادهم"<sup>1</sup>، كما شهد المسجد الكبير "الشيخ العربي التبسي" في عاصمة الولاية الاحتفال الرسمي لهذه المناسبة، والذي أشرف عليه السيد والي الولاية وأعضاء السلطات المحلية المدنية والعسكرية والأمنية، كما قامت الزوايا والطرق الصوفية في الولاية - على قلتها - بإحياء هذه المناسبة الاحتفالية من خلال حلقات الذكر والتسييح والدعاء وتلاوة القرآن الكريم.

### **ج - وسائل الإعلام: أفلام ومدائح دينية**

من جهة أخرى تُعتبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة من المؤسسات الفاعلة في المجتمع ، ولذلك يكون حضورها قويا ومُتميزا في إحياء هذه المناسبة الدينية بعرض المسلسلات والأفلام الدينية مثل فيلم الرسالة، وبرمجة العديد من النشاطات والحصص من ندوات علمية ومحاضرات فكرية وموائد مستديرة يُشرف عليها مؤرخون وباحثون وأئمة يقومون بتحليل هذه المناسبة الاحتفالية مبرزين أبعادها الدينية وعاداتها الاجتماعية وجذورها التاريخية وأهم العبر والدروس المستخلصة منها، وفي هذا الإطار قامت الاذاعة المحلية بتبسة بتنظيم العديد من الحصص بالمناسبة تضمنت برامج دينية نُحَصِّصت للحديث عن ذكرى المولد النبوي وكشف أبعادها المختلفة أشرف عليها بعض الأئمة من مساجد الولاية، بالإضافة الى تنظيم مسابقات دينية حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب عليها

<sup>1</sup> - المبحوث رقم:05.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

المستمعون بالإتصال الهاتفية، كما تم برجة فقرات للأغاني والمدائح الدينية ، قُدمت خلالها التهاني والتبريكات بين المستمعين، يقول أحد المبحوثين " في هاذ المناسبة تقدّم القنوات التلفزيونية مسلسلات وأفلام دينية وحتى الإذاعة انتاع تبسة تقوم بتقديم حصص خاصة فيها أغاني ومدائح دينية"<sup>1</sup>، فالقنوات التلفزيونية والاذاعات المحلية ومختلف وسائل الإعلام الوطنية العمومية والخاصة لها دورها الفعال في توجيه المجتمع وغرس القيم ونشر الفضيلة والمساهمة في التنشئة الاجتماعية ولذلك تُسجل حضورها بقوة في مثل هذه المناسبات الإحتفالية.

### 2 - المظاهر الإحتفالية للمولد النبوي ذات الطابع الشعبي والعائلي:

أما المظاهر الإحتفالية الشعبية فهي تلك النشاطات التي يقوم بها أفراد المجتمع ومختلف العائلات وأفراد المجتمع، وهو ما سنحاول رصده بالوقوف على تمثلات المجتمع لهذه المناسبة، ورصد طقوسها الإحتفالية وشعائرها الدينية وعاداتها الاجتماعية، مُحاولين إبراز دالاتها الرمزية ووالبحث في أبعادها المختلفة وكشف أهم التغيرات الحاصلة فيها.

أ- الإحتفاليات عند الأطفال: يُعتبر الأطفال من أكثر الفئات الاجتماعية حُبًا لحضور الإحتفاليات والافراح وإحياء الأعياد والمناسبات، ولذلك نجدهم أول من يشارك فيها، مما يعطيها طابعا خاصا من المرح والفرجة والإبتهاج، الشيء الذي يجعل هذه الإحتفاليات إحدى أهم وسائل التنشئة الاجتماعية التي تساهم في غرس القيم ومعاني الإنتماء والهوية الدينية والثقافية وترسيخ المشاعر الإيجابية والأجواء الروحيّة.

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 04

● **المفرقات والألعاب النارية: أولوية الأولويات عند الأطفال**

تتجلى مظاهر الاحتفال عند الأطفال في منطقة تبسة بالخروج مع الآباء والأمهات لشراء الملابس الجديدة وكل ما يلزم هذه المناسبة وخاصة المفرقات والألعاب النارية<sup>1</sup> التي أصبحت من العلامات المميزة لهذه الاحتفالية، كما يرافقون الآباء لحضور الدروس المسجدية وخاصة المسابقات الدينية التي يتم تنظيمها خصيصا بهذه المناسبة، حيث تنتهي بتوزيع الجوائز على الفائزين في جوّ من البهجة والسرور والفرح بالنجاح، كما يقوم الأطفال وخاصة البنات مشاركة الأم تحضير أطباق الأكلات والحلويات التقليدية التي يتم تحضيرها في البيت، حيث ما إن يُجَيِّم الليل ويجلّ الظلام حتى يُسارع الأطفال والشباب لبدء مراسيم الاحتفالات التي أنتظروها طويلا، حيث يلتقون جماعات جماعات، لتنتقل سلسلة "القصف والتفجيرات" بإشعال الألعاب النارية والمفرقات التي يُسمع دويّها في كافة الأحياء في المدينة، وقد كانت الصواريخ والمفرقات الأكثر تداولا؛ مفرقة يُطلق عليها الشباب إسم "داعش"، حيث يُسمع دويّها بمختلف الأحياء، خاصة فوق بعض السكّانات والفيلات الراقية، بحكم أن شبابها هم الأقدر ماديا على شرائها لغلاء ثمنها، والذي بلغ حوالي 10 آلاف دينار؛ ويتواصل "القصف" فتترنّ السّماء بالأضواء الكاشفة ويمتزج دوي الانفجارات بمختلف الألوان التي صنعتها هذه الألعاب النارية من الصواريخ والشماريخ والمفرقات ليتحوّل سُكون الليل إلى ضخب يرتسم في أفاقه أشكالا وألوانا زاهية في جو من الفُرجة والمتعة؛ وتستمر الأجواء على هذه الحال إلى ساعة متأخرة من الليل، حيث يجد أغلب المواطنين، صعوبة في النوم، ومما تجدر الإشارة إليه ما يُصاحب هذه الاحتفاليات من ظواهر تُحوّل الاحتفال بالمولد النبوي إلى مناسبة تُؤرق العائلات لما ينجر عن إستعمال هذه الألعاب النارية من حوادث وعاهات

<sup>1</sup> - في كل مناسبة من مناسبات المولد النبوي يتمكن تجار الالعاب النارية والمفرقات كعادتهم من إدخال كم هائل من الألعاب النارية بمختلف أنواعها وأشكالها إلى داخل الوطن وإغراق الأسواق المحلية بها، بالرغم من الرقابة التي تفرضها مصالح الأمن والجهات المختصة في مثل هذه المناسبات.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

للأطفال تؤدي ببعضهم إلى إصابات خطيرة قد تصل إلى فقدان البصر وإصابات بليغة على مستوى الأصابع وحروق على مستوى الوجه والجلد ومناطق الجسم المختلفة، إضافة إلى تلك المبالغ المالية الكبيرة التي صرفت عليها.

### ● ختان الأطفال وتسمية المولود الجديد في ليلة المولد النبوي:

تُحظى ليلة المولد النبوي بقدسية كبيرة عند الجزائريين عموماً وفي منطقة تبسة خصوصاً لا يُضاهيها إلا قُدسية ليلة القدر، وتبركا بهذه الليلة يُفضّل البعض ختان أبنائهم في ليلة المولد النبوي اتباعاً لعادات وتقاليد متوارثة عن الأجداد، حيث تقوم بعض الجمعيات الخيرية بتنظيم ختان جماعي لأبناء العائلات المعوزة وذوي الدخل الضعيف، في محاولة لزرع الفرحة والسّرور على هذه العائلات، ومما لمسناه عند الكثير من المبحوثين أن بعض العائلات التي تُرزق بمولود أيام المولد النبوي، فإنّها تحرص على تسميته بـ "المولدي" أو "ميلود"، وهذا تبركا بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يُسمّيه باسم "محمد"، وذلك حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقا به، وقد يسمونه باسم مركب: كمحمد علي، محمد الأمين، محمد الطاهر، محمد الشريف، محمد الصادق، كما قد يسمونه: محمود، أحمد، مختار، طه، الحبيب، الطيب، البشير، بلقاسم، الصادق، الهاشمي، التوهامي، المكّي، مصطفى إلى غيرها من الأسماء<sup>1</sup> التي تحمل دلالات قوية عن حب المجتمع التبسي لنبئهم صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به، أما إذا كانت المولودة بنتا، فنجد إسم: فاطمة، فطيمة، الزهرة، آمنة، يمينة، حليلة، خديجة، زينب، أم كلثوم، عائشة إلى غير ذلك من الأسماء التي تدل على حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به وبأهل بيته.

<sup>1</sup> - هذه الأسماء تمت الإشارة إليها من طرف الكثير من المبحوثين الذين قمنا بإجراء المقابلات معهم.

**ب - المظاهر الاحتفالية بالمولد النبوي في العائلة التبسيّة:**

تبدي العائلة التبسية كغيرها من العائلات الجزائرية إهتماما كبيرا بإحياء هذه المناسبة في أجواء روحية واجتماعية، حيث تحرص على التحضير المبكر في اقتناء مُتطلبات هذه المناسبة سواء ما تعلق بمستلزمات الأطباق والمأكولات والحلويات التقليدية المراد إعدادها، أو بقية المستلزمات الأخرى المتعلقة بهذه الاحتفالية لما لهذه المناسبة من مكانة في حياة الأفراد والعائلات في المجتمع التبسي.

ويمكن رصد المظاهر الاحتفالية لذكرى المولد النبوي في منطقة تبسة في عدة مستويات:

• **الأسواق الشعبية: حركية إقتصادية واسعة وغير معتادة**

تشهد الأسواق الشعبية بهذه المناسبة حركية واسعة ونشاط كبير، حيث تعرف مختلف الشوارع وأرصفتها الأزقة والطرقات طاولات على اختلاف الأشكال والأحجام تعرض مختلف السلع التي تتطلبها هذه المناسبة مما يجعلها مقصدا لمختلف العائلات من الرجال والنساء وربّات البيوت وحتى الشباب والأطفال لاقتناء مايلزمهم في هذه المناسبة، فأسواق اللحم وخاصة لحوم الدواجن تشهد ازدهارا كبيرا من النساء والرجال مما يجعل التجار يستغلون ذلك برفع الأسعار، ونفس الملاحظة سجلناها في أسواق الخضار والفواكه، إلا أن ربّات البيوت ليس هن من ملجأ وسط الرغبة في شراء كل مايلزم من متطلبات أطباقهن المفضلة حتى تكون وفق المواصفات التقليدية المطلوبة، كما تنتشر طاولات بيع البخور والعنبر ومختلف أنواع الروائح والطيب، حيث يلجأ بعض الباعة إلى إشعال بعض أعواد العنبر والبخور لجذب الزبائن والمشتريين، وهناك طاولات أخرى للمفرقات والألعاب النارية التي غزت الأسواق وتنتشر في كل مكان والأطفال يحيطون بها من كل جانب للتعرف على أثمانها ومختلف أنواعها، وحسب أحد المبحوثين من الباعة<sup>1</sup> فقد كانت أشهر المفرقات في السنوات الماضية

<sup>1</sup> - المبحوث رقم: 12

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

تحمل أسماء مختلفة من بينها: مفرقات تحمل إسم زعيم تنظيم القاعدة "بن لادن"، وأخرى تحمل إسم اللاعب الدولي الفرنسي ذو الأصول الجزائرية "زيدان"، وأخرى بإسم الرئيس العراقي "صدام" إضافة إلى مفرقات أخرى تحمل أسماء مثل: "الصاروخ" و"دوبل بومب" الذي وصل سعرها إلى 3300 دج، أما المفرقات الجديدة فإنها تحمل أسماء جديدة وغريبة، وذلك حتى تستهوي الشباب والأطفال والمراهقين، ومن أشهرها "داعش" التي تتميز بقوة انفجارها كما يبدو من إسمها، وقد وصل سعرها إلى 10000 دج، كما نجد نوع يسمى "الشيطانة" التي تتميز بقوتها وخطورتها ويتراوح سعرها بين 6500 دج إلى 7500 دج للعبة الواحدة، وكما توجد أنواع أخرى أقل ثمنا مثل "البركان" و"تيتانيك" و"النمر" التي تحمل صورة النمر على غلافها، والتي تتراوح أسعارهم بين 500 دج إلى 600 دج.

كما تنتشر أنواع أخرى من الألعاب النارية والمفرقات ذات الطلقات المتعددة والتي تتميز بشدة انفجارها واختلاف الأضواء والألوان والروائح المنبعثة منها، مثل مفرقة "الكوبرا" و"الكوموندوس" و"البوق" التي تتميز بشدة 8 طلقات وهناك مفرقة "الكيلي" نسبة إلى إسم منطقة في الصين وتتميز بحركتها أرضا ثم تصعد وتنفجر في السماء ويصل سعرها إلى 650 دج، وهناك "المانونة" نسبة إلى إسم جبل في الصين وتتميز بانفجارها المدوية ويصل سعرها إلى 900 دج، إضافة إلى مفرقة "الباتري" وهي أشبه ببطارية تحتوي على 60 طلقة مدوية في السماء ويصل سعرها إلى 1800 دج، إضافة إلى الشماريخ التي يصل سعرها إلى 3000 دج، وهي الأكثر إقبالا من طرف الأطفال والشباب، والملاحظ هنا أنه عندما حاولنا التقرب من بعض الشباب الذين يبيعون هذه المفرقات قصد استجوابهم للتعرف على مصادر الحصول على هذه المفرقات وكيفية تسويقها في ظل الرقابة الأمنية المضروبة على تجارة هذه السلع وجدنا الكثير من الصعوبات في البداية حيث تم رفض تصوير طاولاتهم والسلع المعروضة عليها، ظنا منهم أننا من الأمن السري، إلا أن معرفتنا لبعض

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

الباعة الشباب<sup>1</sup> ممن كانوا يدرسون عندنا في الثانوية جعلت البعض يطمئن لنا وهو ما ساعدنا على محاورتهم والحصول على بعض المعلومات وأخذ عدة صور لطاولاتهم والسلع المعروضة عليها.

ونتيجة لما تخلفه هذه الألعاب من مخاطر تتعالى الأصوات والنداءات ككل عام محذرة من خطورة هذه الألعاب، وخاصة على فئة الأطفال التي تعتبر المتضرر الرئيسي في معارك المفرقات، هذا طبعا دون حساب تلك المصاريف الكبيرة التي تنفقها العائلات، والتي تتعدى الملايين وتتجاوز حدود التبذير، إلا أن إصرار الشباب والأطفال على اقتناء هذه الألعاب النارية والمفرقات مهما ارتفع سعرها وزاد ثمنها، وفي هذا المعنى يقول أحد الباحثين " عيد المولد عند الأطفال بلا مفرقات ما عندوش طعم"<sup>2</sup> فلا يمكن أن تمر ذكرى المولد النبوي في نظر الكثيرين دون ألعاب نارية ومفرقات يغزو دويها وصوتها عنان السماء، فهي كالمالح للطعام في نظرهم.

### • ربّات البيوت: والتحضير للمناسبة الإحتفالية

تحرص النسوة وربّات البيوت على التحضير المسبق لهذه المناسبة الدينية لإسعاد أفراد العائلة بأطباقها وحلوياتها، فمُتطلبات المناسبة تختلف عن سائر الأيام من حيث مأكولاتها وحلوياتها وطبيها وزينتها، تقول إحدى الباحثات " عيد المولد نحضرولوا بكري، نشروا ليه كل مايلزم"<sup>3</sup>، ولذلك يتم تحضير مستلزمات أطباق المأكولات، والحلويات التقليدية التي يتم إعدادها بيومين أو ثلاثة حسب نوعها وحجمها وكميتها حتى تكون المائدة ليلة الإحتفال مليئة بكل ما لذّ وطاب، كما يُلجأ إلى هذا التحضير المسبق تجنباً لما يمكن أن يحدث من

<sup>1</sup> - المبحوث رقم 12

<sup>2</sup> - المبحوث رقم 12

<sup>3</sup> - المبحوثة رقم: 16، ويقصد بكلامها: بكري: أي مُسبق، بمعنى أن التحضير لاحتفالية المولد النبوي يكون مسبقاً وقبل مواعده وتاريخه حتى يتم شراء كل المتطلبات والمستلزمات وتحضير ما تتطلبه هذه الاحتفالية.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

مفاجأة غير سارة مثل اختفاء بعض السلع من الأسواق نظرا لكثرة الطلب عليها، أو غلاء أسعارها، كما يكون الإقبال كبيرا على شراء الحنّاء ومستلزماتها من ماء الورد وتلك الاشرطة الخاصة بالنقوش مختلفة الأشكال والأحجام، إلى غير ذلك من المستلزمات الضرورية للاحتفال بهذه المناسبة.

### • العنبر والطيب والبخور: عطر البيوت

تحرص العائلات التبسية على تنظيف البيوت وفضائها استعدادا لهذه المناسبة وتطبييها بأعواد العنبر التي توضع في كل زوايا البيت، كما تكون لرائحة البخور حضورها في إضفاء جو من السكينة والطمأنينة، تقول إحدى المبحوثات "عيد المولد نحضّروا مسبق، نشروا الحنّة والشّمع والعنبر والبخور وأنواع الروائح الأخرى"<sup>1</sup>، كما تلجأ بعض ربّات البيوت سواء في البوادي أو في المدن والمناطق الحضرية إلى إعداد "سينيّة البخور"<sup>\*</sup> التقليدية، يوضع فيها "الجمر"<sup>\*\*</sup> ثمّ يتم ذرّ البخور عليه، فيشعّ الدخان برائحته الزكيّة ليعم المكان، وتنتشر رائحة البخور في جميع أركان البيت، كما تنبعث هذه الروائح الزكية عبر النوافذ والأبواب نحو الخارج فتزيد الإحساس بقدسية المناسبة وعمقها.

### • الشموع: زينة المنازل والبيوت

تعتبر الشموع رمز هذه الإحتفالية وزينة المنازل والبيوت، ويتم شراؤها من الأسواق الشعبية التي تُقام خصيصا بهذه المناسبة، فتأخذ زينتها من زينة هذه الشموع بمختلف ألوانها وأحجامها وأشكالها، تقول إحدى المبحوثات "الشمع لازم في عيد المولد، نشره من قبل

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 18

\* - سينيّة البخور: عبارة عن وعاء يصنع من الطين والفخار أو من النحاس، يُوضع فيه الجمر، وهو الفحم المشتعل، ثم يوضع عليه البخور فيحترق وينطلق منه دخان ذو رائحة طيبة وزكية تنتشر في أجواء المكان فتزيده طيبا ومسكا.

\*\* - الجمر: وهو الفحم بعد اشتعاله، ويوضع في الحمرة من أجل البخور أو في المشواة من أجل شواء اللحم أو السمك وغيرها .

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية**

ونشعلوه في كل بيت"<sup>1</sup>، فهي رمز للنور الذي أشرق وأضاء الكون بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

### ● الحنّاء: رمز الجمال والاحتفال

في ليلة المولد النبوي تجتمع العائلة على طبق الحنّاء المحيظ بالشموع التي تزيدها جمالا وجاذبية حيث يتم تخضيب أيدي الأطفال من البنين والبنات مع وضع بعض النقوش المختلفة التي تزيد أشكالها بهاء وجمالا، تقول إحدى المبحوثات "الحنّة لازم تكون حاضرة في عيد المولد كيما في الزواج، نحنوا بيها أيدي النساء والبنات وحتى الأطفال الصغار"<sup>2</sup>، فالحنّاء رمز هذه الإحتفالية لما تضيفه من زينة وجمال ولما لها من وظائف وأبعاد<sup>3</sup>.

### ● الأطباق والحلويات التقليدية: وعشاء المُولود

تُعتبر مآدبة العشاء إحدى أهم سمات الإحتفال بالمولد النبوي، إذ تتفنّن النساء وربّات البيوت بتحضير أشهى المأكولات التقليدية، التي تُسمّى في العرف المحلي بـ: "عشاء المُولود"<sup>\*</sup>، هذه المآدبة التي تختلف من عائلة إلى أخرى في منطقة تبسة بحسب العادات والتقاليد المتوارثة، فهناك من يُفضّل طبق الشخشوخة بالدجاج أو بلحم البقر أو الخروف، وهناك من يُفضّل طبق الكسكس بلحم الخروف، وهناك من يفضل طبق الرشته أو الشريدة أو التليتلي بالدجاج، حيث تجتمع العائلة حول المائدة المضاءة بالشموع ورائحة العنبر في جوّ من البهجة فيتم تبادل الحديث حول المناسبة وحكايات الزمن الجميل؛ أمّا بعد تناول العشاء فهي فرصة إضافية لاجتماع العائلة وضيوفها على الشاي والقهوة والحلويات التقليدية التي تجمع بين ما يُشترى من الأسواق وما يتم تحضيره في البيت، مثل البقلاوة والطمينة،

<sup>1</sup> - المبحوثة رقم: 19

<sup>2</sup> - المبحوثة رقم: 17

<sup>3</sup> - تم التطرق إلى وظائف الحنّاء وأبعادها في الفصل المتعلق باحتفالية الختان.

\* - عشاء المولود: وهي تلك الأطباق من المأكولات التقليدية التي يتم تحضيرها ليلة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الاحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

التي يتم تزيينها بأنواع المكسرات وحلوى الترك و"الدراجي"\*، كما أن بعض العائلات تُخصّص تقديم طبق الطمينة في صبيحة يوم المولد النبوي مع بقية الحلويات التقليدية الأخرى وهذا للتفاؤل ليكون يوماً حُلواً ومُباركاً خالياً من كل ما يمكن أن يعكّر صفوه.

### خامساً: إحتفالية المولد النبوي: الوظائف والدلالات

تتمظهر إحتفالية المولد النبوي في المجتمع التبسي في العديد من الممارسات الدينية والعادات الاجتماعية والطقوس الإحتفالية التي تمسّ العديد من المستويات الرسمية منها والشعبية والعائلية، وهذا من شأنه تحقيق جُملة من الوظائف في مختلف الأبعاد جُملة في مايلي:

**1 - الوظيفة الدينية:** باعتبار أن إحتفالية المولد النبوي مناسبة دينية بالدرجة الأولى مما ينعكس ذلك في الكثير من الممارسات الإحتفالية التي يغلب عليها الطابع الديني والمشاعر الروحية، فنجد مثلاً: إنتقال الكبار والأطفال للمساجد لقراءة القرآن والاستماع إلى دروس السيرة النبوية وحضور حلقات الذكر والمدائح والقصائد الدينية وحفلات توزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمسابقات التي تُقام بهذه المناسبة، فهذه النشاطات من شأنها أن تغرس لدى المتلقّي مشاعر الحب لتعاليم الدين وحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وغرس العقيدة والأخلاق الحميدة والاقترداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهذه كلها معالم بارزة في شخصية الفرد تتحقق بفضل الآثار التي تتركها هذه الإحتفالية في نفوس من يحتفل بها، وفي هذا المجال يقول الشيخ أحمد حماني رحمه الله أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقاً بالجزائر " وقد اعتادت الأمة الإسلامية في كل سنة أن تحتفي بذكرى ميلاده في اليوم 12 من أول الربيعين، وأن تعتبر هذا اليوم عيداً

---

\* - حلوى الدراجي: (bonbon dragées) عبارة عن حبات من الحلوى مختلفة الألوان والأحجام، ذات المذاق الحلو، وقد تحتوي بداخلها على كمية من الشكلاطة أو اللوز أو غيرها من المكسرات.

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

لها، يصطبغ بالصبغة الدينية، وإن لم يكن عيداً دينياً بالمعنى الشرعي"<sup>1</sup>، ويقصد بقوله "بالمعنى الشرعي" أنه ليس كعيد الأضحى وعيد الفطر من حيث الحكم الشرعي، وفي هذا تأكيد للبعد الديني لهذه الإحتفالية التي تجعل من يحتفل بها يعيش أجواء روحية مليئة بالحب تجاه هذا الدين وبالأخوة تجاه المسلمين باعتبار أن رباط الإيمان والعقيدة أقوى الروابط وأقدسها.

**2 - الوظيفة الإجتماعية:** بتقوية الروابط العائلية والإجتماعية وبث روح التكافل الإجتماعي وغيرها من معاني التعاون والتماسك العائلي والإجتماعي وتقوية بنيانه، ومن ذلك:

● **تعزيز التضامن الإجتماعي:** فإحتفالية المولد النبوي فرصة للتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، وهذا يظهر من خلال العمليات الجماعية للختان التي تُقام في مناسبة المولد النبوي بشكل مجاني وبدون مقابل حيث تقوم بعض الجمعيات الخيرية بتنظيم هكذا عمليات والإشراف عليها برعاية بعض المحسنين وبتطوع عدد من الأطباء، كما يمكن أن تتم العملية في المستشفيات العمومية برعاية مديرية الصحة، كما يتم خلالها توزيع الهدايا على الأطفال، وفي هذا تعزيز للتآزر والتكافل والتضامن الإجتماعي بين أفراد المجتمع وخاصة تجاه اليتامى والعائلات المعوزة وذوي الدخل الضعيف.

● **تقوية الروابط العائلية:** فإحتفالية المولد النبوي تعمل على تجميع العائلة في بيت واحد وخاصة العائلة الكبيرة وتبادل التهاني والتبريكات والزيارات، فينمو الشعور بالانتماء للعائلة وتقوية أواصر المودة والمحبة بين أفرادها، فيزيد ذلك من تمتين وشائج الأخوة والروابط العائلية، كما أن اجتماع النسوة حول طبق الحنّاء من جهة وما يتخلله من حكايات ومُداعبات ومزاح من شأنه تعزيز المحبة والمودة بينهن، كما أن الجلوس الجماعي والعائلي حول مائدة المأكولات المحلية من شأنه أن يزيد من تقوية

<sup>1</sup> - أحمد حماني، محبة الرسول والأسوة به، مجلة الأصالة، عدد 13، مارس 1976، ص ص 126 - 139

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

الروابط العائلية، "وبذلك يكون لهذه الإحتفالية أهميتها في تأصيل العلاقات القرابية والاجتماعية بين أفراد المجتمع"<sup>1</sup>.

● **معاني إجتماعية أخرى:** من المعاني التي تُحققها هذه المناسبة في نفوس المحتفلين العديد من الوظائف الاجتماعية الأخرى نلخصها في الآتي: "تجديد الهمة والنشاط للأفراد، تحقيق التواصل والترابط بين الأفراد، وذلك من خلال تبادل الزيارات والتهاني، تقوية العلاقات الاجتماعية، تحقيق الطمأنينة لدى الأفراد، نشر السعادة والراحة النفسيّة، تحقيق بعض مظاهر التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وذلك بتفقد الأسر المحتاجة، جمع صف المجتمع، وتماسكه، وذلك من خلال المظاهر الجماهيرية العامّة للاحتفال، لمّ شمل العائلة والأقارب والأحباب، ولا سيّما من فرقتهم ظروف الحياة والعمل ومشاغله المختلفة، التعبير عن تمسّك الأفراد والمجتمع بترائه الديني والحضاري"<sup>2</sup>.

**3 - الوظيفة الثقافية:** تبرز الوظيفة الثقافية لاحتفالية المولد النبوي في المحافظة على جزء كبير من العادات والطقوس والممارسات داخل العائلة كوضع الحناء ليلة المولد وعملية الختان للأطفال والإنشاد والمدائح بحُبّ النبي صل الله عليه وسلم والاستماع للدروس والمحاضرات حول سيرته صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى التمسّك بالعادات المتعلقة بالأطباق المحلية من المأكولات والحلويات، كل ذلك "وسيلة للتعبير عن الهوية الثقافية لكل مجتمع"<sup>3</sup>.

**4 - الوظيفة التربوية:** تتمثل الوظيفة التربوية في غرس تلك المعاني الروحية والأخلاقية والدينية والاجتماعية والثقافية في نفوس المحتفلين وخاصة الأطفال، فالاحتفال من أهم

<sup>1</sup> - أحمد الطويلي، المواسم والأعياد بتونس، أسود على أبيض، دار الطباعة والنشر، تونس، 1997، ص: 46

<sup>2</sup> - إبراهيم العبيدي، ما أهمية العيد، <https://mawdoo3.com>، نشر بتاريخ: 06 نوفمبر 2016، زيارة بتاريخ: 2019/03/10، على الساعة: 11: 08، بتصرف.

<sup>3</sup> - أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص: 47

## **الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الاحتفالية والممارسات الاجتماعية والدلالات الرمزية**

وسائل التنشئة الاجتماعية التي من شأنها المساهمة في تكوين شخصية الأفراد عموماً والأطفال خصوصاً، بما يُحقّق فيهم حب تعاليم دينهم وحب نبيّهم والإعتزاز بتراثهم وموروثهم الثقافي والحضاري.

**5 - الوظيفة الترفيهية:** تتجلى هذه الوظيفة في مظاهر الفرح والابتهاج والفُرجة التي تُضفيها الطقوس والممارسات الاحتفالية المرتبطة بالمولد النبوي وخاصة تلك الأجواء التي تواكب موائد الطعام والسّم والحناء والشموع ولعب الأطفال بالمفرقات والألعاب النارية التي أصبحت من الرموز الأساسية لهذه الاحتفالية على وجه الخصوص، حيث عند حلول الظلام يبدأ خروج الأطفال إلى الشوارع المحاذية لسكناتهم وأمام العمارات جماعات جماعات ويبدأون بإطلاق تلك الصواريخ والمفرقات وإشعال تلك الشماريخ، فلاتسمع إلا أصوات الانفجارات ودويّ القنابل كما تتزين السماء بالأضواء التي تمتزج بالدخان والألوان فتزيدها بهاء وفرجة.

### **سادساً: المقاربة الدينية لإحتفالية بالمولد النبوي**

لقد كان المولد النبوي إطلالة للرحمة الإلهية بالنسبة للبشرية كلها، وقد عبّر القرآن الكريم عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه "رحمة للعالمين"، وهذه الرحمة لم تكن محدودة؛ فهي تشمل هداية الناس نحو الصراط المستقيم وتزكيتهم، وتعليمهم، وتربيتهم بما يُحقّق صلاحهم وتطورهم وتقدمهم، وأن هذه الهداية لا تقتصر على أهل ذلك الزمان الذي بُعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بل تمتد معاني الرحمة والهداية لتشمل عصر النبوة والصحابة وتمتد بعد ذلك على مدار التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته خاتمة لكل الشرائع والديانات السماوية، ولذلك فالمقاربة الدينية للاحتفال بذكرى المولد النبوي تتجلى في تحقيق جملة من المقاصد نجملها في الآتي:

## **1 - الفرح بمولده صلى الله عليه وسلم:**

إن من أبرز ما يُعبّر عنه الإحتفال بالمولد النبوي هو "الفرح بولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>1</sup>، هذا الفرح الذي يستمد شرعيته من قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾<sup>2</sup>، وقد جاء في كتاب "الدر المنثور"<sup>3</sup> للحافظ جلال الدين السيوطي وفي غيره منقولاً عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قوله: "فضل الله: العلم، ورحمته: محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>4</sup>، بل ذهب بعض العارفين إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو "عين الرحمة"<sup>5</sup>؛ وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>6</sup>، كما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا رحمة مهداة"<sup>7</sup>، ومن ثم كان الإحتفال بهذا العيد فرحاً بهذه الرحمة الربانية المهداة، وشكراً على هذه النعمة المسداة التي أنعم الله بها على عباده ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، فالفرح برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذكرى مولده من المقاصد الجليلة للاحتفاء بمولده الكريم.

<sup>1</sup> - محمد العربي بن يوسف الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، دراسة وتحقيق، محمد حمزة الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجدي، الدار البيضاء، 2003، ص 187.

<sup>2</sup> - سورة يونس: الآية 58

<sup>3</sup> - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 7، تحقيق عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 2003، ص 668

<sup>4</sup> - محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2005، ص 344.

<sup>5</sup> - ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، تعليق عبد الحليم محمود، دار المعرفة، القاهرة، د ت، ص 32

<sup>6</sup> - سورة الانبياء: الآية 107

<sup>7</sup> - ابن عطاء الله السكندري، مرجع سابق، ص 148

## **2 - الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم:**

المقصد الثاني الذي يتحقق من الاحتفال بالمولد النبوي الكريم يتمثل في إبراز فضائل الصلاة على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والإكثار منها؛ إذ يُعدُّ هذا الاحتفال مناسبة وفرصة للإكثار من الصلاة على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والنهل من أنوارها والاقْتباس من أسرارها، ومما ورد في هذا المعنى ما ذكره القرآن الكريم في الترغيب في الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا<sup>1</sup>، كما ورد في السُّنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الجهضمي وصحَّحه الشيخ الألباني: "من صَلَّى عليَّ أو سأل لي الوسيلة، حُفَّت عليه شفاعتي يوم القيامة"<sup>2</sup>، فالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، واجبة على الفرد في سائر الأوقات، وفي جميع الأمكنة، ولكنها تصبح أكثر حضوراً وأكثر تأكيداً في بعض المناسبات والأوقات ولعل مناسبة المولد النبوي من الأوقات التي ينبغي على الفرد أن يُكثر فيها من الدعاء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## **3 - التعبير عن محبته صلى الله عليه وسلم :**

من المقاصد التي يرجى تحقيقها من الاحتفال بذكرى المولد النبوي التعبير عن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل على تثبيتها من الأفعدة وترسيخها في القلوب، لأنَّ هذه المحبة شرط أساسي في التَّحَقُّق بالإيمان، فقد ورد في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> - سورة الأحزاب: الآية 56

<sup>2</sup> - إسماعيل بن إسحاق الجهضمي، فضل الصلاة على النبي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1977، ص 54

<sup>3</sup> - محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، ج 1، حديث رقم 15، ص 14

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

بل يجب أن تكون محبة الرسول عليه الصلاة والسلام أحبّ للمؤمن من نفسه التي بين جنبيه؛ فعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "لأنت أحبّ إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال له صلى الله عليه وسلم: لن يومن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحبّ إليّ من نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر"<sup>1</sup>، ومن ثم فإنّ التّحقّق بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتثبيتها وترسيخها في القلوب تقتضي الاقتداء به صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته والتخلّق بأخلاقه واتباع نهجه والإلتزام بدينه وقيم رسالته، وهذا ما يتوافق مع معنى قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾<sup>2</sup>

### 4 - تثبيت قلوب المؤمنين:

من المعاني التي تغرسها ذكرى المولد النبوي في نفوس المحتفلين تثبيت قلوب المؤمنين على هذا الدين لقوله تعالى ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾<sup>3</sup> فالحكمة من قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم إنما هو تثبيت فؤاده الشريف، صلى الله عليه وسلم بها، ولا شك أنّ المؤمنين يحتاجون إلى تثبيت أقدارهم بأنبيائه وأخباره صلّى الله عليه وسلّم، فالمولد النبوي مناسبة وفُرصة للتعرف على شمائله وصفاته وأخلاقه والتذكير بمعجزاته وسيرته والتعريف به صلى الله عليه وسلم، حتّى تثبت القلوب بمعرفته والاقتداء به والتأسي بأعماله والإيمان بمعجزاته والتصديق بآياته.

<sup>1</sup> - محمد بن اسماعيل البخاري، مرجع نفسه، ج6، حديث رقم 6257، ص 2445..

<sup>2</sup> - سورة آل عمران: الآية 31.

<sup>3</sup> - سورة هود: الآية 120

## 5 - ترسيخ الشخصية الإسلامية وتحسين الهوية الدينية

هذا المقصد يُعتبر نتيجة حتمية تترتب عن التحقق بالمقاصد السابقة الذكر، فالتعلق بالرسول الكريم، والتحقق بمحبته تقتضي التمسك بسنته، وهو ما يعني أنّ الاحتفال بذكرى مولده من شأنه أن يُساهم في تعزيز معاني الهوية الإسلامية، وترسيخ جوانب الشخصية الإسلامية من خلال التخلق بأخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والإقتداء به، وهذا لا يتأتى إلا من خلال استحضار سيرته ومبادئ رسالته ومقاصد دعوته والتمسك بسنته.

## 6 - التعريف بشخصيته صلى الله عليه وسلم:

إحتفالية المولد النبوي تُعتبر فرصة كبيرة للتعريف بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وتبيان شمائله وصفاته ومكارم أخلاقه، وتنشئة الأبناء والأطفال عموماً على ذلك ويتضمن التعريف بشخصه الكريم عدة جوانب من أهمها:

### أ - التعريف بنسبه صلى الله عليه وسلم:

يصف الإمام ابن القيم الجوزية نسب الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك (...). فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفضاخ فحذه"<sup>1</sup>، وقد بيّن الإمام ابن القيم في كتابه "زاد المعاد" سلسلة نسبه صلى الله عليه وسلم فقال: "فهو محمّد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصي، بن كلاب، بن مِرّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمّة،

<sup>1</sup> - ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1998، ص25

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

بنِ مُدْرِكَةَ، بنِ إِيَّاس، بنِ مُضَرَ، بنِ نِزَار، بنِ مَعَدِّ، بنِ عَدْنَانَ<sup>1</sup>، فمن معاني الإحتفال بالمولد النبوي التعريف بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم وتنشئة الاطفال على ذلك، وهكذا فقد اختاره الله تعالى من أزكى القبائل وأفضل البطون وأطهر الأصلاب والأعراق، فما تسلل شئ من أدران الجاهلية إلى شئ من نسبه صلى الله عليه وسلم، للحديث الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قُرَيْشًا من كنانة، واصطفى هاشمًا من قريش، واصطفاني من بني هاشم"<sup>2</sup>، وفي حديث آخر، عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ خلقَ الخلقَ فجعلني في خيرِهِم، ثُمَّ جعلَهُم فرقتينِ فجعلني في خيرِهِم فرقةً، ثُمَّ جعلَهُم قبائلَ فجعلني في خيرِهِم قبيلةً، ثُمَّ جعلَهُم بُيُوتًا فجعلني في خيرِهِم بيتًا وخيرِهِم نفساً"<sup>3</sup>، هذا نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم الذي ينبغي تعليمه للناشئة حتى تتشبع نفوسهم بحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب دينه، ولعل الإحتفال بذكرى المولد النبوي يساهم في غرس هذه المعاني والتحقق بها في نفوس المحتفلين.

### ب - التعريف بأسمائه صلى الله عليه وسلم:

يصف الإمام ابن القيم الجوزية أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: " وكلها نُعُوتٌ ليست أعلاماً محضةً لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به تُوجِبُ له المدح والكمال، فمنها محمد، وهو أشهرها، وبه سمي في التوراة، ومنها أحمد، وهو الإسم الذي سماه به المسيح، ومنها المتوكِّل، ومنها الماحي، والحاشر، والعاقب، والموقِّع، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الرحمة، ونبيُّ الملحمة، والفتاح، والأمير"<sup>4</sup>، ويضيف الإمام ابن القيم في موضع آخر من

<sup>1</sup> - مرجع نفسه، ص: 25

<sup>2</sup> - مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، د ت، ص 58

<sup>3</sup> - محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، مرجع سابق، ص: 584

<sup>4</sup> - ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق، ص: 33

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

كتابه "زاد المعاد" فيقول: "ويلحق بهذه الأسماء: الشاهد، والمبشّر، والبشير، والندير، والقاسم، والضحوك، والقَتَّال، وعبد الله، والسراج المنير، وسيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، وغير ذلك من الأسماء، لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح، فله من كل وصف إسم، لكن ينبغي أن يُفَرَّق بين الوصف المختص به، أو الغالب عليه، ويشتق له منه اسم، وبين الوصف المشترك، فلا يكون له منه إسم يخصّه"<sup>1</sup>، فهي أسماء تحمل أوصافا جليلة تُعبّر عن عظمة هذا النبي المبعوث رحمة للعالمين، وفي نفس هذه المعاني والأوصاف قال جُبَيْر بن مُطْعِم في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي قوله: سَمَّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فقال: " إِنَّ لِي أَسْمَاءُ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْخُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمَيَّ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ"<sup>2</sup>، وهكذا تميّز رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر اسمه قبل ولادته.

### ج - التعريف بمولده صلى الله عليه وسلم:

ذكر "الشيخ أبي بكر جابر الجزائري" في كتابه "الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف" تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم فقال: "ومولده الزماني هو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل على أشهر الروايات وأصحّها"<sup>3</sup>، كما ذكر الكاتب المصري "خالد محمد القاضي" في كتابه "مولد أمة" تاريخ مولده أيضا فقال: "أمّا ولادته صلى الله عليه وسلم فقد كانت في عام الفيل، وهو العام الذي حاول فيه إبرة الأشرم الحبشي غزو مكة وهدم الكعبة، فردّه الله عن ذلك بالآية الباهرة التي وصفها القرآن،

<sup>1</sup> - ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع نفسه، ص: 33

<sup>2</sup> - محمد بن عيسى الترمذي، مختصر الشمائل الحمديّة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ج1، المكتبة الإسلامية، مكتبة المعارف،

عمان، الأردن، ط2، 1406هـ، ص: 191

<sup>3</sup> - أبي بكر جابر الجزائري، مرجع سابق، ص: 28

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

وكانت على الأرجح يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول<sup>1</sup>، كما ذكر صاحب كتاب "حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار" تاريخ مولده صلى الله عليه وسلم بقوله: "قال علماء السير: ولد نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في ربيع الأول، يوم الإثنين بلا خلاف لاثنتي عشرة ليلة خلت منه على الأشهر"<sup>2</sup>، وهي تواريخ متطابقة عند العلماء القدامى منهم والمحدثين، فكان ميلاده - صلى الله عليه وسلم - ميلاد أمة ودولة وحضارة، تغيّر بميلاده وجه التاريخ، وأنار ضيآؤه أرجاء الكون وأفئدة الإنسانية وحياتهم فبدّل شرك الناس توحيداً وظلمهم عدلاً وظلامهم نوراً وهداية، لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾<sup>3</sup>، وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾<sup>4</sup>

### د - التعريف بخُلُقهِ صلى الله عليه وسلم وسيرته وشمائله:

لقد كانت حياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة حياة فاضلة شريفة، لم تُعرف له فيها هفوة ولم تُحص عليه فيها زلّة، وهذا كلّهُ بما أحاطه الله سبحانه وتعالى بعنايته ورعايته وحفظه، "حتى صار أفضل قومه مروءة وأحسنهم خُلُقاً وأكرمهم حسبا وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأخيرهم عِفّة وطهارة، فكان بذلك نموذجاً حيّاً للفضيلة وحسن الخلق، وقد شهد له بذلك العدو قبل الصديق"<sup>5</sup>، ذلك لأنّ الله تعالى تولّاه منذ ولادته بالحفظ والرعاية والعصمة من كل ما لا يتفق ومقتضيات النبوة والرسالة التي هيّأه الله تعالى لها، فكان طابعه - صلى الله عليه وسلم - الوقار والكمال مع سماحة في الطبع

<sup>1</sup> - محمد خالد القاضي، مولد أمة: أضواء على خلق رسول الإنسانية، مركز الراهة للنشر والإعلام، القاهرة، 2000، ص: 13-14

<sup>2</sup> - محمد بن عمر الحضرمي، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، السعودية، ط1، 1419هـ، ص 5

<sup>3</sup> - سورة الأنبياء: الآية 107

<sup>4</sup> - سورة الأحزاب: الآية 45 - 46

<sup>5</sup> - محمد خالد القاضي، مرجع سابق، ص: 16

## الفصل الخامس: المولد النبوي: الطقوس الإحتفالية والممارسات الإجتماعية والدلالات الرمزية

وطلاقة في الوجه وحلاوة في اللسان جعلته محبوبا من طرف كل من يلقاه ويحادثه، وهو ما جعل أهل مكّة يصفونه بأحسن ما وُصف به إنسان من صفات الكمال، فلُقّبوه بالأمين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وأصبح هذا اللقب وصفا مميزا له دون غيره حتى صار علما لا يُنادى ولا يُذكر إلاّ به، "فقد عرفوه منذ نشأ فيهم وهو الصادق الذي لا يكذب، والوفّي الذي لا يغدر، والناصح الذي لا يغش، والأمين الذي لا يخون، كما عرفوه طاهر النفس، واسع الحلم، رحيم القلب، جَمّ التواضع، كما عرفوا فيه كرم العشرة وحسن الجوار ورجاحة العقل وعلوّ الهمة والزهد فيما يتكالب عليه الناس"<sup>1</sup>، وهكذا كانت حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة أمثل حياة وأكرمها وأحفلها بمعاني الإنسانية والشرف والكرامة وعظمة النفس ثم بعثه الله تعالى برسالة الإسلام فتمت هذه الفضائل وترعرعت ومازالت تسمو فروعها وترسخ أصولها حتى أصبحت فريدة في تاريخ الإنسانية كلها فكان المثل الأعلى والأسوة الحسنة في كل شيء حتى دانت له مشارق الأرض ومغاربها بالحلم والعفو والصفح والبر والتسامح والمودة واللين والعدل والإنصاف والرحمة والعطف والصدق والأمانة والحياء والإيثار فملك القلوب والعقول، فكان ميلاده - صلى الله عليه وسلم - باختصار: ميلاد أمة وتأسيس دولة وبناء حضارة.

هذه بعض المقاصد والغايات التي تساهم الاحتفاليات بالمولد النبوي في تحقيقها وغرس معانيها عند الأفراد والعائلات ومختلف فئات المجتمع، وإن كان أغلبها ذو أبعاد روحية ودينية، فإن لبعضها الآخر بُعدا الاجتماعي والتربوي يُساهم في تعزيز معاني التواصل العائلي وتقوية الشعور بالانتماء وتمتين روابط التضامن والتكافل الاجتماعي وزيادة أواصر التآخي بين أفراد المجتمع، ولهذا المقاصد المتعددة قال العلماء بجواز الإحتفال بذكرى المولد النبوي ورغّبوا في الحرص عليه.

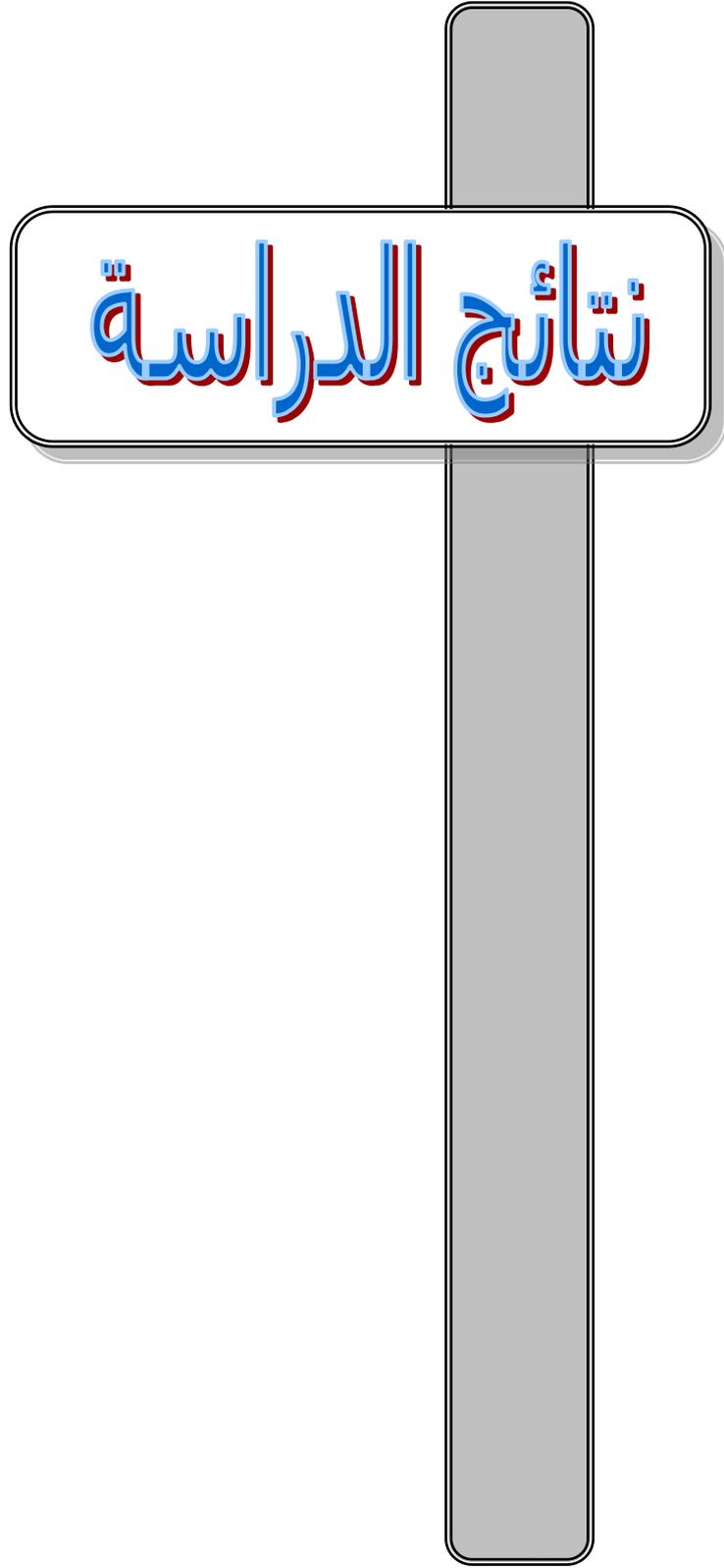
<sup>1</sup> - محمد خالد القاضي، مرجع نفسه، ص 17.

## خلاصة الفصل

لقد إستعرضنا في هذا الفصل الذي أردنا أن تكون بدايته ذوطابع مفاهيمي لأهم المفاهيم المرتبطة باحتفالية المولد النبوي، ثم انتقلنا إلى الطابع الكرونولوجي لهذه الاحتفالية اعتمدنا فيه على منهج تتبّع الأحداث التاريخية لاحتفالية المولد النبوي، الذي أفضى بنا إلى أن المسلمين يُحيون ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام، ثم انتشرت ظاهرة الاحتفال منذ ظهور الدولة الفاطمية في شمال افريقيا، ومنها انتقلت الى مختلف الشعوب الاسلامية، حيث وجد المسلمون في هذا الإحتفال فرصة للتعبير عن حُبهم للنبي والتعلق به واتباع سنته واستعادة ذكراه في النفوس بإحياء يوم مولده.

وقد دأب المجتمع الجزائري عامة والتبسي خاصة على الاحتفال بهذه المناسبة بالتزاور وتبادل التهاني والتبريكات وتخضيب أيدي الأطفال من البنين والبنات بالحناء ، واستغلال المناسبة لإقامة حفلات الختان الجماعي لأبناء العائلات المعوزة واليتامى وذوي الدخل الضعيف، كما كان لعادات الطعام حضورا قويا بتحضير الأطباق الشعبية والحلويات التقليدية، إلى غير ذلك من الممارسات الدينية والعادات الاجتماعية والطقوس الإحتفالية التي لها من الدلالات الرمزية والأبعاد والوظائف التي تعمل على ترسيخ قيم هذه المناسبة في نفوس الناشئة والأجيال وتُساهم في بناء شخصية الأفراد وتعزيز هوية المجتمع.

وقد أفضى بنا البحث في الأخير إلى أنّ الظاهرة الاحتفالية – بالمولد النبوي – تمثل مناسبة دينية ذات أبعاد إجتماعية وثقافية واقتصادية تنطوي على مكونات وخصائص ودلالات رمزية ووظائف اجتماعية ومقاصد دينية، يمتزج فيها الطقس بالأسطورة والمقدس بالدنيوي ويظهر من خلالها ارتباط المجتمع بماضيه في أشكال تعبيرية فنية ومظاهر احتفالية وفرجوية تعبّر عن ارتباط الحاضر بالماضي لبناء المستقبل.



### نتائج الدراسة :

خلصت هذه الدراسة حول الاحتفاليات العائلية في المجتمع التبسي: طقوس وممارسات من منظور أنثروبولوجي إلى مجموعة من النتائج نلخصها في مايلي :

**1 -** تعتبر العادات الاجتماعية والتقاليد المرتبطة بالاحتفاليات العائلية واحدة من الآليات التي ينتجها المجتمع عبر تجربته التي تميزه عن المجتمعات الأخرى ويعزز من خلالها وحدته وتماسكه، ويحافظ بها على كينونته واستمرار وجوده.

**2 -** تميل المجتمعات الريفية نحو الحفاظ على موضوع التراث الشعبي والموروث الثقافي عموما بما في ذلك العادات والتقاليد والطقوس المرتبطة بالاحتفاليات العائلية وتسعى للحفاظ عليها من التغيير بدرجة أكبر مما في مجتمعات المدن والتجمعات الحضرية.

**3 -** إن سرعة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها المجتمع قد تؤدي إلى ظهور أنماط جديدة من السلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد المرتبطة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية قد لا تتوافق بالضرورة مع ما استقرت عليه عادات الناس وتقاليدهم في مراحل سابقة، ذلك أنه في سياق سعي المجتمع لتجديد ذاته، والحفاظ على بنيته الاجتماعية ينتج جملة جديدة من العادات والتقاليد التي من شأنها أن تساعد في هذا السعي وسط التحولات السريعة والتغيرات الواسعة، في الوقت الذي تتضاءل فيه أهمية أنماط سلوكية سابقة وعادات وتقاليد لم تعد لها الوظائف ذاتها التي كانت منوطة بها في الماضي.

**4 -** يُعدّ ارتفاع مستوى التعليم وانتشار وسائل الإعلام والاتصال وزيادة التفاعل الاجتماعي بين مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية من أهم العوامل التي أدت إلى تغيير بعض العادات والطقوس المرتبطة بالاحتفاليات العائلية، لكونها تساعد الأفراد على تنمية تواصلهم الاجتماعي مع الآخرين، ولاسيما التواصل الثقافي والمعرفي.

**5 -** اتجهت مظاهر التغيير التي حدثت في العادات والطقوس الاحتفالية في المجتمع التبسي نحو التخفيف من مظاهر الاحتفال مثل التكلفة المادية وطول مدة الاحتفال كما تقلصت

## نتائج الدراسة

القيود المتعلقة بالإنفاق والإطعام، وبعض المظاهر كالاختلاط بين الرجال والنساء، وهذا خاصة على مستوى المدن والمناطق الحضرية أكثر مما في الأرياف والبوادي.

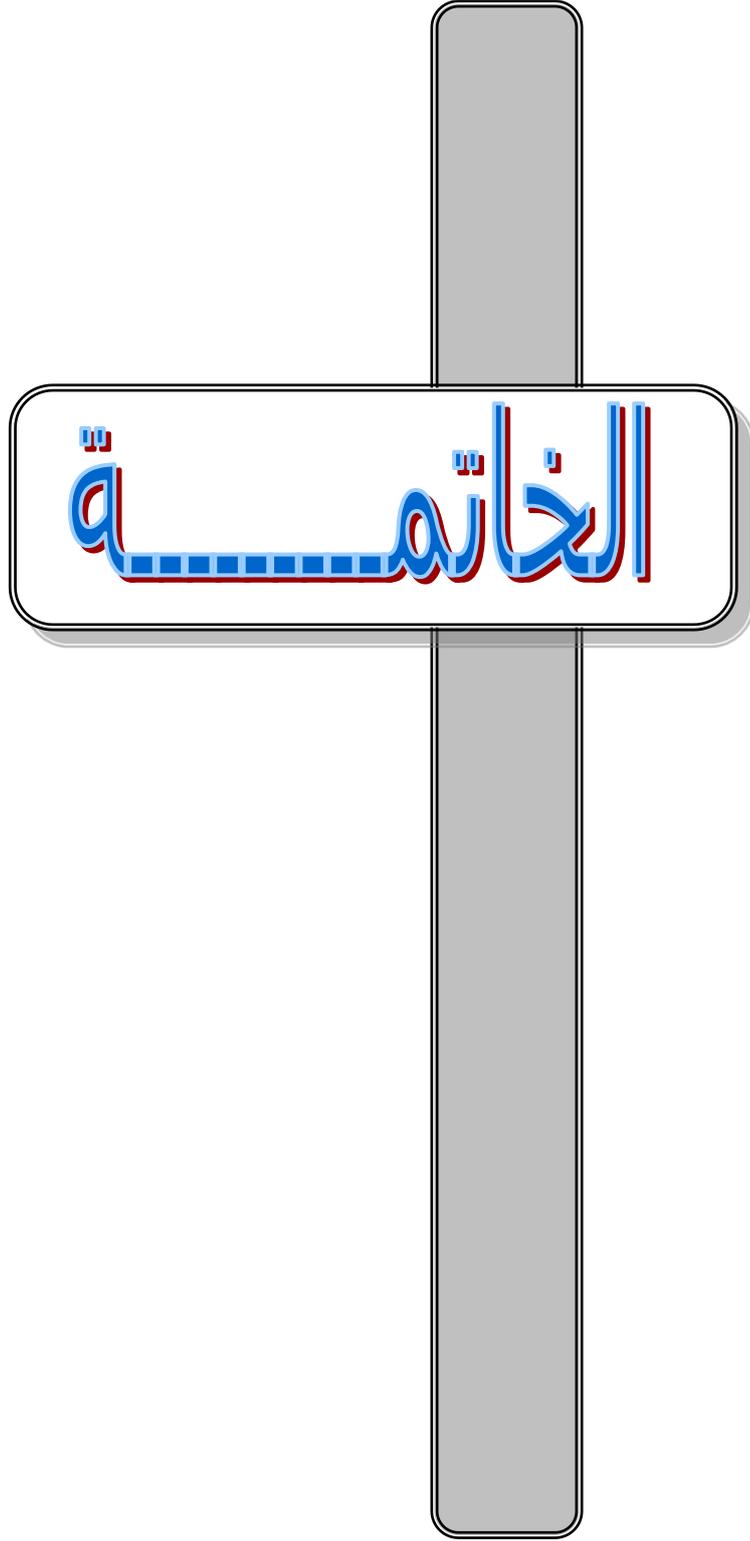
**6 -** تختلف العادات والممارسات الاحتفالية باختلاف الطبقات الاجتماعية التي تنتمي إليها العائلات، ذلك أن أبناء الطبقات الميسورة أقدر على التواصل مع المجتمعات الأخرى، وتستطيع أن تنفق بدرجات أكبر، وبالشكل الذي يساعدها في تعزيز تميّزها وإظهار مكانتها الاجتماعية، ولهذا تلجأ هذه العائلات إلى ممارسات وعادات لا تمارسها الشرائح والطبقات الاجتماعية الأخرى في المجتمع كالمبالغة في المدعوين، ونوعية وعدد الأطباق من المأكولات والحلويات المقدمة وكذلك من حيث تقديم الهدايا والمساعدات المادية.

**7- إن** مسألة التماسك الاجتماعي والتضامن الإنساني التي ترافق الاحتفاليات العائلية في المجتمع التبسي قد تغيرت بتغير نمط الحياة بين الريف والمدينة، فالاحتفالات في بعض الحالات أصبحت مقتصرة على أسرة المحتفل بعد أن كانت تصيب القبيلة بمجملها أو الحي بكامله، وربما يعود السبب في ذلك إلى تغير مكان الاحتفال وانتقاله من ساحة القبيلة والعشيرة في الريف إلى قاعات الأفراح والفنادق في المدينة، إضافة إلى التكاليف المادية الباهضة التي تتطلبها مثل هذه المناسبات.

**8 -** يتمسك المسنون بالعادات والتقاليد المرتبطة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية أكثر من الشباب، ذلك لأنهم ألفوا هذه العادات والتقاليد وارتبطوا بها، ويتمثلونها في وعيهم ومشاعرهم بدرجة تزيد على تمثل الشباب لها.

**9 -** تتمسك النساء بالعادات والتقاليد المرتبطة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية أكثر من الرجال، ذلك أنهن يوصفن في المجتمع بأنهن أكثر تمثلاً للعادات والتقاليد، وأقل انفتاحاً على المستجدات العصرية وخاصة على مستوى الأرياف والبوادي.

**10 -** الريفيون المهاجرون إلى المدينة بقوا محافظين إلى حد ما على عاداتهم وتقاليدهم المرتبطة بالاحتفاليات العائلية على الرغم من انخراطهم في مجتمع المدينة وتفاعلهم معه



عاجت الأطروحة موضوع الأعياد والمواسم والمناسبات الاحتفالية في المجتمع التبسي من خلال البحث في تمثلاتها لدى أفراد وعائلات هذا المجتمع، ومحاولة رصد طقوسها الاحتفالية وعاداتها الإجتماعية وشعائرها الدينية، والبحث في دلالاتها الرمزية وأبعادها الاجتماعية ومظاهرها الفرجوية، وكشف التغيرات الحاصلة فيها على ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي شهدتها المجتمع التبسي؛ وقد كان التحضير والعمل خلال فترة الدراسة طويلا وشاقا، لأن التعامل مع الأفراد تحكمه سنن التعامل مع النفس البشرية وطبيعتها المتقلبة الأحوال والمزاج، وهو ما تطلب منا الكثير من الصبر من أجل الوصول بالبحث إلى نهايته وتحقيق أهدافه؛ فالطقوس الاحتفالية تعتبر نماذج للعديد من مظاهر السلوك الاجتماعي الذي لا يزال يحتفظ بالبنية التقليدية في معالم الحياة الاجتماعية في أوساط مختلف الشرائح الاجتماعية في المجتمع التبسي، والتي يتداخل فيها المقدس بالأسطوري ويختلط فيها الموروث الثقافي بالبعد الديني مما يضيف على عاداته وتقاليده تنوعا كبيرا انتقلت حلقاته عبر الأجيال رغم ما يعيشه المجتمع من تغيرات اقتصادية واجتماعية أملت لها متطلبات العصر؛ غير أن سرعة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع أدت إلى ظهور أنماط جديدة من السلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد المرتبطة بالظاهرة الاحتفالية لا تتوافق بالضرورة مع ما استقرت عليه عادات الناس وتقاليدهم في مراحل سابقة، ذلك أنه في سياق سعي المجتمع لتجديد ذاته، والمحافظة على بنيته أنتج جملة جديدة من العادات والتقاليد التي من شأنها أن تساعد في هذا السعي وسط التحولات السريعة والتغيرات الواسعة التي يشهدها، وذلك في الوقت الذي تتضاءل فيه أهمية أنماط سلوكية سابقة وعادات وتقاليدهم لم تعد لها الوظائف ذاتها التي كانت منوطة بها في الماضي، وقد حاولنا التطرق إلى أنواع الأعياد

والمناسبات الاحتفالية وأشكالها في المجتمع التبسي، كما حاولنا مُساءلة أبعاد هذه الظاهرة الاحتفالية مبرزين دلالاتها الرمزية ووظائفها الاجتماعية ومظاهرها الثقافية والدينية التي تحكم هذه الاحتفاليات بصيغ تختلف في بعض تفاصيلها الدقيقة ولكنها تتوحد في تمظهراتها الكلية والعامية، كما أن عامل الزمن وإن كان قد أفقدها بعضا من خصوصيات القداسة، فإنه لم يؤثر كثيرا على طابعها الاحتفالي بل أعطاه أشكالاً جديدة وسمات اجتماعية تتماشى مع تغيرات الواقع المجتمعي الجديد، خاصة في ما تعلق بمظاهر التحضير ومراحل الاحتفال وأشكال الطقوس والممارسات والعادات، التي تهدف إلى تعزيز الانتماء العائلي والوطني وتقوية روابط التضامن الاجتماعي وتماسك المجتمع، والمساهمة في بناء الشخصية الفردية وتعزيز الهوية الاجتماعية.

ونخلص في الأخير إلى أن هذه الدراسة أثارت فينا أفقا واسعة للبحث الميداني مستقبلا من أهمها:

- انعكاسات ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة على المحافظة على العادات والتقاليد المرتبطة بالظاهرة الاحتفالية.
- تأثير العوامل الاقتصادية والظروف الاجتماعية ومستجدات العصر على انحصار بعض العادات والطقوس الاحتفالية وظهور أخرى.
- يمكن لهذا الموضوع أن يفتح أفقا مستقبلية للبحث من خلال إجراء دراسات مقارنة لعادات وطقوس الظاهرة الاحتفالية بين مناطق مختلفة من المجتمع الجزائري كمناطق الشمال مقارنة بمناطق الجنوب أو مناطق الغرب الجزائري مقارنة بمناطق الشرق الجزائري وهكذا.
- إجراء دراسات مقارنة لعادات وطقوس الظاهرة الاحتفالية في المجتمع الجزائري مع تلك التي تتم في مجتمعات عربية أخرى.

# قائمة المصادر والمراجع

- 1 - المصادر
- 2 - المراجع باللغة العربية
- 3 - القواميس والمعاجم
- 4 - المقالات والدوريات
- 5 - الرسائل الجامعية
- 6 - المراجع باللغة الأجنبية
- 7 - المراجع الإلكترونية

## قائمة المصادر والمراجع

### قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية
2. ابن حجر أحمد العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 10، دار المعرفة، بيروت، دت.
3. ابن موسى يوسف، أنثروبولوجيا الهدية وأنساق التبادل، سلسلة ملفات بحثية ضمن كتاب جماعي : تنسيق وتقديم : يونس الوكيل، تراث الانثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، مركز مؤمنون بلا حدود، 2016.
4. ابن تيمية أحمد، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، ج1، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1998.
5. ابن خالد أحمد السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، دت.
6. ابن عيسى محمد الترمذي، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الاثير الجزري، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ج7، نشر وتوزيع: مطبعة الملاح، 1981.
7. ابن عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996.
8. ابن عيسى محمد الترمذي، مختصر الشمائل الحمديّة، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، ج1، المكتبة الاسلامية، مكتبة المعارف، عمان، الأردن، ط2، 1406هـ.
9. ابن عمر محمد الحضرمي، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، السعودية، ط1، 1419هـ.
10. ابن اسماعيل محمد البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ج1، دار بن كثير، دمشق، ط1، 2002.

## قائمة المصادر والمراجع

11. ابن أنس مالك، موطأ الإمام مالك، برواية ابن زياد، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط3، 1980.
12. إحسان محمد الحسن، دراسة تحليلية في تغير العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1985.
13. أبوزيد أحمد، البناء الاجتماعي، ج2، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، دت.
14. أبي بكر جابر الجزائري، الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، د ط، د ت.
15. ابن محمد إسماعيل الأنصاري، القول الفصل في حكم الإحتفال بمولد خير الرسل، وكالة شؤون المطبوعات والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1995.
16. ابن محمد إبراهيم الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، ج1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2008.
17. ابن إسحاق إسماعيل الجهمي، فضل الصلاة على النبي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1977.
18. ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، تعليق عبد الحلیم محمود، دار المعرفة، القاهرة، د ت.
19. ابن عاشور محمد الفاضل، ومضات فكر، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1982.
20. ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج13، مكتبة الصفا، ط3، 2000.
21. ابن قيم الجوزية، تحفة المودود في أحكام المولود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995.

## قائمة المصادر والمراجع

22. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1998.
23. ابن يوسف محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، دراسة وتحقيق، محمد حمزة الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجعد، الدار البيضاء، 2003.
24. ابن الحجاج مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، د ت.
25. ابراهيم محمد عباس، الثقافة الشعبية الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2009.
26. ابراهيم محمد عباس وآخرون، الأنثروبولوجيا: مداخل وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2005.
27. إلياد ميرسيا، أسطورة العود الأبدي، تر: حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1990.
28. ابن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986.
29. ابن الشيخ مسعود البشير، أوراق من الذكريات، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2011.
30. ابن شطا عثمان البكري، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ج3، دار إحياء الكتب العربية، دط، دت.
31. الأسيوطي درويش، أفرح الصعيد الشعبية: من طقوس ونصوص احتفاليات الزواج والحمل والولادة والختان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

## قائمة المصادر والمراجع

32. بسنوسي شهرزاد، مدخل إلى أنثروبولوجية التغذية، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، فرقة الطوبونيميا، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بلعباس، الجزائر، ط1، 2013.
33. برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ.
34. بوحبيب حميد، مدخل إلى الأدب الشعبي: مقارنة أنثروبولوجية، دار الحكمة، الجزائر، 2009.
35. بورايو عبد الحميد، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
36. بوتفنوشت مصطفى، العائلة الجزائرية: التطور والخصائص الحديثة، ترجمة: دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
37. البغوي الحسين، في شرح السنة، عن سلمان بن عامر الضبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج6، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1983.
38. ثابت محمد خالد، تاريخ الاحتفال بمولد النبي ومظاهره حول العالم، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011.
39. جون دوفينو، سوسيولوجيا المسرح، دراسة على الظلال الجمعية، تر: حافظ الجمالي، منشورات وزارة الثقافة والآثار القومي، سوريا، دمشق، 1965.
40. الجباوي علي عبدالله، علم خصائص الشعوب، دار التكوين للطباعة والنشر والترجمة، سوريا، ط1، 2007.
41. الجويلي محمد الهادي، مجتمعات الذاكرة ومجتمعات للنسيان، دراسة مونوغرافية لأقلية سوداء بالجنوب التونسي، دار سراس للنشر، تونس، 1994.
42. الجوهري محمد وآخرون، دراسات في الانثروبولوجيا الاجتماعية، الطفل والتنشئة الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992.

## قائمة المصادر والمراجع

43. الجوهري محمد وآخرون، الأنثروبولوجيا الإجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
44. حاجيات عبد الحميد، أبو موسى الزباني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
45. حمودي عبدالله، حكاية حج موسم في مكة، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
46. حمودي عبدالله، الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار المغرب، المغرب، ط4، 2010.
47. حمودي عبدالله، الضحية وأقنعتها: بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، تر: عبدالكريم الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010.
48. الحسيني محمد ابن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، سيرته السيفية، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903.
49. دياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980.
50. الخطيب محمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، عمان، الأردن، ط2، 2008.
51. الدستور الجزائري، مارس 1996، الجريدة الرسمية، رقم: 14، المؤرخة في 07 مارس 2016.
52. رضا محمد رشيد، تفسير المنار، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.
53. الرازي زين الدين، مختار الصحاح، ج1، تحقيق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، ط5، 1999.

## قائمة المصادر والمراجع

54. الرشيدات عبدالله، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999.
55. الزاهي نور الدين، المقدس الاسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
56. الزاهي نور الدين، المقدس والمجتمع، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011.
57. سليمان محمد، رحمة للعالمين، ج1، دار السلام، القاهرة، ط1، 1998.
58. السيوطي جلال الدين، حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1985.
59. السيوطي جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج7، تحقيق عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 2003.
60. السندويي حسن، تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1948.
61. سيرنج فيليب، الرموز في الفن - الأديان - الحياة، تر: عبدالهادي عباس، دار دمشق، سورية، ط1، 1992.
62. الشعراوي محمد متولي، على مائدة الفكر الإسلامي، دار العودة، بيروت، ط1، 1980.
63. طوالي نور الدين، الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988.
64. الطويلي أحمد، المواسم والأعياد بتونس، أسود على أبيض، دار الطباعة والنشر، تونس، 1997.
65. عبد الحميد حسين أحمد رشوان، الأسرة والمجتمع - دراسة في علم اجتماع الأسرة - مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003.

## قائمة المصادر والمراجع

66. عيساوي أحمد، مدينة تبسة وأعلامها، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005.
67. عبدالله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية، 2005.
68. العثمان وسام ، المدخل إلى الأنثروبولوجيا، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2002.
69. العوزي مصطفى، نحو فهم أنثروبولوجي لشعيرة الأضحية قراءة في دراسة مارسيل موس وهنري هوبير حول طبيعة الأضحية ووظيفتها، سلسلة ملفات بحثية ضمن كتاب جماعي : تنسيق وتقديم : يونس الوكيل، تراث الانثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، مركز مؤمنون بلا حدود، 2016.
70. غانم عبد الله، علم الاجتماع الاقتصادي في دراسات المسلمين، المكتب الجامعي الحديث، 1993.
71. فاروق أحمد مصطفى، الموالد: دراسات في المجتمع المصري: دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر، دار بورسعيد للطباعة، الإسكندرية، 1980.
72. فرويد سيغموند، الطوطم والحرام، ترجمة: جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، د ت.
73. فياض محمد، البتر التناسلي للإناث، ختان البنات، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.
74. القانون 278/63 المؤرخ في 1963/7/26، والمعدل بالقانون 06/05 المؤرخ في 17 ربيع الأول 1426 الموافق 26 أبريل 2005، المحدد لقائمة الأعياد الرسمية، الجريدة الرسمية، عدد 30، سنة 2005.
75. القسطلاني أحمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج1، تحقيق: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي بيروت، ط2، 2004.

## قائمة المصادر والمراجع

76. القاضي خالد محمد، مولد أمة: أضواء على خلق رسول الانسانية، مركز  
الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2000.
77. لابورث فيليب وفارنييه جان بيار، إثنولوجيا وأثنولوجيا، تر: مصباح  
الصمد، مجد للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
78. منديب عبد الغني، الدين والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، دار  
افريقيا الشروق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
79. مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب جامعة المنصورة،  
عامر للطباعة والنشر، 2008.
80. محجوب محمد عبده، طرق ومناهج البحث السوسيوانثروبولوجي، دار المعرفة  
الجامعية، الإسكندرية، 2005.
81. موس مارسيل، بحث في الهبة شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة،  
تر: المولدي الأحمر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011.
82. موس مارسيل، علم الاجتماع الانتروبولوجي، بحث في الهدايا الملزمة،  
تر: محمد طلعت عيسى، مكتبة القاهرة الحديثة، د.ت.
83. مصالح ولاية تبسة، إحصائيات 2019.
84. مخلوف حسنين محمد، فتاوى شرعية وبحوث إسلامية، ج1، دار الكتاب  
العربي، مصر، د ط، 1951.
85. المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينين، منشورات كلية الآداب، الرباط،  
مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2000.
86. المقريزي أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار، بذكر الخطط والآثار، ج2،  
مطبعة الساحل الجنوبي الشياح، لبنان، د.ت.
87. المطيعي محمد بجيت، أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام،  
القاهرة، مصر، 1329هـ.

## قائمة المصادر والمراجع

88. المآثورات الشعبية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الاردن، عمان، ط 10، 1996.
89. نصيحة الناس من أجل ترشيد الأعراس: مشروع لمجموعة من الأئمة وأعيان المنطقة ونخبة من الأكاديميين وعدد من الفاعلين في منطقة الشريعة، تبسة، 2016
90. النعمي عباس، الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2011.
91. الناجي سعيد، الفرجة بين المسرح والأنثروبولوجيا، كتاب جماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان، جامعة الملك السعودي، المغرب، دار الثقافة والاعلام، الشارقة، ط 1، 2002.
92. النووي يحي محي الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج 10، ط 3، المكتب الاسلامي، بيروت، 1991.
93. وصفي عاطف ، الانثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للحالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربون الأمريكية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971.
94. يوسف حسن، المسرح والأنثروبولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000.
95. يوسف حسن، المسرح والفرجات، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، ط 1، 2012.

### ثانيا: القواميس والمعاجم

96. أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2004.
97. أنيس ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 2، دت
98. أبوصلح عدنان، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2006.

## قائمة المصادر والمراجع

99. ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1997.
100. بونت بيار وإيزارميشال، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
101. البستاني بطرس، قاموس محيط المحيط، مطبعة تبيويرسن لبنان، ط2، 1987.
102. الحفني عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000.
103. زيادة معن، الموسوعة الفلسفية العربية الرمزية، مجلد 2، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1988.
104. غيث عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1995.
105. الفيروز أبادي محمد مجد الدين، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995.
106. مذكور إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
107. الهنائي علي بن الحسن الأزدي، معجم المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق للنشر والتوزيع، بيروت، 1997.
108. الياس ماري وقصاب حنان حسن، المعجم المسرحي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997.

### ثالثا: المقالات والدوريات

109. بووشمة الهادي، الوعدة، التمثل والممارسة، دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار، مجلة إنسانيات: المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية الصادرة عن

## قائمة المصادر والمراجع

- المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC،  
عدد 39 – 40، سنة 2008.
110. برقوقي الزازية، جدلية الفن والعمل في ظاهرة التوزيع بمنطقة سيدي بوزيد، مجلة  
الثقافة الشعبية، السنة 05، عدد 17، ربيع 2012، ص ص: 95-103
111. بركة عبدالكريم، طقوس الإحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال أفريقيا، مجلة  
الثقافة الشعبية، عدد 19، السنة الخامسة، خريف 2012، ص ص: 91-103
112. جباس هدى، الإسم: هوية وتراث، مقارنة أنثروبولوجية لدلالة الأسماء في  
قسنطينة (1901-2001)، مجلة إنسانيات الصادرة عن مركز البحث في  
الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، الكراسك، عدد 30/29، سنة 2005.
113. حماني أحمد، محبة الرسول والأسوة به، مجلة الأصالة، عدد 13، مارس  
1976.
114. حسني إبراهيم عبد العظيم، الأبعاد الاجتماعية والرمزية: تحليل سوسيولوجي  
لظاهرة ختان الإناث، مجلة: نقد وتنوير، عدد 03، (ديسمبر/ يناير/ فبراير)  
2015.
115. خليفي عبد القادر، المولد النبوي الشريف في الجزائر، مجلة العلوم الانسانية،  
الصادرة عن جامعة وهران 1، عدد 10، بتاريخ: 2016/6/1.
116. خضرة أحمد، تناغم ثنائية الفرجة والتراث في المسرح الشعبي: شايب عاشوراء  
نموذجا، مجلة العلامة، تصدر عن مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب بكلية  
الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 2، 2016.
117. رمضان محمد الصالح، البصائر، عدد: 167، يوم: 1939/05/26.
118. رحماني نعيمة وبكوش نصيرة، دراسة سيميو- انثروبولوجية لعادات وطقوس  
الزواج بتلمسان، مجلة الثقافة الشعبية، الصادرة بالبحرين، عدد: 36، السنة العاشرة،  
2017.

## قائمة المصادر والمراجع

119. سعدي محمد، العائلة، عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر: الظاهرة الإحتفالية بالأعياد، نموذجاً، مجلة انسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد4، 1998.
120. ستيت كيفيتش سوزان، القصيدة العربية وطقوس العبور: دراسة في البنية النموذجية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد 6، عدد 1، دمشق، كانون الثاني 1985.
121. السيد عبد المومن و الزيات علا عبد المنعم، رموز الحناء بين التقليدية والمعاصرة، دراسة اثنوغرافية بإحدى المدن الليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، عدد 19، جزء 2، يوليو 2008.
122. السيد نزار، التمثلات الاجتماعية في علم الاجتماع، مجلة علوم التربية، دورية مغربية فصلية متخصصة، العدد 7.
123. السّموري محمد، إشكالية التوظيف البصري للتراث، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام حكومة الشارقة الإمارات العربية المتحدة، العدد 155، يوليو 2010.
124. صفوت محمد لطفى وآخرون، Female Circumcision Procedure، بحث مقدم للمجلة المصرية للجمعية المصرية لأمراض النساء والتوليد، القاهرة، العدد 22، أكتوبر 1996.
125. عمران كامل وآخرون، الحنة وظائفها وطقوسها الاجتماعية، دراسة أنثروبولوجية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مجلد: 33، عدد: 1، 2011.
126. عقون حنان، احتفالات يناير عند أمازيغ الجزائر بين الامس واليوم، دراسة في الأنساق الثقافية المضمرة، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018.

## قائمة المصادر والمراجع

127. العقون أم الخير، يناير حقيقة أم مغالطة تاريخية، أو الحقيقة بين الرواية الشفوية و الكتابة التاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد : 08، العدد: 01، جويلية 2019، جامعة وهران 1.
128. كعون فارس، احتفالات يناير بالجزائر، جذورها التاريخية، تظاهراتها ودلالاتها الرمزية، مقارنة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد الأول، ديسمبر 2019.
129. مرتاض عبد الملك، حركة الشعر المولدي في تلمسان على عهد أبي حمو الثاني، مجلة الأصالة، العدد 26، (عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها)، رجب - شعبان 1395هـ / جويلية - أوت 1975م.

### رابعا: المذكرات والرسائل والأطروحات الجامعية

130. أسعد فايزة، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة، مقارنة سوسيوأنثروبولوجية لعادات الختان والزواج، مدينتي وهران وندرومة نموذجاً، أطروحة غير منشورة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2011 / 2012.
131. ثياقة الصديق، المقدس والقبيلة: الممارسات الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري، زيارة الرقابي نموذجاً، رسالة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه علوم غير منشورة، في علم الاجتماع، 2013/2014.
132. زازوي موفق، الطقوس الجنائزية في منطقة تلمسان، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا غير منشورة، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2001/2002.
133. سعيدي محمد، الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق: دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة في الأنثروبولوجيا، جامعة تلمسان، 2006/2007.

## قائمة المصادر والمراجع

134. علي إبراهيم ثريا، زينة المرأة عند بدو الساحل الشمالى الغربى وجوانبها الاقتصادية والاجتماعية والجمالية والنفعية، رسالة دكتوراه غير منشورة، أكاديمية الفنون، المعهد العالى للفنون الشعبية، 1997.
135. قناو مصطفى، اللوائى والمواسم الاحتفالية فى منطقة تلمسان، أطروحة دكتوراه غير منشورة، تخصص ثقافة شعبية، جامعة أبى بكر بلقايد - تلمسان - للسنة الجامعية: 2010 / 2011.

### خامسا: المراجع باللغة الأجنبية

136. R, Davis-Floyd, Rites of Passage, In Darity, W, (ed.) International Encyclopeda of the Social Sciences, 2nd edition, Macmillan Reference, USA, 2008.
137. Durkheim, Émile, «Représentations individuelles et représentations collectives" Publié dans la Revue de Métaphysique et de Morale, Tome VI ,1898.
138. Moussaoui Abderrahmane, Espacé et sacre au Sahara , Ksour et Oasis du Sud-ouest Algérien, I S B N, Paris 2000.
139. M. Segalen, rite et rituels contemporains , ouvrages publie sous la direction de François de Singly, ed, Nathan, paris, 1988.
140. P, Shipton, Victor Turner, In Darity, W, (ed.) International Encyclopedia of the Social Sciences, 2nd edition, Macmillan Reference, USA, 2008
141. A, Van Gennep, The Rites of Passage, Translated by Vizedom, M. and Caffee G, The University of Chicago Press, Chicago, 1960.

### سادسا: المواقع الالكترونية

142. آيت باحسين الحسين، ظاهرة الاحتفال عند المغاربة، الحوار المتمدن، [www.ahewar.org](http://www.ahewar.org)، نشر بتاريخ 26 / 12 / 2012، زيارة بتاريخ: 20 / 02 / 2017، على الساعة 11:15.
143. ابن بجيت صالح مولى الدويله، المولد النبوي: نقاش هادئ، منديات الصوفية:، [www.alsoufia.com](http://www.alsoufia.com)، زيارة بتاريخ: 23 / 07 / 2017 على الساعة: 01:40
144. ابن باز عبد العزيز، الإمام ابن تيمية لم يستحسن الاحتفال بالمولد النبوي، الموقع الرسمي لعبد العزيز بن باز: [www.benbaz.org](http://www.benbaz.org)، زيارة بتاريخ: 25 / 09 / 2017، على الساعة: 17:50.
145. ابن بريكة محمد، يوم عاشوراء في الجزائر، وكالة الأناضول التركية، نقلا عن جريدة هيسبريس الإلكترونية المغربية الصادرة بتاريخ 14 نوفمبر 2013 عبر موقعها: [www.hespress.com/international/93848.html](http://www.hespress.com/international/93848.html)، زيارة بتاريخ: 2018/10/15.
146. بوهاها عبد الرحيم، طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهية، ملخص أطروحة دكتوراه، مؤسسة الانتشار العربي، 2008، موقع: [www.assafir.com](http://www.assafir.com)، زيارة بتاريخ 11 / 08 / 2016، 19:15.
147. - بوطوقة مبروك، يناير الأمازيغ: طقوس وأساطير، السفير العربي، العدد: 129، نشر بتاريخ: 21/01/2015، موقع: [arabic.assafir.com](http://arabic.assafir.com) زيارة بتاريخ: 2020/07/25.
148. حامد أمال النور، طقوس الزار وطبيعتها، مجلة الأنثروبولوجيا السودانية، العدد 4، يوليو 2005، [www.arcanni.org](http://www.arcanni.org)، زيارة بتاريخ 14/6/2016، على الساعة: 09:20

## قائمة المصادر والمراجع

149. رمضان محمد سعيد البوطي، فتاوي عن المولد النبوي، [www.naseemalsham.com](http://www.naseemalsham.com)، زيارة بتاريخ: 20 / 09 / 2017، على الساعة: 10:20.
150. زيادنة صالح، التراث الشعبي: مصطلحات ومدلولات، عن موقع: [www.khayma.com](http://www.khayma.com)، زيارة بتاريخ: 27.7.2016، 11:08.
151. عرفة جمال، الموالد والأضرحة في مصر: "بيزنس" وخرافات وشعوذة، موقع المسلم، [www.almoslim.net](http://www.almoslim.net)، زيارة بتاريخ: 2017/06/16 على الساعة: 18:08.
152. الهاشمي عصاد، الأمين العام للمحافظة السامية للامازيغية، نقلا عن موقع وكالة الأنباء الجزائرية، <http://www.aps.dz/ar/regions/52306-2018-01-20>، نشر بتاريخ: 02 جانفي 2018، 09:39.
153. عامر صالح، في سيكولوجيا الاحتفالات والأعياد الدينية، الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن، [www.m.ahewar.org](http://www.m.ahewar.org)، نشر بتاريخ: 09 / 12 / 2013، زيارة بتاريخ: 12 / 11 / 2017، على الساعة: 14:09.
154. العبيدي ابراهيم، ما أهمية العيد؟، <https://mawdoo3.com>، نشر بتاريخ: 06 نوفمبر 2016، زيارة بتاريخ: 10/03/2019، 11:08.
155. الغابري عبد الباسط، طقوس الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بتونس بين الأمس واليوم، موقع تورس، [www.turess.com](http://www.turess.com)، نشر بتاريخ: 25 / 02 / 2010، زيارة بتاريخ: 08 / 06 / 2017 على الساعة: 15:26.
156. فرغلي هارون محمد، الأعياد وأثرها في تماسك المجتمع، [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)، نشر بتاريخ: أكتوبر 2008، زيارة بتاريخ: 10 / 10 / 2017، على الساعة: 9:10.

## قائمة المصادر والمراجع

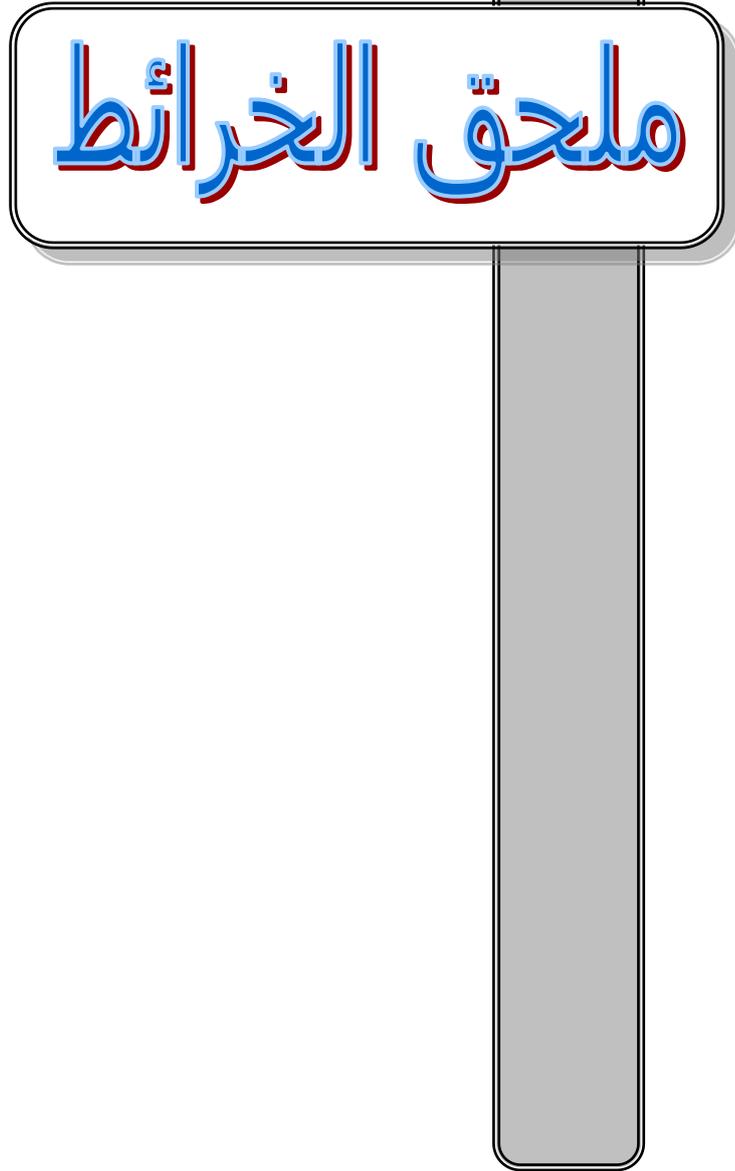
---

157. الفيل أشرف، الإحتفال بالمولد النبوي الشريف بين المؤيدين والمعارضين، مجلة ليلة خميس، [www.lailat-khames.com](http://www.lailat-khames.com)، نشر بتاريخ: 24 / 12 / 2016، زيارة بتاريخ: 23 / 07 / 2017، على الساعة: 09: 20
158. القرضاوي يوسف، الإحتفال بمولد النبي والمناسبات الإسلامية، [www.al-qaradawi.net](http://www.al-qaradawi.net)، زيارة بتاريخ: 19 / 09 / 2017 على الساعة: 10: 14.
159. المصري اليوم، الإحتفال بالمولد النبوي في تونس: مديح بالمساجد وزيارات للأضرحة وأكلات شعبية، [www.almasryalyoum.com](http://www.almasryalyoum.com)، نشر بتاريخ: 11 / 12 / 2016، زيارة بتاريخ: 08 / 06 / 2017 على الساعة: 16: 22.
160. ناصر الدين محمد الألباني، بدعة المولد، موقع صيد الفوائد: <http://saaid.net/mktarat/Maoled/2.htm>، زيارة بتاريخ: 25 / 09 / 2017، على الساعة: 20: 15.

# الملاحق

- مُلحق رقم 01: الخرائط
- مُلحق رقم 02: المبحوثين
- مُلحق رقم 03: الصّور
- مُلحق رقم 04: دليل المقابلة
- مُلحق رقم 05: وثائق

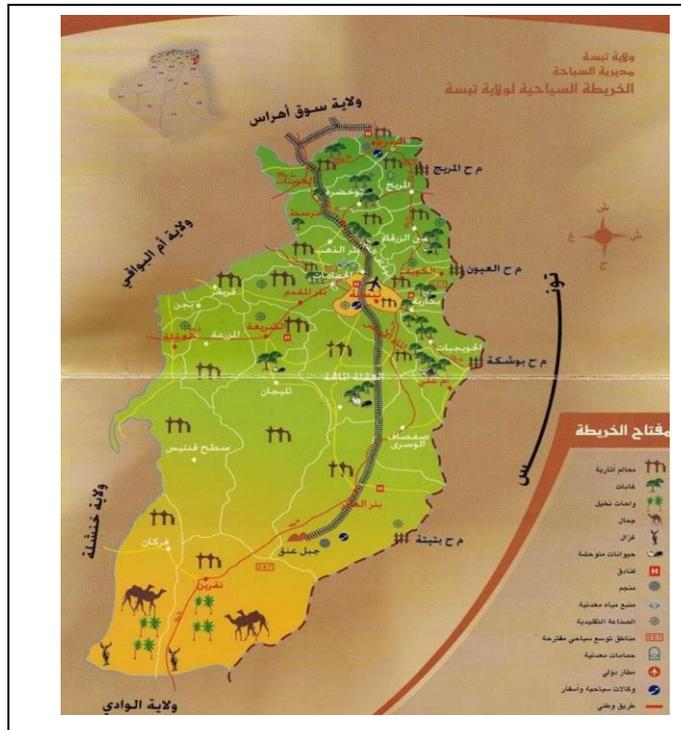
الملحق رقم (1)



## ملحق الخرائط

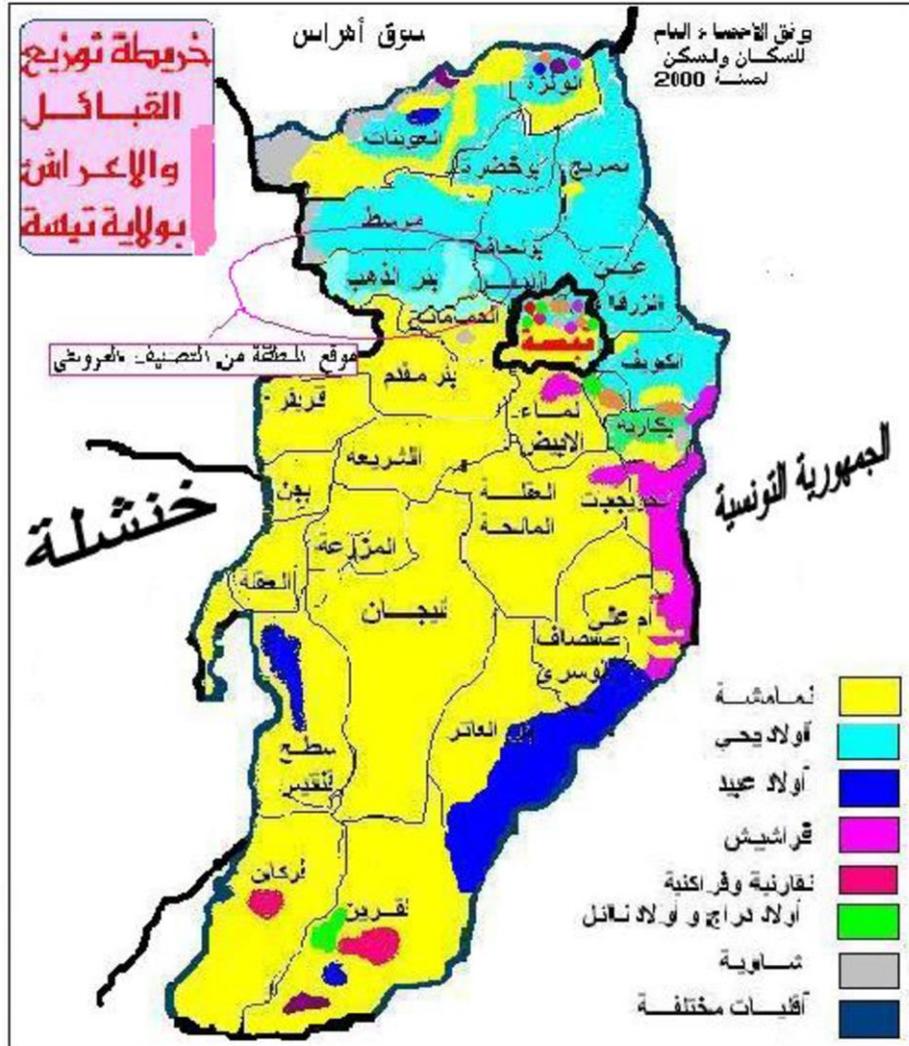


خريطة (1): خريطة ولاية تبسة تبين موقعها بالنسبة لخريطة الجزائر  
المصدر: مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية تبسة



خريطة (2): خريطة ولاية تبسة تبين حدودها  
المصدر: مديرية السياحة لولاية تبسة

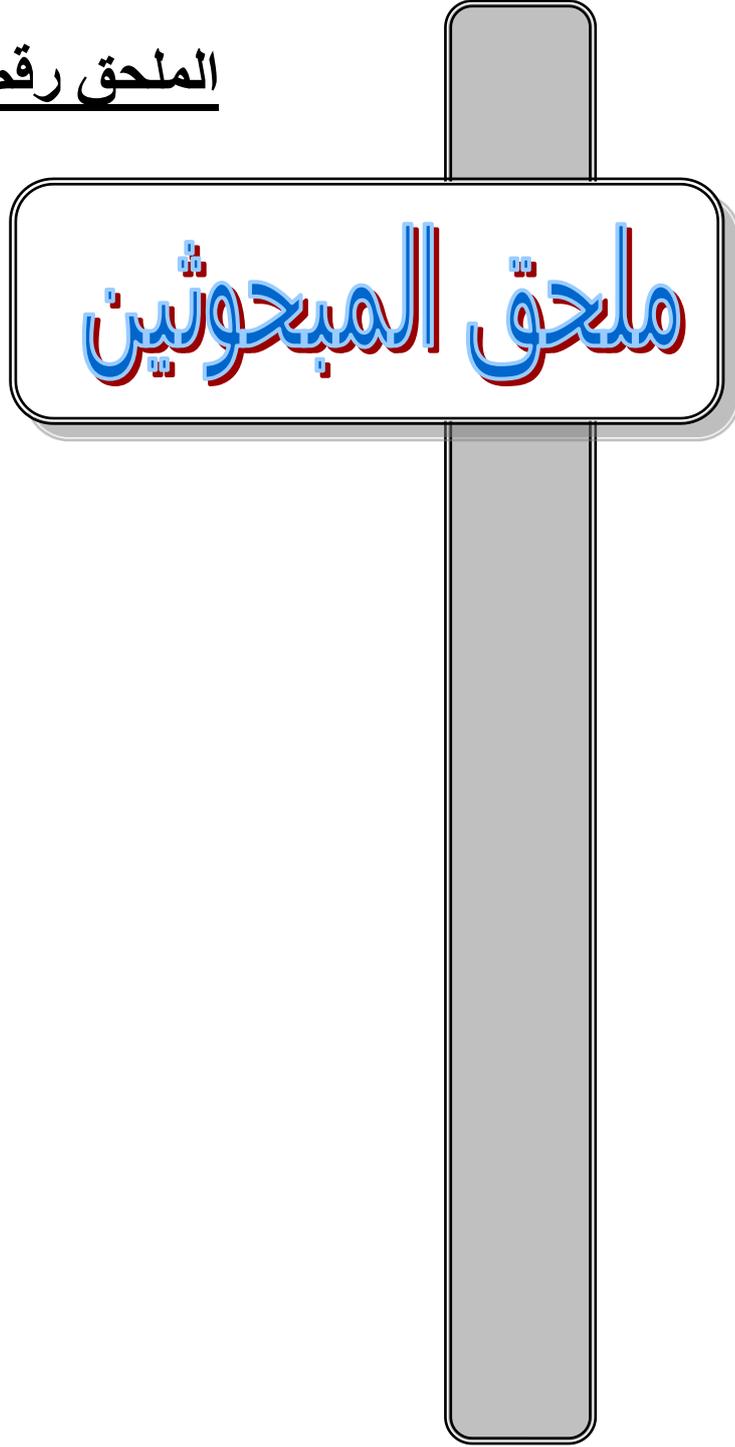
## ملحق الخرائط



خريطة (3): خريطة ولاية تبسة تبين توزيع القبائل والأعراس

المصدر: مديرية الثقافة لولاية تبسة

الملحق رقم (2)



## ملحق المبحوثين

### بطاقة تعريفية مختصرة

بالمبحوثين من الرجال الذين تمت الإستعانة بهم في هذه الدراسة

العرش	مكان الإقامة	تاريخ الميلاد	اللقب الإسم بالرموز	الرقم
اللامامشة	تبسة ولاية تبسه	1931/07/01	م. ع	01
اللامامشة	الشريعة ولاية تبسه	1957/07/01	ب. ع	02
أولاد سيدي يحي	المريج ولاية تبسه	1936/07/01	ض. ع	03
اللامامشة	الحمامات ولاية تبسه	خلال 1933	ع. ل	04
أولاد سيدي عبيد	بئر العاتر ولاية تبسة	1944/07/01	س. ع	05
أولاد سيدي يحي	الونزة ولاية تبسة	1951/07/01	ب. ج	06
اللامامشة	العقلة ولاية تبسة	خلال 1934	ع. ط	07
أولاد سيدي يحي	تبسة ولاية تبسة	1948/07/01	ص. م	08
أولاد سيدي يحي	العوينات ولاية تبسة	1950/07/01	ب. م	09
اللامامشة	الشريعة ولاية تبسة	1961/07/01	ق. ف	10
أولاد سيدي يحي	بوخضرة ولاية تبسة	1954/07/01	ح. ك	11
أولاد دراج	تبسة ولاية تبسة	1990/07/01	ب. س	12

### جدول ( 1 ) : المبحوثين من الرجال

ملاحظة: المبحوث رقم 12 يبدوا من الجدول أنه من مواليد 1990، بمعنى أنه من فئة الشباب، وقد إستفدنا منه في موضوع المفرقات والألعاب النارية التي تباع في الأسواق الشعبية خلال إحتفالية المولد النبوي.

## ملحق المبحوثين

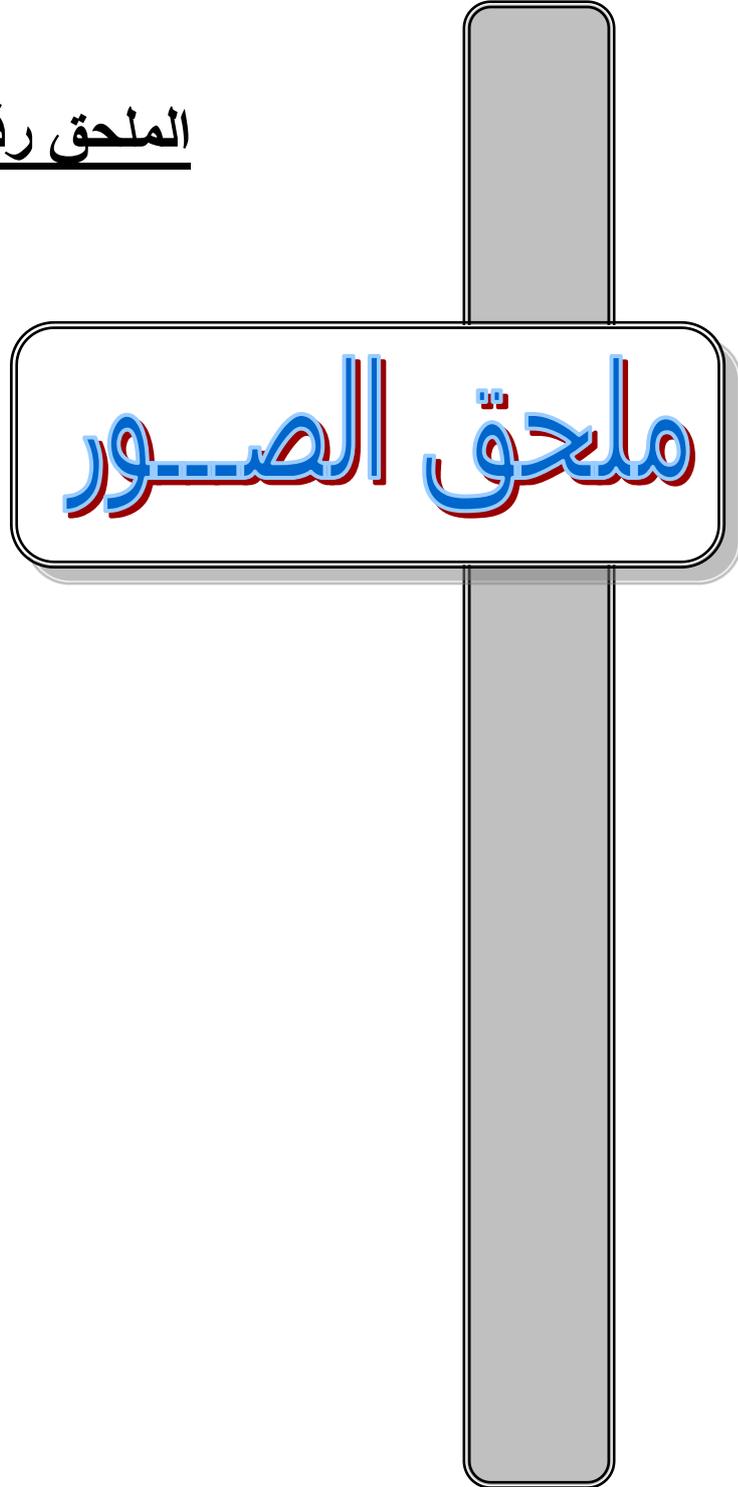
### بطاقة تعريفية مختصرة

بالمبحوثات من النساء اللاتي تمت الإستعانة بهن في هذه الدراسة

العرش	مكان الإقامة	تاريخ الميلاد	اللقب الإسم بالرموز	الرقم
أولاد سيدي عميد	بئر العاتر ولاية تبسه	1944/07/01	ب. ل	13
أولاد سيدي يحي	تبسة ولاية تبسه	1947/07/01	م. ر	14
اللامامشة	الشريرة ولاية تبسه	1950/07/01	ع. ش	15
أولاد درّاج	تبسة ولاية تبسة	خلال 1936	ف. ج	16
أولاد سيدي يحي	الونزة ولاية تبسة	1949/07/01	م. ز	17
اللامامشة	الشريرة ولاية تبسة	1932/07/01	ج. ي	18
اللامامشة	العقلة ولاية تبسة	خلال 1935	ب. ص	19
أولاد سيدي يحي	تبسة ولاية تبسة	1948/07/01	ع. ك	20

جدول ( 2 ) : المبحوثات من النساء

الملحق رقم (3)



صور فوتوغرافية ملتقطة تبين بعض الطقوس والممارسات  
المصاحبة للختان بمنطقة تبسة



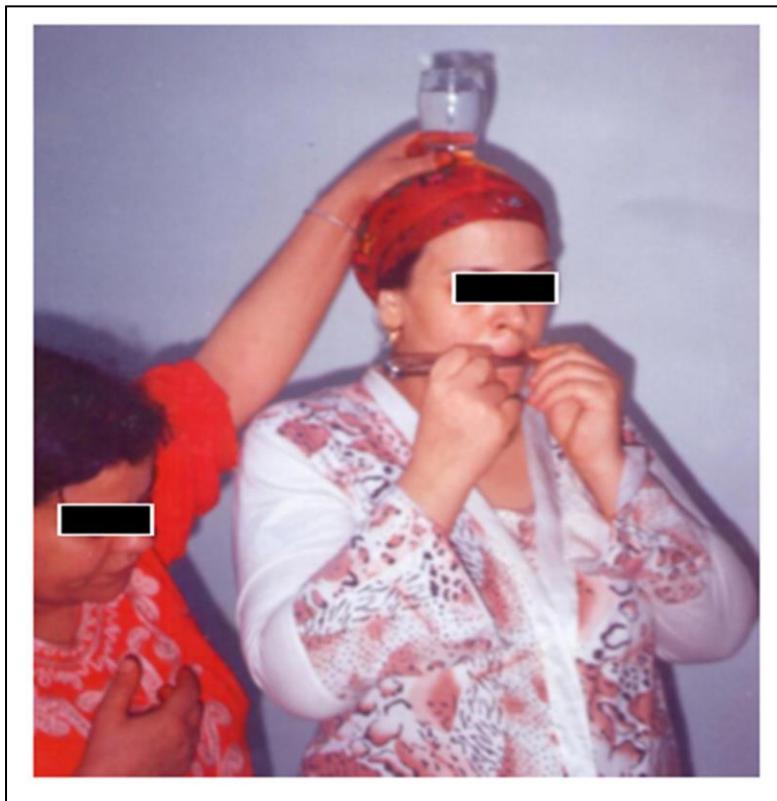
1 - صورة ملتقطة تبين الجدّ وهويتولى مساعدة الختّان أثناء إجراء عملية الختان كما تبين أحد أقارب المختون يحمل سينية بها بعض الأواني لإحداث ضجيج حتى لا تسمع الأم صراخ ابنها أثناء الختان



2 - صورة ملتقطة تبين مساعدة الجد والعم للختّان لحظة إجراء عملية الختن



3 - صورة ملتقطة تبين تجهيز الطفل بلباسه الخاص قبل إجراء الختان.



4 - صورة ملتقطة تبين ممارسة طقوسية تسبق عملية الختان تُظهر أم الطفل تمسك بسكين في فمها وتضع فوق رأسها كوباً من الحليب وهي بين الفرح والرهبة تترقب ختن ابنها.



5 - صورة تُظهر مُمارسات طقوسية تسبق عملية الختان تبين تحضير القصعة ( الإناء ) التي بها التراب الذي ستوضع فيه قطعة الجلد التي سيتم قطعها وبترها أثناء الختان من أجل دفنها وهم في جومن البهجة والفرح يعبرن عنه بالغناء والزغاريد



6 - صورة تُظهر عملية مداوات الطفل بعد الختان



7 - صورة تُظهر حمل الطفل بعد إجراء الختان من طرف جده وأحد أعمامه من أجل نقله لفراش خاص به.



8 - صورة تُظهر فرح وبهجة أقران الطفل المختون ومشاركتهم الاحتفال وهم يحملون أعز ما يحتفل به في مثل هذه المناسبات ألا وهي البندقية

## ملحق الصور



صورة (9): صورة لطاولة إحدى الباعة تتضمن أنواع مختلفة من المفرقات والالعاب النارية، تم تصويرها من طرف الباحث بمناسبة إحتفالية المولد النبوي في مدينة تبسة



صورة (10): طاولة لأحد الباعة بها مجموعة من الشموع وأنواع من المفرقات، من تصوير الباحث خلال إحتفاليات المولد النبوي بمدينة تبسة، وهو ينادي للترويج وبيع سلعته.

## ملحق الصور



صورة ( 11 ): صورة لطاولة إحدى الباعة تتضمن أنواع مختلفة العنبر البخور والشموع، إضافة إلى مجموعات من المفرقات، تم تصويرها من طرف الباحث في مدينة تبسة خلال احتفاليات المولد النبوي.



صورة (12): طاولة لأحد الباعة بها مجموعة من المفرقات والألعاب النارية، بمدينة تبسة، رفقة الباحث خلال إحدى المقابلات.

الملحق رقم (4)

دليل المقابلة

## دليل المقابلة

### تمهيد:

قبل البدء في الاستجواب وأخذ البيانات الشخصية الخاصة بالمبحوثين، أُوِّضِحَ لهم الهدف من هذه المقابلة وأنها تتعلق بجمع بيانات ومعلومات حول موضوع الطقوس الاحتفالية والعادات والممارسات الاجتماعية المرتبطة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع التبسي وذلك بغرض إعداد أطروحة دكتوراه، وأنّ البيانات الشخصية الخاصة بهم لا تتضمن ألقابهم وأسمائهم وأنّ المعلومات التي يتم التصريح بها لا تستخدم إلا لغرض البحث العلمي وأن الصور لا تنشر إلاّ بإذنه.

### محاور الأسئلة:

المحور الأول: البيانات الشخصية.

المحور الثاني: الطقوس الاحتفالية والعادات الاجتماعية المرتبطة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع التبسي.

المحور الثالث: الدلالات الرمزية والوظائف الاجتماعية والمظاهر الفرجوية للأعياد والمناسبات الإحتفاليات في المجتمع التبسي

المحور الرابع: التغييرات التي مسّت العادات الاجتماعية والطقوس والممارسات الاحتفالية المرتبطة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع التبسي في ظل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها المجتمع التبسي.

### المحور الأول: البيانات الشخصية

1. الجنس
2. السن ( العمر )
3. المستوى التعليمي
4. الحالة المهنية
5. الأصل الجغرافي
6. مكان السكن ( الإقامة )

### المحور الثاني: الطقوس الاحتفالية والعادات الاجتماعية المرتبطة بالاعیاد

#### والمناسبات الاحتفالية في المجتمع التبسي.

- هل قمت بالاحتفاليات على مستوى عائلتكم؟ أو حضرت لها؟ ماهي هذه الاحتفاليات؟ وهل هناك احتفاليات أخرى؟ اذكرها.
1. ماذا تمثل هذه الاحتفاليات بالنسبة إليك؟ كيف ينظر إليها المجتمع؟
2. هل تعرف أصل هذه الطقوس والممارسات الاحتفالية؟ كيف إنتقلت إلى سكان هذه المنطقة؟
3. هل بقيت العائلة التبسية محافظة على عاداتها وتقاليدها المرتبطة بالمناسبات الاحتفالية؟ كيف ذلك؟
4. كيف ترى آثارها على الفرد والعائلة والمجتمع؟

## دليل المقابلة

### أولاً: الإحتفالات المرتبطة بدورة الحياة عموماً واحتفالية الختان خصوصاً

#### في المجتمع التبسي

1. ماهي الكلمات المستخدمة للتعبير عن الختان في منطقتكم؟ لماذا؟
2. هل قمت باحتفال عند ختن أولادك؟ ماهو سن الاطفال عند ختنهم؟ من قام بعملية الختن؟
3. إذا كانت لك بنت، هل تقوم بختنها؟ لماذا؟
4. ماهو دور الأم في هذه الاحتفالات؟ وكذلك الأهل والاقارب والجيران؟
5. هل تلقيت مساعدات خلال قيامك بهذه الاحتفالات؟ ممن؟ وكيف تنظر إليها؟
6. ماهي العادات والطقوس التي تمارسونها في هذه الاحتفالية؟ قبل يوم الختان وأثناءه وبعده؟
7. كيف كانت تمارس هذه الاحتفالات في الماضي؟ وماهي أهم التغيرات والمستجدات التي طرأت على الاحتفالات العائلية اليوم؟

### ثانياً: الاحتفالات المرتبطة بالمناسبات الدينية عموماً واحتفالية المولد النبوي خصوصاً

#### في المجتمع التبسي

1. ماذا تعني لك الاحتفالات الدينية عموماً واحتفالية المولد النبوي خصوصاً؟
2. كيف يكون التحضير لهذه الاحتفالات؟
3. ماهي العادات التي تمارسونها في الاحتفالات الدينية عموماً واحتفالات المولد النبوي خصوصاً؟
4. ماهي طلبات الأولاد في هذه الاحتفالية؟ وماهو دورهم فيها؟
5. كيف كانت تمارس هذه الاحتفالات في الماضي؟ وماهي أهم التغيرات والمستجدات التي طرأت على الاحتفالات العائلية اليوم؟

## دليل المقابلة

### المحور الثالث: الدلالات الرمزية والوظائف الاجتماعية والمظاهر الفرجوية للأعياد

#### والمناسبات الاحتفالية في المجتمع التبسي

1. كيف تنظر للطقوس الاحتفالية؟ هل هي عادة وعرف اجتماعي أم أمر ديني؟
2. هل تلقيت إعنات ومساعدات أثناء الاحتفالات التي قمت بها؟ ممن تلقيتها؟ وما هي أشكال هذه المساعدات؟ وهل ستردها لهم في مناسبات أخرى؟ لماذا؟
3. هل هناك تضامن إنساني وتكافل اجتماعي من طرف الجيران والأقارب وزملاء العمل خلال هذه الاحتفالات؟
4. ماهي الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي تؤديها هذه العادات والممارسات الاحتفالية؟ وماهي دلالاتها وأبعادها؟
5. كيف كانت مظاهر الفرجة الاحتفالية؟ ومن يحضرها؟

### المحور الرابع: التغييرات التي مسّت العادات الاجتماعية والطقوس والممارسات

#### المرتبطة بالأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع التبسي في ظل التطورات

#### الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها المجتمع.

1. هل للتطورات الاقتصادية والثقافية الحاصلة اليوم تأثير على المحافظة على العادات والطقوس الاحتفالية؟ وهل كان هذا التأثير كبير لدى سكان المدينة أم لدى سكان الريف؟ لماذا؟
2. أيهما أكثر تمسّكا بالعادات والممارسات الاحتفالية سكان الريف أم سكان المدينة؟ لماذا؟
3. أيهم أكثر تمسّكا بالعادات والممارسات الاحتفالية، المسنون من الرجال والنساء أم الشباب؟ لماذا؟

## دليل المقابلة

---

4. هل أهل الريف الذين هاجروا إلى المدينة لا يزالون محافظين على عاداتهم

وممارساتهم الاحتفالية رغم اندماجهم في مجتمع المدينة؟

5. كيف كانت الاحتفاليات في الماضي؟ وماهي أهم التغيرات والمستجدات التي

طرأت على الاحتفاليات العائلية اليوم؟

ملاحظة:

بعد طرح السؤال على المبحوث نعطيه الوقت الكافي للإجابة، ومن خلال إجابته

تتولد لنا تساؤلات أخرى في حينها، نعمل على صياغتها ونعيد طرحها عليه لتوضيح

بعض الجوانب الأخرى المكملة.

الملحق رقم (5): الوثائق المتعلقة بمشروع  
ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة  
ولاية تبسة ( الجزائر )

وثائق

# وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة



نص الوثيقة التي تليت يوم: 14 / 05 / 2016

في اللقاء الجامع: ترشيد الأعراس، والذي عقد بمسجد الإصلاح بالشريعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية تبسة

أئمة مساجد الشريعة يقدمون:

نصيحة للناس من أجل ترشيد الأعراس

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل : "وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" الروم الآية 21، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا، القائل في هديه للأمة: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج" وقال متحدثا عن الزواج: "فمن رغب عن سنتي فليس مني" وقال حائثا على التيسير: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" وقال أيضا للرجل الذي جاء يطلب الزواج: "إلتمس ولو خاتما من حديد".

أما بعد: إن الزواج الذي سماه الله تعالى ميثاقا غليظا وجعله سنة النبيين والمرسلين والناس أجمعين، هو دعامة اجتماعية وبناء متين في مجتمعات المسلمين المبنية على أخلاق الفضيلة والرجولة والحياء والعفة، بات مهددا اليوم بكثير من المخاطر وذلك بسبب الغلاء الفاحش والمغالاة والتبذير والإسراف، فتعسرت الباءة على كثير من المقبلين على الزواج وعزفوا عنه لكثرة ما يحيط به من الشروط والالتزامات المادية. أمام هذا الوضع انبثرت مجموعة من الخيرين في مدينة الشريعة، وفي مقدمتهم أئمة المساجد وقاموا بعدة جلسات و مشاورات عديدة واتصالات ببعض المتخصصين من كافة جهات الولاية وبعض الأعيان ممن كان لهم باع في مثل هذه الأعمال وبعد كل ذلك قاموا بوضع هذه المقترحات ولأراء التي نطلق عليها : نصائح للناس من أجل ترشيد الأعراس وذلك من اجل إثراءها وتعديلها وما يقتضيه ذلك من الزيادة أو النقصان وهي عبارة عن مشروع بحاجة كبيرة لرأي المتخصصين من العلماء والقضاة والباحثين وعلماء الاجتماع وكبراء

# وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

الوجهاء ممن سبق لهم إقامة مثل هذه الأعمال، ها نحن اليوم: السبت 07 شعبان 1437 هـ الموافق لـ 14 ماي 2016 م، نضع بين أيديكم هذه الورقة.

## ولنا فيما ثلاثة مقاصد:

أولاً: إرضاء الله سبحانه وتعالى واستجابة لواجب النصيح والبلاغ خدمة للبلاد وتيسيراً لمصالح العباد.

ثانياً: تكملة هذه المقترحات أو الأرضية بما لديكم من ترشيد وتصحيح وملاحظات وتصويبات وتعديلات تتوافق مع كافة أعراف وتقاليد بلاد تبسة الأصيلة وليس فقط مع منطقة الشريعة وما جاورها.

ثالثاً: وهذا جانب عملي لكل الأفراد والقبائل والأعراس التي استجابت للنصح وتجاوبت مع المبادرات والتي تحب أن تسبق إلى العمل بما تيسر لهم وما استطاعوا أن يلتزموا به مما جاء في هذه الأرضية فلهم ذلك مع فضل تحصيل أجر السبق إلى الخير والحض عليه.

وفيما يلي تفصيل لما توصلنا إليه من اجتهاد حول ما يمكن أن تكون عليه هذه الورقة:

## أولاً: الأهداف: تسعى الورقة لتحقيق:

1. تسهيل إقامة الأعراس وتيسير مؤونها.
2. نبذ الإسراف والتبذير.
3. تجنب أعراسنا الوقوع في المخالفات الشرعية والمحرمات.
4. العمل على الحد من تفاقم ظاهرتي العزوبية والعنوسة في أوساط الشباب والشابات.

## ثانياً: النصائح والمقترحات

تنصح الورقة جميع الناس على اختلاف أعراسهم ومناطقهم وتقاليدهم، وتناديهم ببناء الله تعالى، بما يملأ قلوبهم من الإيمان والخير، بما يعمّر مقاماتهم بالشهامة والكرامة، وبما يُعرفون به من الغيرة على المحرمات والأعراض، بما يتحلون به من المسؤولية النابعة من العزة والأنفة تنصحهم بالنصائح والمقترحات الآتية:

1 - محاولة الاتفاق على المبلغ الذي يقدمه الزوج لزوجته لتغطية المطالب والشروط والذي يشمل الجهاز والكسوة والشاة والذهب والصوف وغيرها من المطالب ... يكون

## وثائق مشروع ترشيح الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

- وسطا بين الناس تراعى في تحديده الفوارق الاجتماعية والكفاءة البيئية ويراعى فيه المقصد الأسمى الديني والذي يحض في مجموع نصوصه على التيسير وتقليل النفقة والبعد عن مظاهر الإسراف والمباهاة، و المقترح حسب ما استحسنه الكثير وكادت أن تجمع عليه آراء الغالبية ممن تواصلنا معهم هو مبلغ مئتا ألف دينار جزائري (عشرون مليون سنتيم) ثم من كان أكثر كرمًا وفضلاً ومال إلى اليسر فخفض عن ذلك يشكر ويشجع ويشاد بعمله في المحافل والمنابر إبرازاً للقدوة وترغيباً في الخير.
- 2 - التواصي بإجراء عقد القران الشرعي في المسجد، هذا من شأنه تقليل نفقات العرس لجلب الخير والبركة ويكون مسبقاً بالعقد الشرعي.
  - 3 - تجنب أعراسنا مظاهر التبذير والإسراف والمباهاة وكل ما من شأنه الخروج بها عن تعاليم الدين الحنيف والعرف السديد والتقاليد الراشدة وذلك تحقيقاً لمرضاة الله تعالى.
  - 4 - الاكتفاء بالخطبة الشرعية التي هي وعد بالزواج وترك ما صار يعرف بالتهنئة والخاتم وما يسمى بحنة العريس ما يرافق ذلك من مظاهر وتكاليف تثقل كاهل الطرفين.
  - 5 - ننصح بعدم إلزام العريس بهدايا الأعياد والمناسبات والاقتصار على ما كان معتاداً بين الناس والتميز بالبساطة والتيسير.
  - 6 - نهيب بالخيرين إشاعة عادة المساهمة في تجهيز بيت الزوجية [ بيت البناء ] من طرف الأقارب والأصدقاء بدل إتلاف الأموال في ظاهرة البارود والمواكب الفاخرة.
  - 7 - عدم المبالغة في الجهاز والأثاث ونقله إلى بيت الزوجية في ستر وفي غير موكب العرس بعيداً عن مظاهر المباهاة والمفاخرة.
  - 8 - الاكتفاء أثناء العرس بوليمة واحدة - عشاء أو غداء - والاقتصار على عدد محدود من أنواع الأكل والرجوع بذلك إلى أصالة امتنا وتقاليدنا.
  - 9 - التقليل من الحلويات والاكتفاء باليسير الذي يفي بالغرض.
  - 10 - الاقتصار في موكب العرس على عدد محدود من السيارات لنقل العروس وأهلها.
  - 11 - التزام آداب الطريق وعدم غلقه على المارة، أثناء مرور الموكب.
  - 12 - ننصح بتواصي الخيرين والوجهاء ورؤوس الأعراس في كافة البلاد برفع التماسات وانشغالات للسلطات العليا في الولاية من أجل التدخل للحد من الاستعمال الغير مدرّوس والفوضوي لإطلاق البارود وزجر ومعاقبة من يخالف ذلك من طرف السلطة المخولة قانوناً
  - 13 - استغلال فرصة الأعراس لتوطيد أواصر التآخي و صلة الرحم وتجنب ما من شأنه

## وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

أن يؤدي إلى القطيعة والخصومات والالتزام بالتقاليد النابعة من صميم ديننا وعمق أصالتنا كالحشمة والحياء والرجولة.

### الخاتمة:

وفي الختام نرجو من كافة الخيرين والوجهاء والمتخصصين، ممن تملأ قلوبهم تقوى الله تعالى والغيرة على تعاليم ديننا الحنيف وحب هذا الوطن المفدى. نرجو منهم المساهمة الفاعلة في ترشيد وتنقيح وتصويب هذه المقترحات ودراستها من كافة الجوانب وإقامة الورشات المتخصصة والندوات العلمية واللقاءات الجوارية والمناقشات التواصلية للوصول بها إلى أعلى درجات الإتقان والتفعيل والله من وراء القصد "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".



الإمام لعنه السنيح  
الحمد لله رب العالمين



هي هيرت احمد  
امام مدرست



امام استاذ  
الحى بالخير



بوزيدة عبد الستار  
- امام استاذ -



الإمام ق. ف. هيرت

الوثيقة (1) عبارة عن نص الوثيقة الخاصة بترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة، والتي تم الإعلان عنها خلال الإجتماع الموسع المنعقد بتاريخ 2016/05/14، بمسجد الإصلاح بالشريعة بعد صلاة العصر، حيث تم مناقشتها والمصادقة.

مصدر الوثيقة (1): صفحة ترشيد الأعراس بالشريعة على صفحة الفايس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)

# وثائق مشروع ترشيح الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

الحمد لله رب العالمين القائل في شأنهم التبريل: "ومن أهدى الله سبيلك فقد هدانا له سبيلنا ومن أضل الله سبيلك فقد أضلنا له سبيلنا".

إن الزواج الذي وصفه الله تعالى بأنه ميثاقا غليظا وجمعة سنة النبيين والمرسلين والناس اجتماع المسلمين المنبئة على أخلاق الفضيلة والرجولة والحياء والشفقة، بات مهددا اليوم بكثير من المخاطر وذلك بسبب الغلاء الفاحش والمغالاة والتبذير والإسراف، فتعصرت الباءة على كثير من المقبلين على الزواج وعزفوا عنه لكثرة ما يحيط به من الشروط والالتزامات المادية.

أمام هذا الوضع انبرت مجموعة من الخيرين في مدينة الشريعة، وفي مقدمتهم أئمة المساجد وقاموا بعدة جلسات و مشاورات عديدة واتصالات ببعض المتخصصين من كافة جهات الولاية وبعض الأحيان ممن كان لهم باع في مثل هذه الأعمال وبعد كل ذلك قاموا بوضع هذه المقترحات والأراء التي نطلق عليها:

## نصائح للناس من أجل ترشيح الأعراس

1

وذلك لأثرها وتبعاتها وما يقتضيه ذلك من الزيادة أو النقصان وهي عبارة عن مشروع بحاجة كبيرة لأراي المتخصصين من العلماء والقضاة والباحثين وعلماء الاجتماع وكبراء الجهات ممن سبق لهم إقامة مثل هذه الأعمال، ها نحن اليوم: السبت 07 شعبان 1437 هـ الموافق لـ 14 ماي 2016 م.

نضع بين أيديكم هذه الورقة ولنا فيها ثلاثة مقاصد **أولا** إرضاء الله سبحانه وتعالى واستجابة لواجب النصح والبلاغ خدمة للبلاد وتيسيرا لمصالح العباد.

**ثانيا** تكلمة هذه المقترحات أو الأرضية بما لديكم من ترشيح وتصحيح وملاحظات وتصويبات وتعديلات تتوافق مع كآفة أعراف وتقاليد بلاد تيمسة الأصلية وليس فقط مع منطقة الشريعة وما جاورها، لتصل في النهاية إلى وثيقة جامعة لكل الولاية.

**ثالثا** وهذا جانب عملي لكل الأفراد والقبائل والأعراس التي استجابت للنصح وتجاوبت مع المبادرات والتي تحب أن تسبق إلى العمل بما تيسر لهم وما استطاعوا أن يلتزموا به مما جاء في هذه الأرضية فلهم ذلك مع فضل تحصل أجر السبق إلى الخبر والحض عليه.

وفيما يلي تفصيل لما توصلنا إليه من اجتهاد حول ما يمكن أن تكون عليه هذه الورقة:

**أولا: الأهداف:**

تسعى الورقة لتحقيق:

- 1 - تسهيل إقامة الأعراس وتيسير مؤتمتها.
- 2 - نيل الإسراف والتبذير.
- 3 - تجنب أعراسنا الوقوع في المخالفات الشرعية والمحرمات.
- 4 - العمل على الحد من تفكك ظاهري العروبية والعنوسة في أوساط الشباب والشابات.

2

## النصائح والمقترحات

تتصح الورقة جميع الناس على اختلاف أعراسهم ومناطقهم وتقاليدهم، وتناديهم ببناء الله تعالى، بما يملأ قلوبهم من الإيمان والخير، بما يغفر مقاماتهم بالشهامة والكرامة، وبما يعرفون به من القبرة على المحرمات والأعراض، بما يتحذرون به من المسؤولية النابعة من العزة والأدفة تنصهم بالنصائح والمقترحات الآتية:

- 1 - محاولة الاتفاق على المبلغ الذي يقدمه الزوج لزوجته لتغطية المطلب والشروط والذي يشمل الجهاز والكسوة والشاة والذهب والصوف وغيرها من المطالب... يكون وسطا بين الناس تراعى في تحديده القوارق الاجتماعية والكفاءة البيئية ويراعى فيه المقصد الأسمى الديني والذي يحض في مجموع نصوصه على التيسير وتقليل النفقة والبعد عن مظاهر الإسراف والمباهاة، أي المقترح حسب ما استحسنته الكثير كآدبته أن تجمع على آراء الغالبية ممن توصلنا إليهم هو مبلغ مئتا ألف دينار جزائري | عشرون مليون سنتيم | ثم من كل من أكثر كرما وفضلا ومال إلى العسر ففخض عن ذلك يشكر ويشجع ويشاد بعبارة في العجائز والمنابر أبرزها للثورة وترغيبا في الخير.
- 2 - التواصي بإجراء عقد القران الشرعي في المسجد، هذا من شأنه تقليل نفقات العرس لجلب الخير والبركة، ويكون مسبوقا بالعقد الإداري.
- 3 - تجنب أعراسنا مظاهر التبذير والإسراف والمباهاة وكل ما من شأنه الخروج بها عن تعاليم الدين الحنيف والعرف السديد والتقاليد الرائدة وذلك تحقيقا لمرضاة الله تعالى.
- 4 - الاكتفاء بالخطبة الشرعية التي هي وعد بالزواج وترك ما صار يعرف بالتهنئة والخاتم وما

3

## وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

4

يسمى بجنحة العريس و ما يرافق ذلك من مظاهر وتكاليف ثققل كاهل الطرفين.

5 - ننصح بعدم الزام العريس بهدايا الأعياد والمناسبات والاقتصر على ما كان معتادا بين الناس والمتميز بالبساطة والتيسير .

6 - نهيب بالخبرين اتساعا عادة المساهمة في تجهيز بيت الزوجية | بيت البناء | من طرف الأقارب والأصدقاء بدل إتلاف الأموال في ظاهرة البارود والمواكب الفاخرة .

7 - عدم المبالغة في الجهاز و الأثاث ونقله الى بيت الزوجية في ستر وفي غير موكب العرس بعيدا عن مظاهر المباهاة والمفاخرة .

8 - الاكتفاء أثناء العرس بوليمة واحدة - عشاء أو غداء - والاقتصر على عدد محدود من أنواع الأكل والرجوع بذلك الى أصالة أمنا وتقاليدنا .

9 - التقليل من الحلويات والاكتفاء باليسير الذي يفي بالغرض .

10 - الأقتصر في موكب العرس على عدد محدود من السيارات نقل العروس وأهلها .

11 - التزام آداب الطريق وعدم علقه على المارة، أثناء مرور الموكب .

12 - ننصح بتواصي الخبرين والوجهاء وروس الأعراس في كافة البلاد برفع التماسات والشفاعات للسلطات العليا في الولاية من أجل التدخل للحد من الاستعمال الغير مدروس والفوضوي لإطلاق البارود المخولة قانونا .

13 - استغلال فرصة الأعراس لتفطير أوامر ، التاخي و صلة الرحم وتجنب ما من شأنه أن يؤدي إلى القطيعة والخسومات والالتزام بالتقاليد التابعة من صميم ديننا وعمق أصالتنا كالحشمة والحياء والرجولة .

5

**الخلاصة**

وفي الختام نرجو من كافة الخبرين والوجهاء والمتخصصين ، ممن تملأ قلوبهم تقوى الله تعالى و الغيرة على تعاليم ديننا الحنيف وحب هذا الوطن المقدس، نرجو منهم المساهمة الفاعلة في ترشيد وتقيح وتصويب هذه المعتقدات وراستها من كافة الجوانب وأقامة الورشات المتخصصة والتدورات العطية والتقاءات الجوارية والمنقشات التواصلية للوصول بها إلى أعلى درجات الإحسان والتفعل والله من وراء القصد " رضى عملاً نسرى الله عنكم ورسولاً ونذيرتون " . القوية 05

**أقترحها أنمة المدينة ووقعوا عليها**

**تركية لها**

الشيخ الإمام الأستاذ محمد بريس إمام مسجد الكوثر  
الشيخ الإمام الأستاذ فوزي فارح إمام مسجد الإصلاح  
الشيخ الإمام الأستاذ لخضر صالح إمام مسجد الفرقان  
الشيخ الإمام المدرس محمد هبوب إمام مسجد عمر بن الخطاب  
الشيخ الأستاذ فيصل قارة خطيب المسجد العتيق  
الشيخ الأستاذ عثمان هيملة خطيب مسجد عثمان بن عفان  
الشيخ الأستاذ مراد براهي خطيب مسجد محمد الأمين المودكي.

**كما قرأها وباركها بعض العلماء والأفضاء من المنطقة نذكر منهم :**

الكتور علال مطروح أستاذ بجامعة العربي النسي تبسة،  
الكتور عبد الحليم قارة أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة  
الكتور عبد القادر حدي أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر بفسطاطية  
الكتور كمال القرومي أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر بفسطاطية  
الكتور باهي الشركي رئيس المجلس القاهمي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف تبسة.

بسم الله الحكمان الحكيم

مديرية الشؤون الدينية  
والأوقاف لولاية تبسة

أنمة مساجد الشريعة

يقول مولانا:

نصيحه للناس  
من أجل  
ترشيد الأعراس

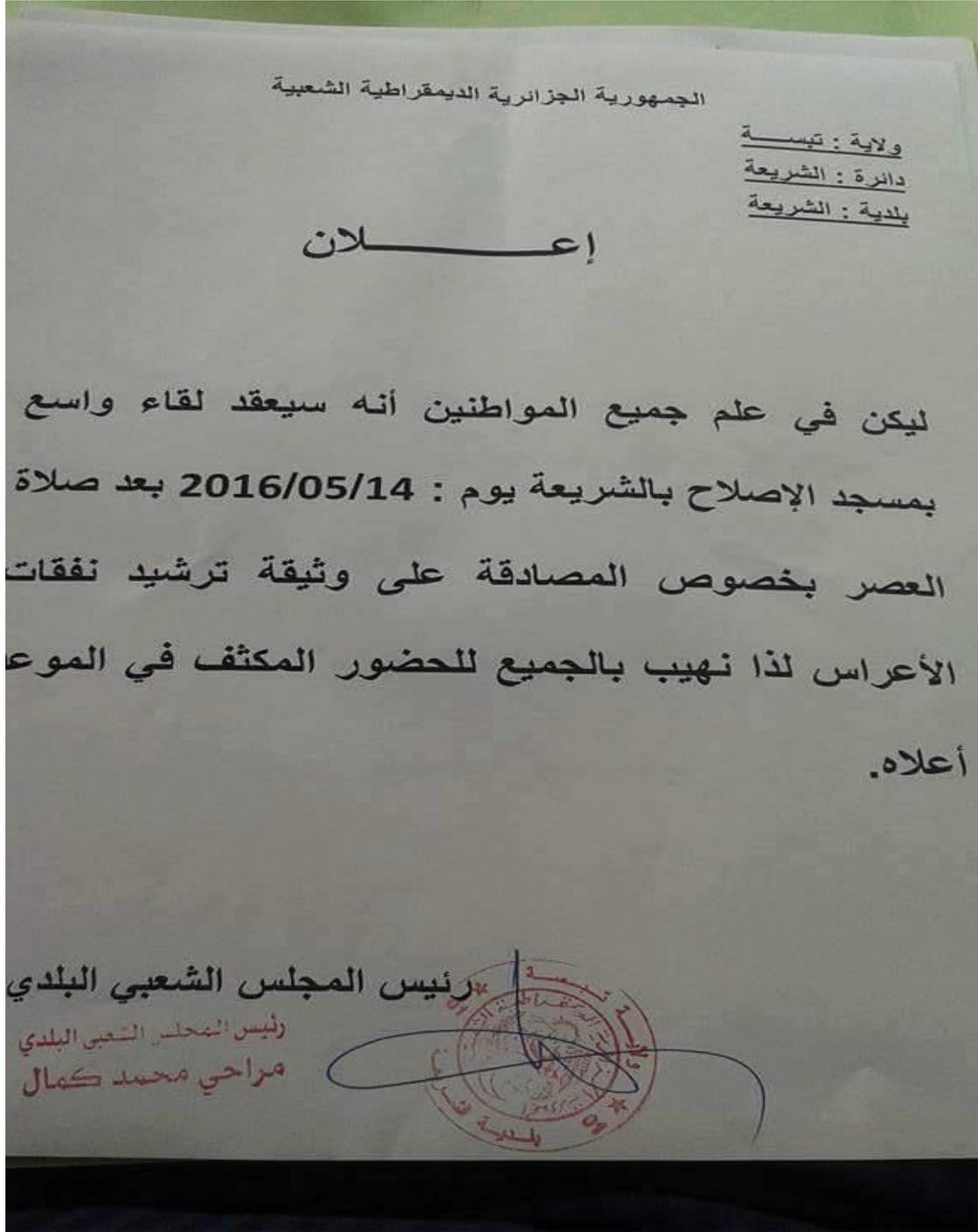
تصميم و طباعة: مكتبة مسجد الكوثر

الوثيقة (2) عبارة عن "مطويه" تتضمن نص الوثيقة الخاصة بترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة، تم توزيعها خلال الاجتماع الموسع المنعقد بتاريخ 2016/05/14، بمسجد الإصلاح بالشريعة بعد صلاة العصر لمناقشتها والمصادقة عليها.

مصدر الوثيقة (2): صفحة ترشيد الأعراس بالشريعة على صفحة الفاييس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)

## وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة



الوثيقة (3): عبارة عن "إعلان" رئيس المجلس الشعبي البلدي لبلدية الشريعة ولاية تبسة لعقد إجتماع مُوسَّع بتاريخ 2016/05/14، بمسجد الإصلاح بالشريعة بعد صلاة العصر، يدعو فيه المواطنين للحضور بكثافة لمناقشة وثيقة ترشيد الأعراس والمصادقة عليها. مصدر الوثيقة (3): صفحة ترشيد الأعراس بالشريعة على صفحة الفيس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)



الصورة (1): عبارة عن "لافتة إعلامية" تدعو إلى تنظيم إجتماع مُوسّع بتاريخ 2016/05/14،  
بمسجد الإصلاح بالشريعة ولاية تبسة، بعد صلاة العصر  
لمناقشة وثيقة ترشيد الأعراس والمصادقة عليها.

مصدر الصورة (1): صفحة ترشيد الأعراس بالشريعة على صفحة الفايس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)

## وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

الصورة (02)



الصورة (03)



الصورتان (2،3) تمثلان جانباً من الحضور الكبير في الإجتماع الموسّع المنعقد بتاريخ 2016/05/14، بمسجد الإصلاح بالشريعة بعد صلاة العصر لمناقشة وثيقة ترشيد الأعراس والمصادقة عليها. مصدر الصورتان (2،3): صفحة ترشيد الأعراس بالشريعة على صفحة الفاييس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)

## وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

الصورة (04)



الصورة (05)



الصورتان (4، 5) تمثلان جانبا من الحضور الكبير في الإجتماع الموسع المنعقد بتاريخ 2016/05/14، بمسجد الإصلاح بالشريعة بعد صلاة العصر لمناقشة وثيقة ترشيد الأعراس والمصادقة عليها. مصدر الصورتان (4،5): صفحة ترشيد الأعراس بالشريعة على صفحة الفايس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)

## وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

الصورة (06)



الصورة (07)



الصورتان (6،7) تمثلان إجراء عقد زواج بين عائتي عبيدات وربيعي بتاريخ 2016/07/28،  
بمسجد الكوثر بالشريعة في إطار التوافقات الواردة في وثيقة ترشيد الأعراس.  
مصدر الصورتان (6،7): صفحة مبادرة التكافل الإجتماعي لترشيد تكاليف الزواج  
والزواج الجماعي "الشريعة" على صفحة الفايس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)

## وثائق مشروع ترشيد الأعراس بمنطقة الشريعة ولاية تبسة

الصورة (08)



الصورة (09)



الصورتان (8،9) تمثلان إجراء عقد زواج بين عائلي عبيدات وربيعي بتاريخ 2016/07/28،  
بمسجد الكوثر بالشريعة في إطار التوافقات الواردة في وثيقة ترشيد الأعراس.  
مصدر الصورتان (8،9): صفحة مبادرة التكافل الإجتماعي لترشيد تكاليف الزواج  
والزواج الجماعي "الشريعة" على صفحة الفايس بوك.

[https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH\\_BOX](https://www.facebook.com/search/top/?q=%D8%AA%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%B3%20%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9&epa=SEARCH_BOX)

## ملخص:

تحظى الأعياد والمناسبات الاحتفالية باهتمام كبير كموضوع للبحث العلمي والدراسات الميدانية من قبل العديد من المقاربات المعرفية والمؤسّسات العلمية والثقافية وذلك لتشعبها وشموليتها وتداخلها، إلا أنّها لتجد ضالتها أكثر في المقاربة الأنثروبولوجية، لما تملكه من أدوات منهجية واتجاهات نظرية ومناهج تحليلية قادرة على دراسة هذه الظاهرة وتفكيك رموزها وكشف دلالاتها وتحليل أبعادها ورصد طقوسها التي تتمظهر في العديد من الممارسات التي تتوزع بين أنواع من التعبيرات الجسدية والأشكال الرمزية والشعائر الدينية والعادات الإجتماعية والطقوس الاحتفالية، حيث يتداخل فيها الديني بالديني، والمادي بالروحي، والأسطوري بالواقعي، مما يجعلها إحدى الآليات التي يحافظ من خلالها المجتمع على تراثه الشعبي وموروثه الثقافي والحضاري والمساهمة في بناء شخصية الأفراد وهوية المجتمع، لما تحقّقه من وظائف إجتماعية وبما تتضمنه من أبعاد وأشكال فرجوية تتجلى فيها مظاهر الفرح والإبتهاج، وتوديع الموموم والأحزان، وتقوية معاني الإنتماء والتواصل العائلي والتضامن الاجتماعي بما يزيد من تماسك المجتمع وتعزيز العلاقات الإجتماعية بين أفراده.

**الكلمات المفتاحية:** الأعياد؛ الإحتفاليات؛ الطقوس؛ الممارسات؛ الفرجة؛ الأنثروبولوجيا.

## Abstract:

Due to its complexity, inclusiveness and overlap, celebration of holidays and occasions receives great attention as a subject of scientific research and as a field of study by many cognitive approaches, scientific and cultural institutions. However, the best approach is the anthropological one, as it uses methodological tools, theoretical trends and analytical approaches capable of studying this phenomenon, deconstructing its symbols, revealing its implications, analyzing its dimensions and monitoring its rituals. These tools are represented in many practices that are distributed between types of physical expressions, symbolic forms, religious rites, social customs and ceremonial rites where religious intertwine with the secular, the materialistic interferes with the spiritual, and the legendary overlaps with the real. They all make it one of the mechanisms through which society preserves its popular, cultural and civilizational heritage. In addition, they contribute in building the personality of individuals and the identity of the community, because of its social function including forms of relief that manifests in joy, bidding worries and sorrows, and strengthening the meanings of belonging, family communication and social solidarity in a way that increases the cohesion of society and enhances social relations between its members.

**Key words:** Holidays; Celebrations; Rituals, Practices; Spectacles; Anthropology.

## Résumé:

Les fêtes et les événements festifs connaissent un grand intérêt entant que sujet de recherche scientifique et d'études sur le terrain par de nombreuses sapproches cognitives, institutions scientifiques et culturelles. Cet intérêt est dû à leur diversité, généralisation et interaction. ils trouvent leur contexte scientifique dans l'approche anthropologique, en raison de sespropres outils méthodologiques, tendances théoriques et approches analytiques capables d'étudier ce phénomène, de démanteler ses symboles, de détecterses connotations, d'analyser ses dimensions et d'observer ses rituels. Ils se manifestent dans de nombreuses pratiques et se répartissent entre les types d'expressions corporelles, les formes symboliques, les rituels religieux, les coutumes sociales et les rituels cérémoniels dans lesquels le religieux chevauche le monde spirituel matériel, et le légendaire dans la réalité. Ce qui en fait l'un des mécanismes par lesquels la société préserve son patrimoine populaire culturel et contribue à la construction de la personnalité des individus et de l'identité de la société, en raison de sesfonctions. Par ses dimensions et ses formes de joie, il reflète les manifestations de festivités et de bonheur. Ils aident aussi à généraliser la joie et écarté les peines. Ils renforcent le sens de l'appartenance, de la communication familiale et de la solidarité sociale ce qui promet la cohésion sociale et renforce les relations entre ses membres.

**Mots-clés:** Fêtes; Célébrations; Rituels; Pratiques; Festivité; Anthropologie.